الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

دواة

DAWAT

مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

رقم الإيداع في دار الوثائق العراقية

١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob:+9647827236864 — +9647721458001

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ
وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ

صدق الله العلي العظيم

(الروم : 22)

رئيس التحرير

أ.م.د. خالد عباس السياب

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية

kh4581433@gmail.com

مديـــــر التحريـــــر

م.د. لطيف نجاح شهيد

جامعة وارث الانبياء/ كلية القانون

lateefiraq@yahoo.com

هيـــــأة التحريـــــر

أ.د.مصطفى ابراهيم محمد الضبع

مصـر/ جامعة الفيـوم/ كلية الآداب

eldab3@gmail.com

أ.د. محمود محمد علي الحسن

سـوريا/ جامعـة حمـاة

m.hhhh1974@gmail.com

أ.د. عبد العلي محمد الودغيري

المغرب/ جامعـة محمد الخامس/ كلية الآداب

abdelalioudrhiri@gmail.com

أ.د.نصر الدين بن محمد الصادق

الجزائر/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ كلية الآداب واللغات

ouahabi07@gmail.com

أ.د.غزلان هاشمي

الجزائر/ جامعة محمد الشريف مساعدية/ كلية الآداب واللغات

ghozlenehachemi@yahoo.com

أ.د. صاحب جعفر أبو جناح

العراق/ الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

sahibjafar@yahoo.com

أ.د. صبـاح عبـاس السـالم

العراق/ جامعـة بابـل/ كلية التربة

daralarabia@imamhussain.org

أ.د.محمد جـواد محمـد الطـريحي

العـراق/ جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية

alturaihymj2243@gmail.com

أ.د.كريـم حسـين ناصـح

العراق/ جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات

kareemauthman@yahoo.com

أ.د. رحيـم جبـر احمد الحسنـاوي

العراق/ جامعة بابل

rahim.alhasnawi@gmail.com

أ.د. أحمـد جـواد العتـابي

العراق/ الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

daralarabia@imamhussain.org

أ.د.لطيفة عبد الرسول الضايف

العراق/ الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

drlatifa60@uomustansiriyah.edu.iq

أ.د. محمـد عبـد مشكـور

العراق/ جامعـة بغـداد/ كلية الآداب

mohammed.a.mashkur@gmail.com

أ.د.نجـم عبد الله غـالي الموسوي

العراق/ جامعة ميسان/ كلية التربية

najim_14@yahoo.com

أ.د. كريمـة نومـاس محمد المـدني

العراق/ جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Kareema.n@uokerbala.edu.iq

أ.د. فـائز هـاتو الشـرع

العراق/ الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

fayzmubth@gmail.com

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة لشعبة دار اللغة والأدب العربي / العتبة الحسينية المقدسة

أ.د. طـلال خليفـة سلمان
العراق/ جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات
talalkhalifa17@gmail.com

أ.د. حسـن جعفـر صـادق
العراق/ جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
hassnbaldawy@gmail.com

أ.م.د. خالد سهر محي
العراق/ الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
drkhalidsahar@yahoo.com

أ.م.د. حيـدر عبـد علي حميـدي
العراق/ جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية
haydaralamerry@gmail.com

أم.د. حسـين محمديـان
ايران / جامعة نيشابور / كلية الآداب والعلوم الانسانية
mohammadian.hosein@yahoo.com

م.د.كـاشف جمـال
الهنـد/ جامعـة جـواهر لال نهـرو
مركز الدراسات العربية والافريقية
kj89422@gmail.com

التـدقيق اللغـوي

اللغـة العربيـة
عبـاس عبد الرزاق الصبـاغ

اللغـة الانكليزيـة
م.م.مظفـر الربيعـي

الموقع الألكتروني
حيـدرعبـاس العـامري

التصميـم والإخـراج
حسـام الديـن محمـد

المتابعة و التنسيق
م.حسـن الزهيـري/ العراق
عـلاء الـدين الحسـني / اوربا

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم: ب ت ٤ / ٩٦٠٨
التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٢

No:
Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ،وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "**مجلة دواة**"المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

المحتويات

دليل المؤلفين..... ٧

أ.م.د. آلاء محمد لازم
الغديرُ في ملاحم الشعر المسيحي
قراءة تداولية ١٧

م.م. أحمد راضي جبر
دلالاتُ حروف المعاني في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) ٣٧

ا٠ د ٠ صادق عبيس الشافعي م ٠ م أحمد مهدي العجيلي
دورُ تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية
في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة ٥٧

د. ياسر محمد البستنجي
قراءةٌ في النظرية التوليدية التحويلية ٩١

أ.م.د.كريمة نوماس محمد المدني م ٠ م ٠منتهى حسون زيدان الجبوري
ظواهرُ الانزياح الأسلوبي
في كتابِ نسيم الصِّبا لابن حبيب الحلبي (ت٧٧٩هـ)..... ١٠٣

م . فرقان محمد عزيز
المتلقّي والنص الأدبي بين التهميش والاهتمام ١٢٣

م. د. جواد عودة سبهان
الحِجاجُ في قصيدة الفرزدق ١٣٥

م.د. نوال كمال حسين
علاقةُ علمِ الصرف بعلم الصوت،
دراسة وتطبيقات ١٥١

أ.م.د مؤيد جاسم محمّد حسين
الـــــتاء دراسة في مستويات اللغة ١٦٧

أ.م. د حُسَين عليّ حُسَين الفَتْليّ أ . د رَحيم كَريم عَلِيّ الشَّريفيّ
الفِعْلُ الكلاميُّ في النَّحْوِ العَرَبيّ (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) اختيارًا
(قِرَاءةٌ تَداوُليّةٌ)..... ١٧٩

دليل المؤلفين

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنكليزية في مجالات اللغة العربية و آدابها والدراسات التربوية.

٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4)بثلاث نسخ مع قرص مدمج(CD) بحدود (١٠٠٠٠_١٥٠٠٠) كلمة وبخط simplified Arabic)) على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بنظام (WORD 2007) .

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنكليزية كل في حدود صفحة مستقلة على أن يتضمّنَ الملخص عنوان البحث باللغتين.

٤. يجب أن تتضمّن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث و عنوانه ،وجهة عملِه ورقم هاتفه وبريده الالكتروني، وذكر أبرز الكلمات المفتاحية الخاصة بالبحث، مع عدم ذكر اسم الباحث او الباحثين في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والإنكليزية.

٥. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش وفي حالة وجود مصادر أجنبية تخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية ويراعى في ترتيبها نظام (الألف باء) .

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى وعليه أن يشير إلى أنّ البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة وانه لم ينشر ضمن أعمالها -إن شارك به في مؤتمر أو ندوة- ويشار إلى اسم الجهة العلمية أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده .

٩. يجب أن لا يكون البحث منشوراً سابقاً وليس مقدماً الى اي وسيلة نشر أخرى .

١٠. تعبّرُ جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية .

١١. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أ قُبلت البحوث للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية :

أ. يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر .

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع .

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على أعدادها نهائيا للنشر .

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج.يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

١٢. يراعى في أسبقية النشر :

أ. البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار

ب. تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث

ت. تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها

ث. تنويع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه .

مجلة دواة

استمارة نقل حقوق النشر والتوزيع والملكية الفكرية إلى هيأة تحرير مجلة دواة

بموجب هذه الوثيقة أوافق / نوافق على نقل حقوق النشر والتوزيع والملكية الفكرية إلى هيأة تحرير مجلة دواة للبحث الموسوم .....

.....

كما أنني المؤلف (المؤلفون) الموقع / الموقعون أدناه اتعهد / نتعهد واقر /نقر بما يلي:

١- ان البحث لا يتضمن أو يحتوي على مواد مأخوذة من مصادر أخرى محمية بحقوق الطبع والنشر.

٢- لم يقدم هذا المخطوط للنشر كليا او جزئيا لأية جهة اخرى سواء في مجلة علمية أم صحفية ام وسيلة اخرى.

٣- الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي في كتابة البحث المعنون أعلاه وتحمل كافة المسؤولية القانونية عن الحقوق الفكرية والمادية للغير.

٤- الموافقة على نشر المخطوط في المجلة بأية وسيلة سواء أكانت مطبوعة أم الكترونية أم اية وسيلة اخرى وعلى نقل حق النشر والتأليف إلى هيأة تحرير مجلة دواة.

٥- التقيد بتعليمات النشر المعمول بها في المجلة وتدقيق البحث لغويا.

٦- الالتزام بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقييم كافة في حال الرغبة في سحب البحث أو عدم متابعة إجراءات نشره.

٧- يحتفظ المؤلف (المؤلفون) بجميع حقوق الملكية مثل حقوق براءات الاختراع والحق في استخدام كل أو جزء من المقالة في الأعمال المستقبلية الخاصة بهم مثل المحاضرات والبيانات الصحفية وتنقيح الكتب المدرسية.

٨- في حالة موافقة هيأة تحرير المجلة على نشر البحث أوافق / نوافق على أنه ليس من حقي/ حقنا التصرف بالبحث سواء بالترجمة أم الاقتباس أم النقل من البحث المذكور أعلاه أم تلخيصه أم الاستفادة منه بوسائل الإعلام، إلا بعد الحصول على موافقة خطية من رئيس التحرير.

اسم الباحث الرئيس.....رقم الهاتف.....

اسم المؤسسة التي يعمل بها الباحث.....

عنوان البريد الالكتروني للباحث الرئيسE-mail .....

تسلسل الباحثين (إن وجدوا) مرتبين حسب تسلسلهم في البحث عند النشر في المجلة:

اسم الباحث التوقيع

١-

٢-

٣- التاريخ

ملاحظة يرجى إرسال نسخة ممسوحة ضوئيا من الاستمارة الموقعة حسب الأصول عن طريق البريد الالكتروني إلى رئيس التحرير.....

سياسة النشر

يجب على الباحثين إجراء أبحاثهم بدأً من مقترح بحث إلى موضوع نشر بما يتماشى مع أفضل الممارسات وقواعد سلوك الهيئات المهنية ذات الصلة و / أو الهيئات التنظيمية الوطنية والدولية. وفي حالات نادرة، فانه من الممكن مواجهة القضايا الأخلاقية أو سوء السلوك او التصرّف في المجلّة المعنية عند تقديم البحث للنشر فيها.

المسؤوليات الأخلاقية للمؤلفين:

تلتزم هذه المجلة بدعم نزاهة السجل العلمي. و هي بوصفها عضوا في لجنة أخلاقيات النشر(COPE) ، فان المجلة ستتبع توجيهات COPE حول تطبيق المبادئ التوجيهية المتعلقة بكيفية التعامل مع أفعال سوء السلوك او التصرف المحتملة.

ينبغي ان يمتنع المؤلفون عن تحريف نتائج البحوث التي قد تؤدي الى الحاق الضرر بالثقة في المجلة، والكفاءة المهنية للتأليف العلمي، وفي نهاية المطاف الاضرار بالمسعى العلمي بأكمله، حيث يتم الحفاظ على نزاهة البحث وعرضه باتباع قواعد الممارسة العلمية الجيدة، والتي تشمل *:

• يجب عدم تقديم نسخة البحث إلى أكثر من مجلة واحدة للنظر فيها في نفس الوقت.

• ينبغي ان يكون العمل المقدم أصلياً و ان لا يكون قد نُشر في أي مكان آخر بأي شكلٍ أو لغة (جزئيا أو كليا) ، إلا إذا كان العمل الجديد يتعلق بتوسيع العمل السابق. (يرجى توفير الشفافية بشان أعاده استخدام المواد لتجنب المخاوف المتعلقة بإعادة تدوير النصوص (السرقة الأدبية).

• يجب عدم تقسيم الدراسة واحدة إلى عدة أجزاء لزيادة كمية المواد المقدمة وتقديمها إلى العديد من المجلات أو إلى مجلة واحدة بمرور الوقت (مثلا «تقطيع / نشر السلامي»).

• يكون النشر المتزامن أو الثانوي مبررًا في بعض الأحيان، شريطة استيفاء شروط معينة. تشمل الأمثلة: ترجمات أو نسخة بحوث مخصصّة و موجهة لمجموعة مختلفة من القرّاء.

• يجب تقديم النتائج بوضوح وبصراحة دون تلفيق أو تزوير أو معالجة غير لائقة للبيانات (بما في ذلك التلاعب القائم على الصور).

يجب على المؤلفين الالتزام بالقواعد محددة التخصصات، والخاصة بالانضباط للحصول على البيانات واختيارها ومعالجتها.

• لا يتم عرض أي بيانات أو نصوص أو نظريات من قبل الآخرين كما لو كانت خاصّة بالمؤلف (السرقة الادبية).

يجب تقديم إقرارات مناسبة لأعمال أخرى (بما في ذلك المواد التي يتم نسخها نفسها (تكاد تكون حرفية) وتلخيصها و / أو إعادة صياغتها)، وتستخدم علامات الاقتباس (للإشارة إلى الكلمات المأخوذة من مصدر آخر) للنسخ الحرفي للمواد، والأذونات المضمونة للمواد التي تخضع لحقوق الطبع والنشر.

ملاحظة مهمة: قد تستخدم المجلة برنامجًا على الحاسوب للكشف عن السرقة الادبية.

● يجب على المؤلفين التأكد من حصولهم على أذونات لاستخدام البرمجيات والاستبيانات / المسوحات على الانترنت والمقاييس في دراساتهم (إذا اقتضى الامر ذلك).

● ينبغي علي المؤلفين تجنب التصريحات غير الصحيحة عن الكيان (الذي يمكن ان يكون شخصاً فرديا أو شركة) أو أوصاف سلوكهم أو أفعالهم التي يحتمل ان ينظر اليها علي انها هجمات شخصية أو ادعاءات او مزاعم بشان ذلك الشخص.

● يُنصح المؤلفون بشدة بالتأكد من مجموعة المؤلفين، و Corresponding Author المؤلف المعني، وان يكون ترتيب المؤلفين جميعهم صحيحاً عند تقديم ورقة البحث. لا يُسمح عمومًا بإضافة و / أو حذف المؤلفين خلال مراحل مراجعة البحث، ولكن قد يكون هناك ما يبرر ذلك في بعض الحالات حيث ينبغي شرح أسباب التغييرات في التأليف بالتفصيل.

يرجى ملاحظة أنه لا يمكن إجراء تغييرات على التأليف بعد قبول ورقة البحث.

* كل ما سبق اعلاه هو إرشادات و توجيهات ويحتاج المؤلفون إلى التأكد من احترام حقوق الأطراف الثالثة مثل حقوق الطبع والنشر و / أو الحقوق المعنوية.

ينبغي للمؤلفين، بناء علي الطلب، ان يكونوا علي استعداد لإرسال الوثائق أو البيانات ذات الصلة من أجل التحقق من صحة النتائج المقدمة. ويمكن ان يكون ذلك في شكل بيانات أولية أو عينات، او سجلات، وما إلى ذلك ، و يتم استبعاد المعلومات الحساسة في شكل بيانات سرية أو ملكية فكرية خاصة.

إذا كان هناك اشتباه في سوء السلوك أو الاحتيال او الغش المزعوم، فستقوم المجلّة و / أو الناشر بإجراء تحقيق وفقًا لإرشادات COPE. إذا كانت هناك مخاوف فعلية صحيحة بعد التحقيق، فسيتم الاتصال بالمؤلف (المؤلفين) المعنيين تحت عنوان البريد الإلكتروني الخاص بهم و ستتاح لهم الفرصة لمعالجة هذه المسالة.

اعتمادًا على الموقف، قد ينتج عن ذلك تنفيذ التدابير التالية من قبل المجلة و/ أو الناشر، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

● إذا كانت ورقة البحث لا تزال قيد الدراسة ، فقد يتم رفضها وإعادتها إلى المؤلف.

● إذا كانت ورقة البحث قد نشرت بالفعل على الإنترنت ، وهذا يتوقف على طبيعة وشدة الانتهاك او الخرق:

١. قد يتم ذكر وجود خطأ مطبعي / تصحيح مع المادة العلمية.

٢. يمكن وضع عبارة للتعبير عن القلق ازاء هذه المادة العلمية.

٣. أو في الحالات الشديدة قد يحدث سحب للمادة العلمية او التراجع عنها.

سيتم تقديم السبب في حدوث أخطاء المطبعية المنشورة / وتصحيحها أو التعبير عن القلق أو مذكرة التراجع عن المادة العلمية. يرجى ملاحظة أن التراجع عن المادة العلمية يعني أنها ستكون محفوظة على المنصة على

الموقع، وسوف توضع عليها علامة مائية «تم التراجع retracted» ويتم تقديم توضيح حول سبب التراجع في ملاحظة مرتبطة بالبحث الذي يحمل علامة مائية.

- قد يتم ابلاغ مؤسسة المؤلف.

ويمكن ادراج اشعار بالانتهاك المشتبه فيه للمعايير الأخلاقية في نظام استعراض النظراء كجزء من سجل المكتبة (السجل البيبلوغرافي) الخاص بالمؤلف و المادة العلمية.

الأخطاء الأساسية:

انّ المؤلفين ملزمون بتصحيح الأخطاء بمجرد اكتشاف خطأ كبير أو عدم دقة في مادتهم المنشورة، حيث يُطلب من المؤلف / المؤلفين الاتصال بالمجلة وتوضيح المعنى الذي يؤثر به الخطأ على المادة المنشورة. يعتمد اتخاذ القرار بشأن كيفية تصحيح المصادر التي اعتمد عليها المؤلف تعتمد على طبيعة الخطأ، فقد يكون هذا تصحيحًا للمادة أو تراجعًا عنها. يجب أن توفر ملاحظة التراجع شفافية كاملة حول معرفة أي من أجزاء المادة العلمية تكون متأثرة بالخطأ.

اقتراح المراجعين او استبعادهم:

ان المؤلفين مدعوون لاقتراح المراجعين المناسبين لمراجعة بحوثهم و/أو طلب استبعاد بعض الافراد المعينين عندما يقدمون اوراق بحوثهم. فعند اقتراح المراجعين ، يجب علي المؤلفين التأكد من ان المراجعين يكونون مستقلين تماما وغير مرتبطين بالعمل بأي شكل من الاشكال. يوصى بشدة باقتراح مزيج من المراجعين من البلدان مختلفة والمؤسسات المختلفة. عند اقتراح المراجعين، يجب على Corresponding Author المؤلف المعني توفير عنوان بريد الكتروني خاص بمؤسسته لكل مراجع مقترح للبحث، أو، إذا لم يكن ذلك ممكنا لتضمين وسائل أخرى للتحقق من الهوية مثل رابط إلى صفحة رئيسية شخصية، رابط إلى سجل المنشور أو الباحث أو تعريف المؤلف في خطاب أو كتاب التقديم. يرجى ملاحظة أن المجلة قد لا تستخدم الاقتراحات، ولكن الاقتراحات موضع ترحيب وقد تساعد في تسهيل عملية مراجعة النظراء.

معنى Corresponding Author هو المؤلف الذي يتم التواصل معه اثناء مرحلة نشر و تحكيم الورقة البحثية، كما يتم الاتصال به في حالة وجود أي شيء يتعلق بالبحث بصفة عامة.

قالب كتابة البحث في المجلة

(**عنوان** البحث باللغة العربية)

(**عنوان** البحث باللغة الإنجليزية)

(اسم الباحث او الباحثين)

(عنوان الباحث او الباحثين)

(الملخص باللغة العربية)

(الملخص باللغة الإنجليزية)

- **المقدمة :**

١. أهمية البحث .

٢. إشكالية البحث .

٣. نطاق البحث .

٤. خطة البحث .

- **خطة البحث .**

- **الخاتمة :**

١. النتائج .

٢. المقترحات .

- **الملاحق إن وجدت .**

- **المصادر أو المراجع .**

دليل المقيّمين

ان المهمة الرئيسية للمقيم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ المقيم البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لايخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البناءة والصادقة حول البحث المرسل اليه .

قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقيم التأكد من استعداده الكامل لتقييم البحث المرسل اليه وفيما اذا كان يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، وهل يمتلك المقيم الوقت الكافي لاتمام عملية التقييم ، وإلا فيمكن للمقيم أن يعتذر ويقترح مقيم آخر .

بعد موافقة المقيم على اجراء عملية التقييم والتأكد من إتمامها خلال الفترة المحددة، فإن عملية التقييم يجب أن تجري وفق المحددات التالية:

١- يجب أن لا تتجاوز عملية التقييم العشرة أيام كي لا يؤثر ذلك بشكل سلبي على المؤلف

٢- عدم الافصاح عن معلومات البحث ولأي سبب كان خلال وبعد اتمام عملية التقييم إلا بعد أخذ الإذن الخطي من المؤلف ورئيس هيئة التحرير للمجلة أو عند نشر البحث

٣- عدم استخدام معلومات البحث لأي منافع شخصية أو لغرض إلحاق الأذى بالمؤلف أو المؤسسات الراعية له

٤- الافصاح عن أي تضارب محتمل في المصالح

٥- يجب أن لايتأثر المقيم بقومية أو ديانة أو جنس المؤلف أو أية اعتبارات شخصية أخرى

٦- هل ان البحث أصيل ومهم لدرجة يجب نشره في المجلة

٧- فيما اذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها

٨- هل ان فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة ؟ إذا كانت نعم، يرجى الإشارة الى تلك الدراسات

٩- مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه

١٠- بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته

١١- هل تصف المقدمة في البحث مايريد المؤلف الوصول اليه وتوضيحه بشكل دقيق، وهل وضح فيها المؤلف ماهي المشكلة التي قام بدراستها

١٢- مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل اليها خلال بحثه بشكل علمي ومقنع

١٣- يجب ان تُجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها

١٤- اذا أراد المقيم مناقشة البحث مع مقيم آخر فيجب ابلاغ رئيس التحرير بذلك

١٥- يجب ان لاتكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقيم والمؤلف فيما يتلق ببحثه المرسل للنشر، ويجب ان ترسل ملاحظات المقيم الى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة

١٦- إذا رأى المقيم بأن البحث مستلاً من دراسات سابقة، توجب على المقيم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة

١٧- إن ملاحظات المقيم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر من عدمه ، كما يرجى من المقيم الاشارة وبشكل دقيق الى الفقرات التي تحتاج الى تعديل بسيط ممكن ان تقوم بها هيأة التحرير وإلى تلك التي تحتاج الى تعديل جوهري يجب ان يقوم بها المؤلف نفسه .

استمارة التقييم

اسم المحكم: المرتبة العلمية:

الجامعة: الكلية: القسم:

عنوان المقالة:

تاريخ وصول البحث الى المحكم .. / .. / ٢٠..	تاريخ اعداد التحكيم ../ .. / ٢٠..
مدى تطابق موضوع الورقة مع اختصاص المحكم ☐ عال ☐ متوسط ☐ ضعيف	المنهجية العلمية في استنباط النتائج ☐ ممتاز ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
محتوى الورقة ☐ نظرية جداً ☐ نسبة متزنة من الجانب النظري والتطبيقي ☐ تطبيقية جداً	تقسيم النتائج في الورقة ☐ ذات تطبيقات مهمة ☐ ذات تطبيقات جديرة بالاهتمام ☐ متوسطة الاهمية ☐ ضعيفة بدون تطبيقات واضحة
القيمة المضافة الى قطاع المعرفة ☐ المفاهيم النظرية جديدة، والنتائج جديدة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج جديدة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج معروفة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج غريبة ☐ المفاهيم النظرية غريبة، والنتائج غريبة	منهجية البحث ☐ ممتازة ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
هل نشر مضمون البحث سابقاً ☐ نعم ☐ لا في حالة الإيجاب أين تم النشر؟ ..... نسبة الاستلال ببرنامج (Turnitin) ( )	المستوى اللغوي (الاسلوب والقواعد اللغوية) ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ متوسط ☐ ضعيف

(١-٢)

حجم الورقة ☐ عدد الصفحات مناسب دون حشو ☐ عدد الصحفات غير مناسب (ثمة حشو فيها) ☐ غير متأكد	المراجع والإشارة إلى الأعمال السابقة ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
الأهمية الإجمالية من وجهة نظر القارئ ☐ ممتازة ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة	هل ترشح الباحث إلى جائزة أفضل ورقة علمية للعام الحالي ☐ نعم ☐ لا
نوع البحث ☐ بحث علمي اصيل في حال توافر الشروط الاتية: ١- يتناول موضوعه فكرة جديدة. ٢- له قيمة مضافة في حقل الاختصاص او يعالج مشكلة حديثة لم يسبق التطرق لها. ☐ بحث قيم في حال توافر الشروط الاتية: ١- يتوافر فيه شروط البحث العلمي . ٢- يقدم اضافة جديدة في احدى مفرداته	القرار النهائي ☐ غير صالح للنشر : المحتوى غير مناسب للمجلة ☐ صالح للنشر مع التعديل ☐ صالح لنشر دون تعديل

الملاحظات الموجهة إلى الباحث (او الباحثين)

(ملاحظات بناءة تعمل على رفع مستوى الورقة من حيث الشكل والمضمون)

الملاحظات الموجهة إلى هيئة التحرير(لن يراها الباحثون)

(ينبغي ملء الملاحظات مهما كانت نتيجة التحكيم، وهي تسمح لهيئة التحرير بأتخاذ القرار عن الاختلاف)

التوقيع:

البريد الالكتروني:

الهاتف:

الملاحظـــــات

الغديرُ في ملاحم الشعر المسيحي
قراءة تداولية

Alghadeer in epics of Christian poetry
Deliberative Reading

أ.م.د. آلاء محمد لازم
Dr. Alaa Mohammed Lazem.
جامعة بغداد- كلية التربية للعلوم الانسانية - ابن رشد
قسم اللغة العربية

University of Baghdad / College of Education for Human Sciences / Ibn Rushd / department of Arabic language.

كلمات مفتاحية : الملاحم ،التداولية ،الاستراتيجيات ،القصد

ملخص البحث

يحاولُ البحثُ تقديم قراءة جادة لملاحم الشعر العربي المسيحي الذي استلهم من يوم الغدير الكثير من العبر ،والاستنتاجات ، فأخذ شعراء المسيح ينسجون من وحي هذا اليوم صورا فنيةٍ بقدراتٍ إبداعيةٍ لتوجيه المتلقين الى أهميته في تصحيح مسار الانسانية .تُعدّ ملاحم الشعر العربي مادةً شعريةً ثرّةً ،ومهمةً لم يسلّط عليها الضوء ،ولم تقدّم عنها دراسات أدبية تبرز مكامن الإبداع المتجسّد بين ثنايا اللغة ،والدلالة، والصورة .

نحاول في البحث قراءة هذه الملاحم وفق ماجاءت به معطيات النظرية التداولية لبيان قدرة الشعراء على الاستلهام الفكري ،والفني من يوم الغدير، وتأسيس خطابٍ شعري موجّه إلى المتلقّي لحثّهِ وتوجيهه على الالتزامِ بالمعطياتِ والعبرِ والأفكار المنطوية تحت فكرة يوم الغدير ،والتي من شأنها الدعوة إلى التمسّك بأواصرِ أهل البيت السفينةِ إلى نجاة الانسانية .

هذه المفاهيم والمعطيات مجتمعة زادت من إصرارنا على قراءة ملاحم الشعر المسيحي ،محاولين البحث عن مدى قدرتها على تحقيق عملية التواصل بين الأوساط المتلقية كما ارتأينا تحليلها بطريقة مغايرة عبر التعّمق في دلالاتها، ومقاصدها، وحقيقة الوظائف التي تؤديها اللغة فيها، وأهدافها التواصلية من خلال التركيز على بنية اللغة ،والوظائف الأساسية التي تؤديها باعتباره خطاباً لا يتجسّد إلاّ عبر اللغة كونها العصب في إحداث التواصل بين المبدع والمتلقي

Abstract

The research tries to provide a serious reading of epics of Christian Arabic poetry, which was inspired by many lessons and conclusions from the Day of Al-Ghadeer, so that the poets of Christ weave from the inspiration of this day artistic images with creative abilities to guide the recipients to its importance in correcting the path of humanity. The Arabic poetry epics are rich and important poetic material not shed light on it, nor was it presented literary studies that highlight the potentials of creativity embodied between the folds of language, significance, and image.

In the research, we try to read these epics according to the data of the deliberative theory to demonstrate the ability of poets to gain intellectual and artistic inspiration from the Day of Al-Ghadeer, and to establish a poetic discourse directed to the recipient to urge and guide him to adhere to the data, lessons and ideas involved under the idea of the Day of Ghadir, which would call for adherence to the bonds Of (Ahl Albayt) ship to the salvation of humanity.

These concepts and data combined have increased our insistence on reading epics of Christian poetry, trying to search for the extent of their ability to achieve the process of communication between the recipient circles, as we decided to analyze them in a different way by delving into their connotations, their purposes, the reality of the functions that the language performs in them, and its communicative goals by focusing on The structure of language, and the basic functions it performs as a discourse that is only embodied through language, as it is the nerve in bringing about communication between the creator and the recipient.

المقدمة

الحمد لله وحده ،والصلاة والسلام على من لانبي بعده،وبعد....

ظلّتِ الملحمة على مرّ الزمان محافظة على تألّقها ،وسحرها ،باسطة سلطتها على نفوسِ، وعقولِ المتلقين ،كونها تحمل تراثاً فنياً متنوّع الرؤى ،متعدّد التأثير تتجاوز ذات مبدعها لتحلّق في فضاءٍ إنساني رحبٍ ،يجدُ فيه المتلقي مايستجيب لأفق انتظاره ،ويحرّك مشاعره ،مغرياً عقله ،وفكره للتأمل ،والتدبّر ،والتساؤل الطامح إلى بلوغ دلالاتها ومقاصد مبدعها .

ويمكن ادراك ذلك إذا تتبّعنا النماذج الشعرية من الملاحم القديمة، والحديثة نجد إن الشعراءَ يتخذون من (الدلالة والصورة والموسيقى)وسائط لبناء فنهم. يتوّسلون بها ليصوغوا تجاربهم ،ويكشفوا عن رؤاهم ،ويحاولوا التأثير والإقناع .

من هنا جاء اختيارنا ملاحم الشعر العربي موضوعا للدراسة ،آملا أن أسُدّ بعض ماشعرت به من إهمال الدراسات لهذا النموذج المتنوّع الثرّ من النصوص،أمّا المتن الذي اخترته للدراسة في الشقّ التطبيقي تمثّل بملاحم الشعر المسيحي لثلاثة شعراء هم بولس سلامة، وجورج شكور ،وعبد المسيح أنطاكي ، لسببين رئيسيين :الأول لأن الملاحم تشكّل مادةً شعريةً ثرّةً ،ومهمةً لم تسلط عليها الضوء ،ولم تقدّم عنها دراسات أدبية تبرز مكامن الإبداع المتجسّد بين ثنايا اللغة ،والدلالة، والصورة ،والثاني كشف رؤيا الشعراء المسيح تجاه أهل البيت ،وتأثّرهم ببلاغة وأخلاق النبي (صلى الله عليه واله)وأهل بيته وما شكّله يوم الغدير من مفرقٍ مهمٍّ في الحياةِ الإنسانيةِ عامةً .

وفي تقديري أن هذا الموضوع لا توجد دراسة شاملة وكافية إلاّ إذا تمّ الانطلاق من مفردات العنوان، وضبط مدلوله، وتحديد مفرداته، متخذين من آليات النظرية التداولية منطلقاً للتعمّق في دلالاتها، ومقاصدها، وحقيقة الوظائف التي تؤديها اللغة فيها، وأهدافها التواصلية من خلال التركيز على بنية اللغة ،والوظائف الأساسية التي تؤديها باعتباره خطاباً لا يتجسّد إلاّ عبر اللغة كونها العصب في إحداث التواصل بين المبدع والمتلقي.

لذلك قسّمت الدراسة على عدةِ محاورٍ :المحور الاول تناولنا فيه مصطلح الملحمة وتتبّعه في الدراسات اللغوية ،والنقدية كي تخرج بتعريفٍ شاملٍ يكون قادراً على استيعاب كل المفاهيم ،واستثمارها لإعطاء مصطلح الملحمة التعريف الدقيق الذي يحدّد طبيعته ومكوناته ،والمحور الثاني خصّصناه في الحديث عن التداولية منطلقا للقراءة ،والمحور الثالث الدراسة التطبيقية لكي نبرز بشكلٍ جلّي مكامنَ الإبداع في ملاحم الشعر التي اتخذت من فكرة يوم الغدير ووظّفتها بقوةٍ للتأثير والإقناع ،وذلك اعتماداً على آليةٍ مهمةٍ في التداولية هي(استراتيجية القصد ومستوياتها اللغوية).

مع خاتمة وثبت المصادر والمراجع .

لذة البحث تكمن في تتبّع خيوط الفكرة، وهي تنمو وتتطور ،وتتزايد المتعة مع كل تحليل لنصٍ شعري زاخرٍ بالحبِ والعرفانِ لآل البيت عليهم السلام سفينة النجاة .

المحور الاول:

الملاحم لغة واصطلاحا:

الملحمة في اللغة تعني تلاحم الناس، وتداخلهم بعضهم في بعض ،والملحمة الوقعة العظيمة القتل ،وهي موضع القتال ،وألحَمْت القوم حتى صاروا لحماً،وألحِمَ الرجل إلحاماً واستُلحِم إذا نشب في الحرب فلم يجد مُخْلصاً،والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك الثوب بالسَّدى...وقيل هي اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ،والملحمة الحربُ ذات القتل الشديد،والوقعة العظيمة في الفتنة.[١]

امّا الملحمة في الاصطلاح الأدبي تعني نوعاً خاصّاً من الشعر القصصي البطولي الذي لم تعرف العربية شبيهاً له،من حيث البناء القصصي المكتمل ،ومن حيث الحجم العددي للأبيات الشعرية التي تبلغ الآلاف،ومن حيث الشخصيات التي تسمو فوق المستوى العادي للناس الأسوياء،وتتصف بما هو من سمات الأبطال الاسطوريين،ومن سمات الآلهة ،أو انصاف الآلهة ،وفي المعتقدات الوثنية البدائية ومن حيث الوقائع ،والأحداث الخارقة التي تتخلّلها ،والوقائع الحربية التي يخوض الأبطال الملحميون غمارها ،والمآثر الخارقة التي يحققّونها، إذ تدخل في صميمِ الصراع الوطني والقومي، دفاعاً عن حق مغتصب ،وفي سبيل أن تحيا الأمة التي يمثّلونها بحريةٍ وكرامةٍ.[٢]

وقد قسّم النقاد الملحمة إلى قسمين: ملحمة أدبية ،وملحمة شعبية ،في الأولى :يعلن الشاعر في مستهلّ قصيدته عن موضوعها ،ثم يبتهل لربة الشعر، ويذكر القصة وأحداثها، وتتدخّل الآلهة في شؤون البشرِ، مستخدماً التشبيهات الطويلة ،وأسماء الأبطال ،والأشياء الهامة لحياة الأبطال كالأسلحة والسفن، والثانية: يتضح فيها النقل مشافهة ،وتكرار السرد الأمر الذي يدلُّ على إنَّها لم تكُن نتاجَ زمنٍ واحدٍ ،أو قريحةٍ واحدةٍ[٣].

ومن أبرز الملاحم الشعرية التي عرفها التاريخ ملحمة (الألياذة)للشاعر الاغريقي هوميروس ،وهي قصة شعرية طويلة تدور أحداثها حول معارك طاحنة وحروب عظيمة ،وأساطير ،وأمور خارقة تنشب بين شعبين متصارعين دفاعاً عن مُثل ومبادئ إنسانية ،ويبرز من كل جانبٍ جماعة من القادة ،والأبطال الأسطوريين وتدخل الآلهة في حوادثها ،ووقائعها الخارقة ،وقد أبدع هوميروس في صياغة ملحمته صياغةً فنيةً رائعةً من حيث التسلسل القصصي المتناسق والتوالي المنتظم للأحداث ،والتعبير المؤثّر عن أغراضه ومراميه[٤]

وبالرغم من إن للشعر العربي قبل الاسلام مكانة وحظوة ،وتأثيرا بالغ الأهمية إلاّ إنهُ لم يكُن للفن الملحمي انتشار ملحوظ ،ولم نجد سوى قصائد ،ومقطوعات معدودة ذات نفس ملحمي لا يمكن عدّها من الملاحم المعروفة ،وقد علّل الباحثون الأمر وعزوا أسباب القلة إلى عدةِ أمورٍ منها ضياع الكثير من الشعر قبل عصر التدوين ومنها خيال الجاهلي الذي لم يتسع للملاحم والقصص الطويلة لانحصاره في بادية متشابهة الصور ،محدودة المناظر، ومنها من فسّر الأمر إلى قلةِ خطر الدين في قلوبهم ، وقصر نظرهم عمّا بعد الطبيعة ،فلم يلتفتوا الى أبعد

من ذاتهم ،ولا إلى عالمٍ غير العالم المنظور ،لذلك لم تتولّد عندهم الأساطير الخصبة ،ولم تكُن لأصنامهم من الفن والجمال مايبعث الوحي في النفوس شأن آلهة الرومان واليونان ،كما إن مجتمعهم لم يساعدهم على التأمّل الطويل ،وربط الأفكار وفسح آفاق الخيال لاضطراب حياتهم برحيلٍ مستمرٍ ،فجاء نَفَسهم قصيراً كإقامتهم[٥] .

وإذا انتقلنا إلى العصر الإسلامي فإننا نلمس ذلك النفس الشعري الملحمي في القصائد الشعرية إبان الغزوات والفتوحات الإسلامية ،وقد اشتهرت سبع قصائد طويلة عُرفت بالملحمات ،وهي من صنع الفرزدق، وجرير،الأخطل ،وعُبيد الراعي ،وذي الرمة ، والكميت ،والطرماح ،واستمرت محاولات الشعراء طرق الشعر الملحمي حتى مستهلّ القرن العشرين ،إذ ظهرت الملحمة ملفتة للنظر وبثوبٍ جديدٍ ،وبمواضيع متنوعة قلّما تطرّق إليها الشعراء في العصور السابقة ،وردَّ الأدباء هذه الظاهرة إلى يقظة العرب والتفاتهم الى إمجاد أسلافهم[٦] .

تُعدّ ملحمة الشاعر أحمد شوقي (دولة العرب وعظماء الإسلام) التي بلغت ١٧٢٦ بيتا من الملاحم الشعرية الرائعة ابتدأها من ولادة الرسول العربي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) إلى آخر الدولة الفاطمية وكتبها أيام نفيه ، و نظم الشاعر عامر محمد بحيري ملحمته (أمير الانبياء) نشرت عام ١٩٥٤ م تناول فيها حياة النبي الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) من مولده الشريف إلى وفاته ، وتقع في ألف ومئتي بيت وكانت على بحر الوافر، والتزم في كل عشرة أبيات رويا واحدا . وكانت له ملحمة أخرى صور فيها الأحداث السياسية التي مرّت بها مصر وتقع في ألفين وأربعمئة بيت على البحر الكامل وتعدّدت فيها القافية . امّا شاعرنا الكبير الزهاوي فقد كانت له ملحمة شعرية عنوانها (ثورة في الجحيم) تناول فيها حياته بعد الموت وكيف يسأل في القبر ثم يصف أخذه الى الجحيم، ووصف الصراط ،وهناك مطوّلات وملاحم كثيرة منها قصيدة الرصافي في نكبة بغداد وقصيدة سامي البارودي في مدح الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) وكذلك قصيدة عبد الرزاق الهاشمي صوّر فيها بطولات وشجاعة الثوار في ثورة العشرين المباركة ،وللشاعر أيوب عباس ملحمة تناول أحداث قيام الجمهورية العراقية وسقوط الملكية ،وملحمة (الحرب المقدسة) للشاعر محمود محمد صادق صوّر فيها حرب فلسطين وغيرها ،كما إن للشيخ عبد المنعم الفرطوسي (ملحمة أهل البيت) وهي موسوعة ضخمة ودائرة معارف كبرى تضمّ بين دفتيها ألواناً من المعارف الإسلامية الغنيّة بالمضامين العقائدية، والتاريخية، والفلسفية ،والتربوية وتجلّت عبقرية الشيخ الفرطوسي في قدرته الفائقة على جمع، وتنسيق عشرات المواضيع المختلفة وصبّها في قالبٍ شعري جميلٍ وأسلوبٍ ادبي رائع يمكن القارئ من استيعابها بسهولة [٧] .

ملاحم الشعر المسيحي :

الشاعرُ المسيحي حين يكتب شعراً في أهل البيت النبويّ الشريف عليهم السلام، وأن يتحدّث عن بعض المفردات التاريخية التي تُحرِّك الجدل في كثير من خطوطها العامة والتفصيلية، ليكون له رأيٌ فيها على

أساسٍ تاريخيٍّ فكري.. أن يفعل ذلك كلَّه في حركة الثقافة في الوجدان، وفي انطلاقة الوجدان في الشعر، قد يكون شيئاً لا يتقبّله بعض الناس الذين اعتادوا أن يكون التاريخ الإسلامي خصوصيّةً للمسلمين، والتاريخ المسيحي خصوصيّةً للمسيحيين، فليس لأيّ مسيحيٍّ أن يعالج شأناً إسلامياً في قضايا الفكر ووقائع التاريخ، وليس لأيّ مسلم أن يمارس ذلك أيضاً في الشأن المسيحي.ولكن المسيحيَّ قد يعيش الإسلام حضارةً ،وروحاً ،وحركةً وإنسانيّة، إذا لم يَعِشه في حالة انتماء، وقد يعيش المسلم المسيحية في عناصرها القيمية الأصيلة رسالةً يؤمن بها ويلتزمها ويخشع لها في شخصية السيّد المسيح، الرسول الإنسان الذي هو رُوح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، السيدة الطاهرة التي اصطفاها الله على نساء العالمين،إنّ الحقيقة لا حدود لها في الإنسان ـ الفكر في حركتها الفكرية، وفي الإنسان الروح في امتدادها الروحي، والمعرفة إرث الإنسانيّة، في كلّ عطاءات الحياة المثقفة في ساحة الحوار وحركيّة الصراع[٨].

إننا نتصوّر أنّ للمسيحي الحقَّ في أن يبحث القضايا الإسلامية التي يملك عناصرها المعرفية، فيعطي رأياً هنا وموقفاً هناك ممّا يمكن للآخرين أن يناقشوه فيه من دون عقدة، وللمسلم الحقّ في أن يبحث القضايا المسيحية ليحدد اتّجاه الرأي فيه، ممّا قد يتحرّك الرأي الآخر نحوه في عملية مناقشةٍ وحوار.

يقول الشاعر بولس سلامة : ورُبَّ معترضٍ قال: ما بال هذا المسيحي يتصدى لملحة إسلامية بحتة ؟ أجَل، إنني مسيحي، ولكنّ التاريخ مشاع للعالمين. أجل إنّي مسيحيٌّ ينظر من أفق رحب لا من كُوّةٍ ضيّقة، فيرى في غاندي الوثنيّ قدّيساً، مسيحي يرى (الخَلق كلَّهم عيال الله)، ويرى أنْ (لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ إلاّ بالتقوى).مسيحيٌّ ينحني أمام عظمة رجلٍ يهتف باسمه مئاتُ الملايين من الناس [أي النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وآله]، رجلٍ ليس في مواليد حواء أعظمُ منه شأناً، وأبعد أثَراً، وأخلد ذِكراً، رجلٍ أطلّ من غياهب الجاهلية فأطلّت معه دنيا أظلَّها بلواءٍ مجيد، كُتب عليه بأحرف من نور: لا إله إلاَّ الله! الله أكبر! قد يقول قائل: ولِمَ آثرتَ عليّاً عليه السلام دون سواه من أصحاب محمّدٍ صلّى الله عليه وآله بهذه الملحمة ؟ ولا أجيب على هذا السؤال إلاّ بكلمات، فالملحمة كلّها جواب عليه، وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون: (رضيَ الله عنه، وكرّم الله وجهَه، وعليه السلام)، ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثّلون بحِكَمه ويخشعون لتقواه، ويتمثّل به الزهّاد في الصوامع فيزدادون زهداً وقُنوتاً، وينظر إليه المفكّر فيستضيء بهذا القطب الوضّاء، ويتطلّع إليه الكاتب الألمعيّ فيأتمّ ببيانه، ويعتمده الفقيه المدرك فيسترشد بأحكامه[٩] .

ويطالعنا الأدب العربي بقائمة كبيرة من قاماته السامقة من الشعراء والأدباء المسيحيين الذين استلهموا من يوم الغدير الروح الإنسانية الكبيرة فكتب الشاعر اللبناني بولس سلامة ملحمة (الغدير) التي تبلغ أكثر من ثلاثة آلاف بيت، كما كتب ملحمة (علي والحسين) التي تبلغ (٢٢٠) بيتاً، وكتب عبد المسيح انطاكي (الملحمة العلوية) التي تبلغ (٥٥٩٥) بيتاً، وكتب ريمون قسيس ملحمة (الحسين) التي تبلغ

أكثر من مائة بيت ،وكتب جورج شكور وهو شاعر مسيحي ولد في قرية شيخان قضاء جبيل وله ملحمة اسمها (الحسين)،وكتب ريمون قسيس وهو شاعر مسيحي ولد في زحلة بلبنان درس في الكلية الشرقية ومارس التدريس والعمل الإداري في دائرة التربية الوطنية، وتعدّ ملحمته (الحسين) التي تبلغ (١١٥) بيتاً على وزن واحد وقافية واحدة إشراقة روح شاعر تفجّرت فيها المشاعر معبّقة بدماء كربلاء..

المحور الثاني:

التداولية منطلقا للقراءة :

كان لبلاغة شعراء الملاحم المسيح الدور الأكبر في استثمار قواميس اللغة التي تولدت منها لغة ملاحمهم الشعرية، والتي تراوحت بين السهولة ،والبساطة أحياناً وبين القوة ،والإيحاء أحياناً أخر، وذلك بحسب الظروف، والسياق الذي أنتجت فيه ومنه، فاللغة كانت وسيلة فعّالة في التأثير، والاقناع، والهدف في نجاح عملية التواصل. من خلال استثمار الشعراء لواقعة الغدير ،ونسج خطابٍ شعري يحمل قابلية التوجيه والتأثير.

وكانت هناك عدة تساؤلات طرحت نفسها أثناء قراءتنا... فيها:

- كيف أسهمت اللغة والدلالة في تحقيق فعل التواصل.
- ما علاقة الوظائف اللغوية والاستعمال.
- الكفاءات اللغوية التي استند عليها الشعراء في تحقيق مقاصدهم.
- ما مدى تفاعل المتلقي مع هذه المقاصد.
- هل للسياق دور في تحقيق فعل التواصل.
- ما الوسائل والأدوات الإجرائية التي توّخاها الشعراء في تحقيق هدف الإقناع والتأثير.

للإجابة عن هذه التساؤلات كان لابد من منطلق لتوضيح منهج القراءة التداولي.

تعطي التداولية أهمية بارزة لأقطاب العملية التواصلية اللسانية ،وهي بذلك تعكس المسار في اتجاه أغلب المناهج النقدية في بحثها عن (مقاصد المتكلم) كونه عنصراً فعّالاً في عملية التواصل، وأعطت للظروف السياقية أهمية كبيرة كونها تعمل بشكلٍ مباشرٍ في تأدية مقاصد المتكلم كما وضّحت دور المتلقي في استغلال الظروف السياقية للوصول إلى تلك المقاصد.

التداولية تيار نشأ بامتزاج ،وتقاطع مجموعة كبيرة من الأفكار ،والنظريات تتفق في الطابع الاستعمالي للغة، تعدّدت تعاريفها بحسب الفائدة التي تقدّمها، فهي تهتمّ بمقاصدِ المتكلمِ ،والبحث في أغوارِ معاني الكلام ،ومحاولة اكتشاف الأغراض التي يريدها المرسل من رسالته.

وبحسب التنوع في الفائدة تنوّع ترجمة مصطلحها إلى العربية فسمّيت بالتبادلية، والاتصالية، والنفعية ،والذرائعية لتكون فرعاً من فروعِ اللغةِ يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم[١٠] .

اهتمّ الدارسون بأثر تفاعل اللغة مع الظروف ،والمقامات في المجتمع وكيفية استعمال آليات اللغة في النظام الاجتماعي، وتعنى التداولية بالاستعمال العادي للغة من خلال العناصر الثلاثة (المتكلمون- السياق- الاستعمالات العادية للكلام)، إذ تهتمّ بالمتكلم، والسامع مشاركاً في فعل الكلام والحدث التواصلي،

وتهتمّ بظروف الكلام ومقام الحال، وكل ماله صلة بالكلام من عوامل خارجية، أو تناسب حالا من الأحوال، أو تنافر للحدث الكلامي، وتهتمّ بالسياقات اللغوية للمتكلمين حسب الواقع اللغوي فتبحث في الكيفية الخطابية لتستنتج من كل ذلك مقاصد الخطاب، فهي تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال[١١] .

تعطي التداولية للسياق دوراً بارزاً في العملية التواصلية، والسياق هو مجموعة شروط إنتاج القول، وهذه الشروط خارجية عن القول ذاته ،فالقول وليد مقصد معيّن يستمدّ وجوده من شخصية المتكلم ،ومستمعيه ويحصل كل ذلك في وسطٍ معيّن (مكان)، وفي لحظة معيّنة (زمان)،ويصبّ اهتمامها بدراسة العلاقة بين اللغة والسياق، والمتكلم ،والسامع ،والظروف المكانية والزمانية، ومقاصد المتكلم، وظروفه، وكيفية وصول الكلام إلى السامعين، والظروف المحيطة بهم ،ودراسة العوامل التي تؤثّر على اختيار المتكلم للغة وتأثير هذا الاختيار على المتلقي ،التداولية تبحث في الحقيقة الفعلية أثناء تناول الظواهر اللغوية وتحليلها في واقعها الحقيقي الذي انبثقت منه ،والأبعاد التي تأخذها عند المتلقي في الزمان والمكان[١٢] .

وهي بذلك لا تُعدّ علماً لغوياً محضاً بل هي نظرية لأنها تستندُ إلى حقولٍ معرفيةٍ مختلفةٍ ،علمٌ جديدٌ للتواصل يَدرُس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال متكئً على مشاريعٍ معرفيةٍ متعدّدةٍ في دراسة الظواهر في مستوياتها المتداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية ،والعمليات الذهنية المتحكّمة في الإنتاج، والفهم اللغويين ،وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال لذلك هي تستند على الفلسفة التحليلية ممثّلة بفلسفة اللغة العادية ،وعلم النفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملاءمة على الخصوص ،وعلم التواصل واللسانيات[١٣] .

ونتيجة هذا التعالق أضحى للتداولية مهام تميّزها منها:

١- دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي كونها (كلاماً محدداً) صادراً من (متكلمٍ محدّدٍ) موجّه إلى (مخاطبٍ محددٍ) بـ (لفظٍ محددٍ) في (مقامٍ تواصلي محددٍ) لتحقيق (غرضٍ تواصلي محددٍ).

٢- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

٣- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشرِ وغير الحرفي على التواصلِ الحرفي المباشرِ.

٤- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات[١٤] .

تهتم التداولية بالاستخدام اللغوي وأثره في بناء النص الشعري ، لذلك ارتسمت في الذهن جملة من الافتراضات المسبقة أفضت إلى ولادة مجموعة من الأسئلة حاولنا الإجابة عنها من خلال قراءة المنهج وتطبيق آلياته الإجرائية على نصوص مختارة من الشعر الملحمي لمجموعة من الشعراء المسيح الذين استثمروا معطيات يوم الغدير في بناء نصٍ شعري ملحمي له قابلية التوجيه والتأثير،لتكون القراءة ذاتَ بعد شمولي تحاول اعطاء نتائج أبعد ،وأعمق، وتحليلها وفق إجراءات النظرية التداولية لنبين القدرة، والكفاءة اللغوية والابداعية التي ملكها الشعراء،

وطريقتهم في استخدام اللغة كوسيلةٍ توصيليةٍ ذات أبعاد دلالية عميقة الغور لكشف ستار الحجب عن جملة من المقومات التي بنيت الدراسة عليها:

١- النص الشعري الملحمي يحتلّ جزءاً واسعاً من الفضاء التواصلي يمتدّ فعله إلى فضاءات تواصلية.

٢- النص الشعري الملحمي يعتمد على الجانب المجازي في اللغة اعتماداً واسعاً وبذلك يعتمد على بناء الفعل الكلامي غير المباشر وبذلك يحقّق الجانب التداولي منه.

٣- إذا كان انجاز الفعل في النص الملحمي متعّلقا بالأطراف المتخاطبة ما حدود هذه الأطراف ؟

المحور الثالث :

استراتيجيات القصد في الملاحم ومستوياتها اللغوية

الاستراتيجية مجموعة من عمليات المعالجة الموجّهة إلى هدف والجارية عن وعي لإنتاج أهداف بعيدة المدى، وتقوم على سلسلة من عمليات اختبار واتخاذ القرار .توضع من خلالها خطوات العمل ووسائل التنفيذ وصولاً إلى تحقيق الأهداف عبر طرائقٍ محدّدةٍ تتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمةٍ من المهامِ أو هي مجموعة من عمليات تهدف إلى بلوغِ غاياتٍ معيّنةٍ أو تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددةٍ، والتحكم بها .ويمكن القول انها خطة تهدف الوصول إلى الغرض المنشود وهذه الخطة تكون ذا بعدين الأول: تخطيطي يتحقّق على المستوى الذهني، والثاني: مادي ممثل بتجسيد الاستراتيجية، ويرتكز العمل في البعدين على الفاعل الرئيسي (مخطط الإستراتيجية ومنفذها) الذي يخطّط ويختار الإمكانات ليضمن الوصول إلى تحقيق الأهداف[١٥] .

وأبرز استراتيجيات القصد في شعر الملاحم هي:

١- الاستراتيجية التضامنية

يحاول أن يجسّد (المرسل درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرّب من المرسل إليه أو تقريبه) [١٦]

عبر استعمال اللغة للأغراض الاجتماعية التي يودّ الأفراد تحقيقها في المجتمع، إذ تقوم اللغة بوظيفة تفاعلية تسهم وبشكلٍ كبيرٍ في إقامة تلك العلاقات الاجتماعية وتثبيتها، إن قدراً كبيراً من المعاملات التي تقوم بها الناس تنهض بها اللغة بالدرجة الأولى بوصفها أداة اتصال وتعامل بين الأفراد ، سواء كان التعامل عبر المحادثات اليومية ،أو ما يكتب للتعبير عن علاقاتهم كالخطبِ والأشعارِ والسيرِ ،وإن استعمال النصوص المكتوبة أكثر تجسيداً لصياغة الوظيفة التعاملية للغة، وهذا ما يمثّله الشعر بشكلٍ كبيرٍ في التعبيرِ عن الدور التعاملي ،والتفاعلي للغة معاً، يسعى المُخاطِب إلى تبليغ معلومات ،ووقائع تتصل بالتاريخ والدين والمجتمع، وتقوية العلاقة بينه ،وبين المُخاطب عبر إيجاد وسائل لتدعيم العلاقة مثل الحالة الاجتماعية والخصائص المشتركة والدين ، واشتراك معيار العلاقة بين طرفي الخطاب تسهم في اختيار استراتيجية ملائمة للتعبير عن المقاصد بما في ذلك نوع العلاقة بكونها من العناصر المؤثّرة في ذلك الاختيار ،وقد تكون هذه العلاقة موجودة سلفاً

وإن لم تكن موجودة يسعى منتج الخطاب إلى إيجادها وقد تكون علاقة بُعدَ وصدَّ بحسب نوعية المخاطب لأن نوعيته وحالته ومقامه تؤثّر في انتقاء طريقة لإنتاج الخطاب[١٧] .

وقد ترجم الشعراء تلك العلاقات الاجتماعية القائمة على الودَّ ،والمحبة والاحترام للرسول الكريم، والإمام علي محور خطاب الغدير حسب ما اقتضاه سياق الخطاب ،والعلاقة المباشرة بالمخاطب مقدّمين مرتكزات ،ودعائم قوية لتثبيت هذه العلاقة، ورفض شتى سبل انتهاك الدعائم التي تجلّت في افتخارهم بذلك الحب وتلك العلاقة الروحية التي جمعتهم بالرسول، والإمام علي (عليهما السلام) معززين سبل الحفاظ على قوتها وهيبتها ،مستثمرين كفاءتهم اللغوية من ألفاظ وعبارات لغوية للدلالة على علاقتهم ،وتثبيت أواصرها لإحداث التفاعل بينهم وبين المرسل إليه وتجلّى ذلك بوضوح في أغلب الملاحم التي تناولت محاور يوم الغدير من الأحداث والشخصيات والمكان والزمان والحوار.

اذ يقول جورج شكور من ملحمته الامام علي[١٨]

حجَّ الرسُول ،فيا ركائبُ سيري حجّ الوداعِ ،وكان يوم غديرِ

وافَتهُ من شتى الجهات خلائقٌ وفدت لتشهد روعة التكبير

وقد استعان شعراؤنا بمجموعة من الأدوات اللغوية لبناء استراتيجيتهم منها

١-العلم: (الاسم، الكنية، اللقب):وهو استعمال الاسم الأول للمرسل إليه عند ندائه أو التعبير عنه إذا كان المرسل أدنى رتبة من المرسل إليه رغبة في التعاطف، إذ إن لها قوة في التضامن العاطفي بين الشاعر ،والمخاطب ولو أحصينا نصوص الشعراء التي تناولت يوم الغدير ثيمة موضوعية نلمح ذكر الكثير من الأسماء ،والكنيات ،والألقاب ليكون لها الأثر الكبير في النفوس وليعطي للنصوص زخماً شعورياً، وتضامناً يحقّق التواصل والتأثير .

كما في قول عبد المسيح انطاكي[١٩] :

والمصطفى أَسمع الحجاج خطبته ال غرَّا التي كان للتوديع مُلقيها

وضجت الناس في تلك الربوع فدى آثامها ولقد تابت أضاحيها

أَفاض أَحمد من حج الوداعِ ومعه الناس قد رجعت تبغي مَثاويها

الفعل المنجز من قبل المرسل (الشاعر) مدح الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عبّر الشاعر بوصفه مرسلا عن قصده الصريح من خلال ذكر المخاطب الذي هو اعلى منه رتبة مرة دون كنية بقوله(أحمد)ومرة بلقبه (المصطفى) ويعود ذلك إلى حرص الشاعر على تقوية أواصر الحب، والاحترام لشخص الرسول الكريم، ويبدو أن السياق النصي للمقطوعة المدحية قد اتكأ على التصريح لإبراز قصد المتكلم والنطق باللقب ليكون مظهرا من مظاهر انسجامه .

امّا جورج شكور قد صرّح بالاسم من بداية النص قائلاً[٢٠]

وعليٌّ مني ,ماعلي ؟مثلما أنا منه ،وهو خليفتي ووزيري

وسنلتقي ،يوما على الحوض
الذي كاساته من فضَّة واثير
ولسوف يأتيهم عليٌّ مبكرا
في الوافدين وقبل كُلِّ بكيرِ

ويصرّح بولس سلامة بالاسم في أكثر من نص قائلاً[٢١]

عيدك العيد ياعلي فإن يصمت
حسود أو طامس للبدور

تكرار الاسم الصريح أصبح استعماله في النص تداوليا دليلا على التضامن بشرط تلفّظ المرسل به بالتنغيم على المستوى بشكلٍ مناسبٍ للسياق والمعنى والقصد .

٢- المكاشفة:

يُعّد الكشف عن القصد عنصراً مهمّاً للتضامن، ودليلاً عن القرب، واطلاع الغير على الأشياء العامة ،وكشف أدقّ الخصوصيات فصراحة القصد مع المرسل إليه دليل على الثقة فيه، وانه سيتضامن مع القصد[٢٢] ،وقد استثمر الشعراء هذه الاستراتيجية كثيراً في نصوصهم كما في قول عبد المسيح انطاكي[٢٣]

فقال أَحمد :هلا تشهدون بأن
الله ذاري البرايا وهو مفنيها
وإنَّني لرسول الله جئتكُم
بمنزلِ الآي والرحمن مُوحيها
وإنَّ جنتهُ حقٌّ وحشركم
حقٌّ ونيرانه حقٌّ يُلظيها
قالوا بلى شهدنا قال احمد :يا
رباه فاشهد ووالى القول تجريها
وقال :هلا أنا أولى وأجدر من
نُفُوسكم بكم هل توهبونيها
قالوا: نعم بلسانٍ واحدٍ ومحمدٌ
إجابتهم ذي راح راضيها
ومال للمرتضى الثاوي بجانبه
وكان يمسك يمناه ويعليها
وقال :من كنت مولاه علي له
مولى ورغباي ذي بالجهر أبديها
ثم توجه لله القدير بوجهه
وأصحابه تُصغي لهاديها
وقال :لا هَمَّ من والى عَليكَ
واله وأعداؤه أنت المعاديها

في العملية التخاطبية الجارية داخل النص نجد المرسل يفصح ،ويكشف بكل مابداخله للمرسل إليه او مجموعة المرسلين(قالوا) إذ يعكس التصريح بالقصد تفاعل الشاعر مع مضامين القضية ،والتصديق بها ممّا حرى به إلى استثمار هذه الاستراتيجية التضامنية لبيان قصده والإخبار به.

٢-الاستراتيجية التوجيهية:

يهدف المرسل إلى تبليغ قصده من وراء الخطاب عبر هذه الاستراتيجية وأن يفرض قيداً على المرسل إليه وإن كان قيداً بسيطاً، وأن يمارس فضولاً خطابياً عليه وتوجيهه لمصلحته بنفعه، وإبعاد الضرر عنه حتى لو أدّى هذا إلى التدخل والضغط على المرسل إليه الذي يكون هنا على صنفين، الأول: المتخيّل وهنا يكون المرسل على معرفة سابقه بالمرسل إليه، ويتصف خطابه بالعمومية والديمومة والمناسبة لكل

زمان، والثاني هو الحاضر عند التلفّظ بالخطاب فيكون التوجيه مقتصراً عليه لضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب،ويعدّ التوجيه في الخطاب أكثر من مجرّد فعلٍ لغوي حسب تصنيف جاكبسون إذ يسمّي وظيفة التوجيه في اللغة بالإيعازية أو الندائية . [٢٤]

وفرّت اللغة مجموعة من الوسائل اللغوية التي اعتمدها الشعراء لتوجيه خطابهم وإثبات كفاءتهم اللغوية، وبراعتهم الأدائية في توجيه الخطاب ومنها:

١-الامر:

في شعر الملاحم المسيحية ،وخاصة التي تناولت يوم الغدير دائماً ما يخرج الأمر إلى التوجيه، ويصبغ بالطابع الحكمي الذي يحمل بين طياته التأدب والإرشاد ،كما في قول الشاعر عبدالمسيح الانطاكي في ملحمته[٢٥] :

انصرْ بحولك قوماً عن تُقى نصرت
راياته والألى بالصدق تُريها
واخذل بعدلك يارباه أنفس من
نوت له الخذلة السُّوءى مطاويها
أعنه لا هُم في سامي مقاصده
أعنْ معينيه ربي مع مُعينيها
والحقّ ربي أدرهُ كيف دار
لينصُر أو يخزي أعاديها

وقول جورج شكور في ملحمته [٢٦]

بلِّغ ،فأنت رسول ربك ،صادقا
وحي الإله ،وأنت خيرُ جدير

يستشفّ من النصوص بقرائنه اللغوية(نصر ،اخذل ،ادره،بلغ) ان القصد التواصلي ليس اصدار الأمر ،بل قصد متضمن معنى اللين والتـأدب،وبذلك تقهقر القصد الاخباري للإمر في النصوص الشعري لتتصدّر دلالة الدعاء والخضوع والعفو.

٢-الاستفهام :

وهو طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً، وذلك بإحدى أدواته، وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي فيستفهم بها عن شيءٍ مع العلم به لأغراض تفهم من سياق الكلام ودلالته[٢٧] ،لعب الاستفهام دوراً مهماً في المقطوعة الحوارية في ملحمة الغمام علي لجورج شكور إذ يقول[٢٨] :

ياأيها الناس الكرام ،لموشكٌ
أنِّي سأدعى ,حان يوم مسيري
فأجيبُ دعوته ،وإني مثلكم
آمنتُ ،بات ضميركم كضميري
ماذا تقولون ؟انتظرت جوابكم
أتُراهُ أخطأ أم أصاب شعوري ؟
قالوا سنشهدُ أن حملت رسالةً
بلغتها ،وغدت حديث دهور
وعلي منِّي ،ما عليٌّ؟مثلما
أنا منه ،وهو خليفتي ووزيري
وسنلتقي يوماً ،على الحوض الذي
كاساتُه من فضة وأثير
ولسوف يأتيهم عليٌّ، مبكراً
في الوافدين ،وقبل كل بكير
وهناك أَسألهم :تُرى حفظوا مع
الآيات مِ القرآن أمر أميري؟

أنجز الشاعر بوصفه مرسلا أفعالا انجازية

باستراتيجية توجيهية موظّفا تقنية الاستفهام الذي خرج من دلالته الأصلية إلى دلالة سياقية قصدية أخرى ،فالمحتوى القضوي للخطاب الموجّه للمرسل إليه هو توجيهه للآخذ بمضامين ما جاء في خطبة الغدير، والإيمان بالتكليف الشرعي بإمامة علي (عليه السلام)،وانه خليفة الرسول من خلال الدلالة المركزية في النص، والتي تجسّدت في البيت الأخير وسألهم عن حفظ ماجاء من أمرٍ في تلك الواقعة التي حدّد فيها الرسول الكريم سبل النجاة ،والارتقاء حين الآخذ بها، ووصول المرسل إليه الى مكافأته على الطاعة بلقاءِ الرسول على الحوض الذي كاساته من فضةٍ وأثير، فالمرسل لم يقصد من الاستفهام تلك الدلالة الصريحة المباشرة، وإنّما قصد التوجيه والإنذار الذي تولّد بفعل السياق النصي والمقامي .

٣-التوجيه بذكر العواقب: وهي من الآليات التي استثمرها الشاعر عبد المسيح الأنطاكي في ملحمته موظّفاً ما فيها من أفعال انجازية للتوجيه، وهذه الآلية ليس حكراً على ميدانٍ معيّنٍ أو مرسلٍ خاصٍ بل هي ملك كل من يرى أنها تخدم سياق خطابه[٢٩] .

يقول[٣٠] :

وسارت الركب في قول الرسول
لأطراف الجزيرة ترويه لأهليها
تقول للمرتضى أوصى الرسول على
غدير خم بذا أولاه تجويها
وما مضت مدة حتى الوصية شا
عت في الأعارب في سامي معانيها
قالوا :إرادة طه من إرادة با
ريه فلا مسلم برٌّ يناويها
إلا أُناسٌ أَكَنَّت بغضةٌ لعلي
ما نست أُنه قد كان غازيها
فأستعظمت أمر هاتيك الوصية لم
ترغب بها كذَّبت من راح يرويها
أو أنَّها حسداً كانت تؤول ها
تيك الوصية أو تسعى لتُخفيها
والناس إذ كثرت شتى مطامعها
لا الانبياء ولا الاملاك ترضيها
كما نرى الحارث الفهري تغضبهُ
وصية المصطفى يعنى لينفيها
ماحدثوه بها حتى امتطى عجلاً
جواده وسعى في الارض يطويها
وإذا أتى طيبة ألفى الرسول بها
في المسجد النبوي الناس يفتيها
فجاءهُ غاضباً في زي مشتبهٍ
وسائلٍ عن أمورٍ ليس يدريها
نادى :أأحمدُ قد امرتنا فأطعنا
خمسةً ماسمعنا قبل ساديها

الى قوله:

وقلت من كنت مولاه العليُّ لهُ
مولى المقالةُ ذي قد أسمعونيها
فقل لنا جهرة هل ذي المقالة من
أوضاع نفسك أم باريك مُوحيها
فقال :أحمد بل من عند ربي ما
مني ألِيَّةُ حقٍ رحت آلِيها
والله والله ألقاها الإله إليِّ
مثلما كنت بين الناس مُلقيها

والحارث اغتاظ من قول الرسول وولى

في خطى ليس يدري كيف يخطيها

وقال :إن تك حقاً ياإلهي قو

لةُ الرسول وحقاً أنت باغيها

أرسل علينا جميعاً من سمائك أحجاراً

وعذّب نفوساً رُمت تشقيها

وما أتمَّ خزاه الله قولتهُ

في باب مسجد طه وهو تاليها

إلاّ الحجارة من عالي السماء عليه

الله سبحانه قد كان راميها

فمات حالا وتلك الحق معجزةٌ

بها أطاع رسول الله رائيها

وأيقنت أمة الهادي بأنَّ علينا

لقد فاق كل الناس توجيها

تحمل البنية الاخبارية في العملية التحاورية التي جسّدها الشاعر بين الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم ،وبين الفهري السياق التداولي للأحداث بعد خطبة الغدير ،والتي تبيّن تأكيد المرسل على التسلسل التصاعدي لمجرياتها وصولا الى قمة الحدث في البيت الآخير:

وأيقنت أمة الهادي بأن عليا

لقد فاق كل الناس توجيها

الذي يمثّل الدلالة المركزية للنص بوصفه فعلا انجازيا كشف عن الأنساق المضمرة المتخبئة تحت كل مجريات الأحداث المتنامية داخل الحوار ،ليفصح عن المسكوت عنه متكئا على آلية (ذكر العواقب) التي عُدت من الآليات المهمة في بنية الخطاب التداولي، والتي استعان بها الشاعر لتثبيت المعنى اولاً: بأنَّ الإمام عليا عليه السلام هو المكلّف بولاية المسلمين ،وثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه ثانياً ،وموافقته له لاشتراكهما في المعنى ،لان المسكوت عنه هنا موافق للمنطوق به في الحكم وهذا مايسمّى بمفهوم الموافقة، ويسميه بعض الأصوليين مفهوم الخطاب ،ويسميه آخرون دلالة النص[٣١] .

الخاتمة:

حاولت القراءة الكشف عن فاعلية ومقتضيات واقعة الغدير في ملاحم الشعر المسيحي ،مستعينة بإجراءات النظرية التداولية ،فقد قامت بصورة أساسية على الكشف عن استراتيجية القصد ومستوياتها اللغوية ،بوصفها من أساسيات بناء النص وضرورة مهمة في ربط وتلاحم أجزائها .

وقد توصلت القراءة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١- استطاع الشاعر المسيحي أن يمازج بين التجارب مزجاً محكماً يكاد يتوه معه القارئ بما أُوتي الشاعر من قدرةٍ لغويةٍ إبداعيةٍ مكنّته من توظيف التجارب الدينية، والإنسانية وإحيائها، واختزالها في لغةٍ شعريةٍ مرّكزةٍ ومحدودةٍ ،توحي إن اللغة ليست أداة اتصال فحسب ،وإنما هي أداة سحرية للسيطرة على الأشياء ،والكائنات ممّا أعطاها ذلك البعد التداولي الناتج عن المحاكاة الشعرية للتجارب الإنسانية للأنبياء والأولياء، والصالحين لجعل القارئ يعاين التجربة، ويستلهم منها العبر ،والحكم فيما يخدم به نفسه ومجتمعه ، ولإعطائها العناية في فضاء الاستشهاد وسعة تأثيرها في المجتمع الانساني وتداولها،وهو دليل على أهمية هذه المدونة الشعرية في تاريخ

الأدب العربي والإسلامي، هذه المقومات مجتمعه توصلنا إليها عبر قراءة هذه الملاحم الشعرية المميزة بطاقتها الفنية، واللغوية، والموضوعية، والتي تجلّت فيها واقعة الغدير بكل ماتحمل من المعطيات الدينية ،والإنسانية خدمةً للبشرية جمعاء مما حدا بشعراء الملحمة المسيح استلهام مضامينها، وصبّها في قالبٍ شعري مميزٍ اعطاها قابلية التداول، والتأثير في كل زمان ومكان .

٢- في قراءة الملاحم تداولياً رصدناَ مجموعة من الأسئلة عن المتخاطبين، المتكلم؟ وغيرها من الاسئلة التي أجابت عنها التداولية بتحليلها للكلام العادي فكيف الحال مع نصوص ملحمية راقية بفكرتها، وطريقة نظمها، وغيرها من وسائل التشكيل التي جعلت منها نصاً خالدا بخلود الفكرة التي نظمت من أجله وهي (يوم الغدير).عبر رصدنا لبعض المعطيات السياقية التي اختارها الشعراء، ودورها في بناء استراتيجية تخاطبية ملائمة لنقل المعنى، والمقصد المتوخى تحقيقه.لذلك اعتمدنا تحليل بعض الاستراتيجيات التي مكّنت الشعراء من بناء مقاصدهم برصد العناصر السياقية التي جعلت من نص الملحمة ممارسة تجري تداولياً ممّا يحول دون ثبات سماتها فالمرسل متجّدد والمرسل إليه متجدّد كذلك ،ممّا يؤكّد إن المتن الشعري الملحمي المسيحي ملائم للقراءة التداولية ،وذلك لتوفّر الأسس التي تقوم عليها وهو مبدأ القصدية .

٣-اعتنى الشعراء المسيح بخطابهم الشعري بمستوياته المتنوعة مدركين أهمية عناصر إنتاج الخطاب أثناء عملية التخاطب من وظائف ومقاصد لأجل تحقيق فعل التأثير على المتلقي من خلال استثمار مجموعة من الاستراتيجيات التي اعتمدوها في بناء خطابٍ موجّه بوصفها طريقة ناجحة للأقناع وهذا ما نادت به التداولية ،إذ كانت الاستراتيجية التضامنية وجها من أوجه انزياح أطر الانتاج الإبداعي الذي اعطى للوظيفة التوصيلية والتفاعلية أهميتها في تأكيد فاعلية الخطاب وتثبيت وتأكيد حكمه ، مستثمرا الاسم العلم والكنية واللقب في بنائه وكانت المكاشفة وسيلة مهمة لكشف قصد المخاطب،وقد اتخذ الشعراء من الاستراتيجية التوجيهية بمستوياتها اللغوية كأسلوب الأمر والاستفهام والتوجيه بذكر العواقب لتحقيق التأثير المرجوّ.

الهوامش

١- ينظر: معجم مقايس اللغة ،احمد بن فارس،ت-عبدالسلام محمد هارون ،مكتب الاعلام الاسلامي ،قم ١٤٠٤ه،ج٥-ص٢٣٨.وينظر لسان العرب،محمد بن مكرم ابن منظور،نسقه ووضع فهارسه علي شيري،دار احياء التراث العربي –بيروت ، ط١ -١٩٨٨،ج١٢-ص٢٥٤.

٢- ينظر:المعجم المفصل في اللغة والادب،اميل بديع يعقوب ، وميشال عاصي ،دار العلم للملايين –بيروت ،ط١،١٩٨٧،ج٢،ص١١٩١ .

٣ - ينظر:معجم المصطلحات العربية في اللغة ،و والأدب،مجدي وهبه، وكامل المهندس، مكتبة لبنان –بيروت ،ط٢،١٩٨٤،ص٣٨٣ .

٤ - ينظر:الياذة هوميروس ،سليمان البستاني ،دار أحياء التراث العربي،بيروت،د.ت،ج١،ص١٦٦،وينظر:فن الشعر أرسطو ،ترجمه وشرحه عبدالرحمن بدوي ،دار الثقافة- بيروت،١٩٧٣،ط٢،ص٦٧ .

٥ - ينظر تاريخ اداب العرب ،مصطفى صادق الرا فعي ،دار الكتاب العربي _بيروت،١٩٧٤،ج٣،ص١٤٤-١٤٥،وينظر ادباء العرب في الجاهلية والاسلام ،بطرس البستاني ،دار نضير عبود–بيروت ،١٩٨٩،ج١،ص٤١-٤٢ ،وينظر:الشعر الملحمي تاريخه واعلامه،جورج غريب ،دار الثقافة –بيروت،ص١٢

٦ - ينظر:جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ،أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ،حققه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي ،د-ت،ص٦٩٤،وينظر :الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ,أنيس مقدسي ،دار العلم للملايين_بيروت ،ط٥ ،١٩٧٣،ص٣٩٥.

٧ - ينظر: دول العرب وعظماء الإسلام ،احمد شوقي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢،وينظر:أمير الانبياء،عامر محمد بحيري ،مطبعة العلوم –القاهرة،١٩٥٤ ،وينظر:ملحمة اهل البيت،عبد المنعم الفرطوسي ،مؤسسة اهل البيت ،لبنان-بيروت

٨ - ينظر :أهل البيت في الشعر المسيحي http://arabic.al-shia.org

٩ - ينظر :الامام علي في عيون الشاعر بولس سلامة،ناجي بن داوود الحرز،مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر،٢٠٠٥،ص١١

١٠ - ينظر: المقابلة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ت: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي، ص٤٩-٥٢. ودليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازغي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص١٠٢، والمدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤، ص١٦٥.

١١ - ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، ط١، الجزائر، ٢٠٠٠، ص١٨٥

١٢ - التداولية ، سحالية عبد الحكيم، مجلة المخبر- أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع٥، مارس ٢٠٠٩، ص٤، وإشكالية النص في اللسانيات التداولية، حمو الحاج ذهبية، الجزائر، مجلة سمات، ص٤٩. Semat 3.No.1 (Jan. 2015

١٣ - ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص١٦

١٤ - ينظر: م. ن، ص٢٦-٢٧

١٥ - ينظر: استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني، دراسة تداولية، يونسي فضيلة، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري تيزي، وزو الجزائر، ص٤٣.

١٦ - إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٥٧.
١٧ - ينظر تحليل الخطاب ج ب براون ،ج.بوك،النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود١٩٩٤،ص٣.
١٨ - ملحمة الامام علي(عليه السلام) ،شعر جورج شكور ،مكتبة الروضة الحيدرية،ط١- ٢٠٠٧،ص٥٩
١٩ - ملحمة الامام علي أو القصيدة العلوية المباركة ،عبد المسيح أنطاكي ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،ط ٢،،١٩٩١،ص ٢١٢
٢٠ - ملحمة الامام علي ،جورج شكور ،ص٦٣
٢١ - عيد الغدير اول ملحمة عربية ،بولس سلامة،مطبعة النسر –بيروت،١٩٤٩، ص١٣١
٢٢ - ينظر:استراتيجيات الخطاب ،ص٣٠٢
٢٣ - ملحمة الامام علي او القصيدة العلوية المباركة،ص ٢١٤-٢١٥وينظر ملحمة الامام علي ،جورج شكور، ص٦٢
٢٤ - ينظر:التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الالسنية (علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية)رومان جاكبسون،ميشال زكريا ،المؤسسة العربيةللدراسات والنشر،ط١،بيروت-لبنان، ١٩٨٥،ص٥٢
٢٥ - ملحمة الامام علي ،عبد المسيح انطاكي ،ص٢١٥
٢٦ - ملحمة الامام علي ،جورج شكور ،ص٦٢
٢٧ - ينظر:مفتاح العلوم للسكاكي،ضبطه نعيم زوزور،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان ،ط١٩٨٧،٢،ص١٣٣
٢٨ - ملحمة الامام علي، جورج شكور،ص٦٣-٦٤
٢٩ - ينظر: استراتيجيات الخطاب،ص٣٦٠
٣٠ - ملحمة الامام علي ،عبد المسيح الانطاكي ،ص٢١٦-٢١٧
٣١ - ينظر معجم مصطلحات اصول الفقه، قطب مصطفى ،دار الفكر المعاصر، بيروت-ط١، ١٤٢٠ه،ص٤٢٩-٤٣٠

المصادر والمراجع

١- الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ,أنيس مقدسي ،دار العلم للملايين_بيروت ،ط٥ ،١٩٧٣.

٢- ادباء العرب في الجاهلية والاسلام ،بطرس البستاني ،دار نضير عبود –بيروت ،١٩٨٩.

٣- استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني، دراسة تداولية، يونسي فضيلة، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري تيزي، وزو الجزائر .

٤- إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

٥-إشكالية النص في اللسانيات التداولية، حمو الحاج ذهبية، الجزائر، مجلة سمات، ص٤٩.

٦- الياذة هوميروس ،سليمان البستاني ،دار أحياء التراث العربي .

٧- أهل البيت في الشعر المسيحي .http://arabic .al-shia.org

٨- الامام علي في عيون الشاعر بولس سلامة،ناجي بن داوود الحرز،مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر،٢٠٠٥.

٩- أمير الانبياء،عامر محمد بحيري ،مطبعة العلوم – القاهرة،١٩٥٤ .

١٠- تاريخ اداب العرب ،مصطفى صادق الرا فعي ،دار الكتاب العربي _بيروت، ١٩٧٤ التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١١- تحليل الخطاب ج ب براون ،ج.بوك،النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود١٩٩٤.

١٢-التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الالسنية (علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية)رومان جاكبسون،ميشال زكريا ،المؤسسة العربيةللدراسات والنشر،ط١،بيروت-لبنان، ١٩٨٥.

١٣- جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ،أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ،حققه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي ،د-ت.

١٤- ودليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازغي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

١٥- دول العرب وعظماء الإسلام ،احمد شوقي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

١٦- عيد الغدير اول ملحمة عربية ،بولس سلامة،مطبعة النسر –بيروت، ١٩٤٩

١٧ -الشعر الملحمي تاريخه واعلامه،جورج غريب ،دار الثقافة.

١٨- فن الشعر أرسطو ،ترجمه وشرحه عبدالرحمن بدوي ،دار الثقافة- بيروت،١٩٧٣،ط٢.

١٩- لسان العرب،محمد بن مكرم ابن منظور،نسقه ووضع فهارسه علي شيري،دار احياء التراث العربي – بيروت ، ط١ -١٩٨٨.

٢٠- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، ط١، الجزائر، ٢٠٠٠.

٢١- المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤.

٢٢- معجم المصطلحات العربية في اللغةو والأدب،مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان بيروت ،ط ٢-١٩٨٤.

٢٣- المعجم المفصل في اللغة والادب،اميل بديع يعقوب وميشال عاصي ،دار العلم للملايين –بيروت ،ط١ -١٩٨٧ .

٢٤- معجم مقايس اللغة ،احمد بن فارس،ت-عبدالسلام محمد هارون ،مكتب الاعلام الاسلامي ،قم ١٤٠٤ه.

٢٥- مفتاح العلوم للسكاكي،ضبطه نعيم زوزور،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان ،ط٢، ١٩٨٧

٢٦- المقابلة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ت: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي.
٢٧- ملحمة الامام علي(عليه السلام) ،شعر جورج شكور ،مكتبة الروضة الحيدرية،ط١- ٢٠٠٧.
٢٨ - ملحمة اهل البيت،عبد المنعم الفرطوسي ،مؤسسة اهل البيت ،لبنان-بيروت .
٢٩- ملحمة الامام علي أو القصيدة العلوية المباركة ،عبد المسيح أنطاكي ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،ط٢-١٩٩١ .

بسم الله الرحمن الرحيم
ص
الضحى
والليل الساجي

دلالاتُ حروف المعاني
في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)
The connotations of the letters of meanings in the words of Imam Al-Hassan (peace be upon him).

م.م. أحمد راضي جبر
Mr. Ahmed Radi Gabr.
المديرية العامة لتربية بابل
General Directorate of Babylon Education.

كلمات مفتاحية : الإمام الحسن / الإلصاق / الحروف الأحادية /حروف المعاني / الأحكام النحوية

Key words: Imam Al-Hassan / Affixing / monolithic letters / letters of meanings / grammatical provisions.

ملخص البحث

من استقراءِ بعض من حروف المعاني الواردة في كلام الإمام الحسن(عليه السلام) ، وتحليل دلالاتها توصل البحث الى جملة حقائق نحوية منها :

إنّ من هذه الحروف ما كانت دلالته مستقلّة بوضعه، لا بحسب ما يؤديه من معنًى في الاسم أو الفعل، وهو الحرف (حتى) الدالّ ببنيته على الحتّ، الذي هو القطع الملائم لمعنى انتهاء الغاية عمّا قبله مقطوعاً عنه ، وقد ثبت هذا المعنى الجامع لهذا الحرف في نصوص الإمام المجتبى، خلافاً لما ذكره النحويون من دلالات متنوعة لـ (حتى) و إنّ بعض هذه الحروف يمكن جمع معانيها في معنًى واحد أصلي ترجع إليه ، كالحرف (عن) بدلالته على المجاوزة ، والحرف (على) بدلالته على الاستعلاء. فضلا عن إنّ بعض هذه الحروف قد تتضمّن أكثر من دلالة بحسب السياق الذي وردت به في كلام الإمام (عليه السلام) ، كدلالة (الباء) على التعليل، والمصاحبة ، والإلصاق، والحال. وقد حاول الباحث الاستغناء عن تناوب هذه الحروف بعضها عن بعض ما أمكنهما ذلك، بالاعتماد على قصدية استعمال الحرف في الدلالة الأصلية له ضمن سياق كلام الإمام (عليه السلام) ناهيك عن حقائق نحوية اخر كشف عنها البحث والله الموفق .

Abstract

By extrapolating some of the letters of meanings contained in the words of Imam al-Hassan (peace be upon him), and analyzing their connotations, the research reached a set of grammatical facts, including:

Some of these letters have their meaning independent of their status, not according to what they perform in the meaning of the noun or verb, and it is the letter (even) that denotes its structure to the pronoun, which is the appropriate fragment of the meaning of the end of the purpose than what came before it, cut off from it, and this comprehensive meaning of this letter has been proven In the texts of Imam al-Mujtaba, in contrast to the various connotations mentioned by the grammarians of (even), and some of these letters can be combined with their meanings in one original meaning ascribed to him, such as the letter (from) in its connotation of metaphor, and the letter (On) as its connotation of superiority. Moreover, some of these letters may contain more than one connotation according to the context in which they are mentioned in the words of the Imam (peace be upon him), as the (B) letter sign of reasoning, accompaniment, affixing, and status. The researcher has tried to dispense with the alternation of these letters from each other as much as possible, by relying on the intention of using the letter in its original connotation within the context of the Imam (peace be upon him) speech, not to mention other grammatical facts revealed by the research,and God bless.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خير الأنام ، وعلى آله الطيبين الكرام ، مصابيح الدجى وسفن النجاة .

أمّا بعد .

فيختصّ هذا البحث بدراسة دلالات حروف المعاني الواردة في خطب الإمام الحسن(عليه السلام)، وكلماته القصار. إذ استقرأ الباحث جملة صالحة من هذه الحروف في كلامه، فظهرت له دواعٍ للبحث في هذا الموضوع ، يمكن إجمالها بالآتي:

١- بحث إمكان القول بدلالة الحرف على معنًى مستقلّ من دون تعلّقه بالاسم أو بالفعل، استناداً إلى أثر دلالة الحرف بنفسه في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) .

٢- بحث إمكان القول بالمحافظة على المعنى الأصلي لمجموعة من الحروف ولاسيما حروف العطف ، وردّ ما قيل في تناوبها مع الحروف الأُخر ، بالاعتماد على قصدية استعمال الحرف في نصوص الإمام (عليه السلام) .

٣- محاولة إيجاد معنًى جامع لبعض الحروف مع اختلاف استعمالاتها في تراكيب الإمام الحسن (عليه السلام)، أو جمع قسم آخر من الحروف في معنيين أو ثلاثة لا أكثر، وتجنّب التفريعات الكثيرة التي ذكرها النحويون لهذه الحروف .

وقد اعتمد الباحث في جمع نصوص كلام الإمام على كتاب (الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام) لمصطفى الموسوي . ثم اعتمد في تتبُّع معاني هذه الحروف المدروسة على أمّات الكتب النحوية ولاسيّما كتب حروف المعاني، وأشهرها : حروف المعاني والصفات للزجاجي ، والأزهيّة في علم الحروف للهروي، ورصف المباني للمالقي، والجنى الداني للمرادي ، ومغني اللبيب لابن هشام.

وقد اقتضت المادة المستقرأة أن تُقسّم بعد المقدمة والتمهيد- الذي اختصّ ببيان معنى حروف المعاني ودلالاتها الاحتمالية - على مبحثين، هما:

المبحث الأول : دلالة الحروف الأحادية.

المبحث الثاني : دلالة الحروف الثنائية فأكثر.

والحمد لله أولاً وآخراً

التمهيد : حروف المعاني ودلالتها

يعدُّ الحرف القسم الثالث من الكلم ، وعناه سيبويه بقوله : ((وأمَّا ما جاءَ لِمَعْنًى ، وليسَ بِاسْمٍ ، ولا فِعْل ، فنحو : ثُمَّ ، وسوفَ ، وواو القسم ، ولام الإضافة ، ونحوها)) [١] ، فهو لفظ ليس له معنًى في نفسه ، وإنّما تتضح دلالته من سياق الجملة التي تتضمنّه [٢] ، وهذا بخلاف الاسم والفعل اللذين يتضمن كلٌّ منهما معنًى مستقلاً بنفسه ، فلو قلتَ : ((ما الإنسان ؟ فقيل لك : حيٌّ ناطق ، وإذا قلتَ : ما معنى (ضَرَبَ) ؟ فقيل لك : (ضَرَبَ : في زمانٍ ماضٍ . أدركتَ المعنيين باللفظ المذكور في التفسير . وقولُنا في الحرف يدلُّ على معنًى في غيره ، نعني به أنْ تصوّرَ معناه متوقف على خارج عنه : ألا ترى أنك إذا قلت: ما معنى (مِنْ) ، فقيل لك: التبعيض، وخليت وهذا ، لم تفهم معنى (مِنْ) إلاّ بعد تقدّم معرفتك بالجزء والكل ، لأن التبعيض أخذ جزء من كل)) [٣] ، وكلام النحويين هذا في دلالة الحرف يصحُّ إن كانت جملة الصفة (ليس باسم ولا فعل) صفة لما عناه سيبويه في نصّه من الإشارة إلى الحرف .

فإن كانت جملة الصفة صفة للفظ (لمعنًى) الوارد في نصِّ سيبويه تصريحاً، اقتضى ذلك أنّ المراد به استقلال معنى الحرف بنفسه ، فهو معنًى لا يدلّ عليه الاسم ولا يؤديه وكذلك الفعل ، وإنما هو معنًى لا يؤديه إلّا الحرف[٤] .

وكان عمل النحويين فيما يخصّ الحرف على نوعين :

أحدهما : أنّهم درسوا الحروف من حيث عملها ، فشملت هذه الدراسات حروف المعاني من حيث ((قواعد النَّحْوِ إجمالاً ، فهي إذاً لا تَفْصِلُ الأدواتِ عن القواعدِ الأمِّ ، وإنَّما تنظرُ إليها على أنَّها جُزْءٌ وثيقٌ منها ، فكتابُ سيبويه - مثلاً - غنيٌّ بمباحثِ الحروفِ وأشكالِ ورودِها في كلامِ العربِ ، ولكنَّه لم يَعْقِدْ فَصْلاً خاصاً بكلِّ أداةٍ ، لِيُعَدِّدَ معانيها ويذكرَ أحكامَها ، و إنَّما تَتَفَرَّقُ فيه هذه المعاني بين ثنايا الكتابِ ، فهو قدْ يَذْكُرُ الأداةَ ضِمْنَ أُسْرَتِها ، كقوله : (بابُ ما يعملُ من الأفعالِ فيجزمها وذلك : لمْ ، ولمّا ، واللامُ التي في الأمْرِ))) [٥] ، وما عملَه الزَّجَّاجي في كتابه (اللامات) ، إذ جمع الأحكام النحوية لكل حرفٍ [٦] .

والنوع الآخر : دراسات تنظر إلى دلالات هذه الحروف ، ومن هذه الدراسات ((منازل الحروف للرّماني ... عرض فيه لأهم الأدوات العربية ، فذكر المعاني المشهورة لها، وضرب مثلاً لكل معنى)) [٧] .

والذي يعنينا في بحثنا النوع الثاني ، لذا سنبحث في دلالات حروف المعاني الواردة في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) ، مع تقسيم هذه الحروف بحسب بنية حروفها.

المبحث الأول : دلالة الحروف الأحادية

أولاً- دلالة حرف (الباء) :

وهو من الحروف المختصّة بالأسماء ، ولذلك يُعدُّ عاملاً لاختصاصه بالاسم [٨] ، أمّا المعاني التي تستقى منه في الجملة ، فقد تعدّدت بحسب السياق ، مع أنها ترجع في الأصل إلى معنًى جامع هو الإلصاق [٩] ، وهو الذي اكتفى به سيبويه ولم يذكر غيره ، وسمّاه (الإلزاق) ، قال : ((وباءُ الجرِّ إنَّما هي للإلزاق والاختلاط ، وذلك قولُكَ : خَرَجْتُ بِزيدٍ ، ودَخَلْتُ بِهِ ، وضربتُه بالسَّوْطِ : ألزقتَ ضَرْبَكَ إيَّاه بالسَّوْطِ ، فما اتَّسَعَ مِنْ هذا في الكلام فهذا أصلُهُ)) [١٠].

وتابعه في ذلك ابن السراج وأكثر المتأخرين ، وتوسّعوا في فهم نصِّ سيبويه ، فقسّموا (الإلصاق) على ضربين : إلصاق حقيقي ، نحو : (مسكتُ بزيدٍ) إذا قبضتُ على شيءٍ من جسمه أو ما يحبسه من يدٍ أو ثوبٍ . وإلصاق مجازي ، نحو : (مررتُ بزيدٍ) ، أي : ألصقتُ مروري بمكانٍ يقربُ من زيدٍ [١١] .

وجعل المبرد معنىً آخر مستقلاً عن (الإلصاق) هو (الاستعانة) ، قال في حروف الجرِّ : ((ومنها الباءُ التي تكون للإلصاق والاستعانة ، فأمّا الإلصاق فقولُك : (مررتُ بزيدٍ ، وألممتُ بك) ، وأمّا الاستعانة فقولُك : كتبتُ بالقلم)) [١٢] .

على حين جعلها الرمّاني أصل حروف القسم [١٣] ، وقد تُوسِّع في دلالة هذا الحرف ، فذُكرت له عدة معانٍ ، هي الإضافة ، و الاستعانة ، و التعدية ، والمصاحبة ، والتعليل ، والظرفية ، و البدل ، و المقابلة ، والمجاوزة ، و الاستعلاء ، والتبعيض [١٤] .

وقد ورد هذا الحرف في كلام الإمام الحسن (عليه السلام)، واستشفَّ منه الباحث دلالاتٍ يتغير معنى النصّ بحسب كل دلالة ، ومنها :

١- في قول الإمام الحسن (عليه السلام) يثني على الله تبارك وتعالى : (الحمدُ لله الواحدِ بغيرِ شبيهٍ ، الدائمِ بغيرِ تكوينٍ) [١٥] .

احتمل الباحث دلالتين مختلفتين للباء في قول الإمام (عليه السلام):

الأولى: التعليل ، ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى واحدٌ، لأنه لا شبيه له ، وهو دائمٌ لأنه لا بداية له ولا

مكوِّن ، وإذا كان بهذه الصفات فهو جدير بأن يختصَّ بالحمد ، ويقوِّي هذا المعنى قوله تعالى : (إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسكم بِاتخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) [١٦] ، فبنو إسرائيل كانوا ظالمي أنفسهم ، بسبب اتخاذهم العجل إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى .

والدلالة الأخرى التي تستشف من قول الإمام المجتبى (عليه السلام) : المصاحبة ، فالواحدية والدائمية صفتان لله تعالى مختصتان به ، لأنهما مصحوبتان بنفي الشبه والتكوين عنه، فهو واحد أحد من غير أن يشبهه أحد ، وهو دائم من غير أن يُخلَق .

الذي يتراءى للباحث أن المعنى الأول للباء أقوى من الآخر ، لأنَّ الإمام إنما وصف الحق تعالى بالأحدية ، لأنه لا مثيل له ، وكذلك وصفه بالدوام ، لأنه لا أول له ولا خالق له سبحانه ، والله تعالى أعلم .

٢- في قول الإمام عند مقتل أمير المؤمنين (عليهما السلام) : (ربّنا اللطيف بلطفِ ربوبيتِه ، وبعلمِ خبره فَتَقَ ، وبإحكامِ قدرتِه خلقَ جميعَ ما خَلَقَ) [١٧] .

ورد الباء في هذا القول ثلاث مرات ، تختلف دلالته في كل مرة ، ففي قوله (عليه السلام) : (اللطيف بلطف ربوبيته) ، يحتمل معنى الإلصاق ، فهو – سبحانه – لطيف ، وهذا اللطف ملاصقٌ للربوبية له ، فالله تعالى ربُّ الأرباب ، خالق الخلق ورازقهم ، ومدبِّر شؤونهم ، مع كل هذا فهو لطيف بهم ، أرحمُ بهم من الأم بابنها .

والمعنى الآخر الذي يحتمله الباء الحال ، وعلى هذا تكون دلالة النصّ : أن الرب الذي نعبده ربُّ الأرباب ، وخالق الخلق وحاله معهم أنه لطيف بهم .

والمعنى الأول أقوى من الآخر ، فالله عز وجل من صفاته الربوبية وهذه الربوبية التي تدلّ على القوة والقهر لصاحبها ، والضعف والاستكانة لمن سواه ، مع أنه يملك هذه الصفة إلاّ أنها ملاصقة للطف ، فهو – سبحانه – مع صفات القوة والعلو ، وأنه غنيٌّ عن العالمين فهو لطيف بهم محبٌّ لهم ، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر .

أمّا مورد الباء الثاني والثالث في قول الإمام (عليه السلام) : (وبعلم خبره فتق ، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق) فتحتمل معنيين ، الأول : السببية ، وهو مصطلح استعمله أصحاب معاني الحروف محلّ الاستعانة ، وحصروها إذا كان الكلام عن الله سبحانه وتعالى ، وجعلوا له شرطاً وهو صحة الاستغناء عن الباء ، فلو قلتَ : كتبتُ بالقلمِ . فهنا الباء للاستعانة لصحة الاستغناء عنه ، ولو قلت : كتبَ القلم . لصح [١٨] ، ولكنه من باب المجاز .

وعلى هذا يكون معنى النصّ : فتق الخلق بسبب علمه ، ولأنه قادر خلق الخلق كلَّهم ، ويعضد هذا المعنى قوله تعالى : (وأنزل من السماءِ ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم) [١٩] والمعنى : أنه بسبب نزول الماء على الأرض اخضرَّ الزرع ، وأثمر .

أمّا المعنى الآخر للباء في الموضعين فهو الإلصاق ، وعليه تكون دلالة النصّ : أن الله تعالى فَتَقَ السمواتِ ، والفتْق ملاصقٌ لعلمه سبحانه وتعالى ، وقد خلق الخلق كلَّهم ، وهذا الخلق كان ملاصقاً لقدرته عزَّ وجلَّ على هذا الخلق وإدارة شؤونهم في ما بعدُ ، فما خلق الخلق ولا بعثهم عند الله تعالى إلاّ كنفسٍ واحدة ، فهو القادر فوق عباده .

والذي يميل إليه الباحث هو المعنى الأول ، فالله تعالى جعل قوانين تحكم هذا العالم ، وجعل لكل شيءٍ سبباً ، وشاءت حكمته أن تسير أمور الناس بالقوانين الطبيعية ، فلولا الماء لما أُنْبِتَ الزرعُ ولا أثمر ، وهكذا ، ولا يدلّ هذا على أن الله تعالى لا يستطيع أن يُخرج النبات من الأرض من دون الماء ، فهو قادر على كل شيءٍ ، لكنه أراد أن تجري أمور الكون بالأسباب الطبيعية ، وإن كان الجمع بين المعنيين

وارداً ، ذلك أنّ الإلصاق في الباء معنًى عام يشتمل على معنى السببية وغيرها، والله تبارك وتعالى أعلم

٣- في قول الإمام (عليه السلام) مفتخراً بنسبه الطاهر : (أنا ابن مَنْ سادَ أهلَ الدنيا بالجود الصادقِ والفرعِ الباسقِ والفضلِ السابق) [٢٠] .

يحتمل الباء في هذا القول دلالتين ، يختلف معناه بحسب كل دلالة ، فالدلالة الأولى الذي فهمها الباحث من النصّ الشريف الإلصاق ، وهو أصل معاني حرف الباء ، وعليه يكون معنى النصّ : أن سيادة أهل البيت (عليهم السلام) على مَن سواهم ليست فارغة من محتواها ، وإنما سيادة يلاصقها الجود والكرم ، والنسب الطاهر لهذه الشجرة المباركة ، وسابق فضلهم على الناس كلهم .

أما الدلالة الأخرى للباء هنا ، فهي التعليل ، فلم تكن سيادة أهل البيت (عليهم السلام) عبثاً ، وإنما تقدّموا على سائر الخلق ، لعللٍ متعدّدةٍ ، ومن هذه العلل جودهم الذي عمَّ الخلق ، حتى قائل الفرزدق في مدح غصنٍ من الدوحة النبوية [٢١] :

كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
يُسْتَوْكِفَانِ ولَا يُعْرُوهُمَا عَدَمُ

وفضّلوا على سواهم بطهارة نسبهم ، حتى مدح الله تعالى نبيه الكريم في قوله : (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) [٢٢] ، فقد روي عن الإمامين الصادقين في تفسير التقلب في هذه الآية المباركة يعني أن الله تعالى رعاك : ((في أصلاب النبيين نبيّ بعد نبيّ، حتى أخرجه من صلب أبيه، عن نكاح غير سفاح من لدن آدم)) [٢٣] .

أمّا فضلهم وسابقتهم في الدين فهي معروفة لا غبار عليها ، فبهذه الصفات ساد أهل البيت (عليهم السلام) وفُضِّلُوا على سائر خلق الله .

ويتراءى للباحث أنه سواء أ كان معنى الباء الإلصاق أم التعليل يبيِّن هذا الحرف ها هنا منزلة أهل البيت، فهم سادة الناس وقادتهم وهم أصحاب الجود والكرم ، بطهارتهم وجهادهم وفضلهم .

ثانياً: دلالة حرف (اللام)

حرف عامل وغير عامل ، فالعاملة على أنواع جارة، وجازمة ، وذهب الكوفيون إلى عدِّ الناصبة نوعاً آخر[٢٤] ، أمّا غير العاملة فهي : اللام الابتداء ، واللام الفارقة، ولام الجواب، واللام الموطّئة، ولام التعريف ، هذا من حيث عملها من عدمه.

أما من حيث دلالات هذا الحرف ، فقد تعددت وتنوعت بحسب كل نوعٍ منها، فالجارّة غير الناصبة وهما غير الجازمة ، وهكذا دواليك . وقد أوصل ابن هشام معاني اللام إلى أربعين معنًى ، منها (الاستحقاق، والاختصاص ، والملك، و التمليك، و شبه التمليك، والتعليل، وتوكيد النفي ، الخ) [٢٥] .

وقد وردت (اللام) في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) في موارد ، تحتمل أكثر من دلالة يتغير معنى النصّ تبعاً لكل دلالة ، منها :

١- في قول الإمام (عليه السلام) يثني على رب العزة تبارك وتعالى : (الحمدُ لله الواحدِ بغيرِ شبيهٍ ، والدائمِ بغيرِ تكوينٍ) [٢٦] .

ورد اللام في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) في معرض دعائه الله تعالى ، وقد احتمل اللام هنا معنيين ، الأول : الاستحقاق ، فالله عز وجل يستحقّ الحمد من العباد ، على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى، فـ ((لا يُستحق الحمد إلاّ على الإحسان، فلما كان إحسان الله لا يوازيه إحسان أحد من المخلوقين، فكذلك لا يستحقّ الحمد أحد من المخلوقين مثل ما يستحقّه، وكذلك يبلغ شكره إلى حدِّ العبادة ولا يستحقّ العبادة سوى الله تعالى، وإن استحق بعضنا على بعض الشكر والحمد)) [٢٧] ، وإلى هذا المعنى ذهب ابن هشام [٢٨] .

أمّا المعنى الآخر فهو الاختصاص ، فالحمد صفة لله وحده لا غير ، ويعضّد هذا الرأي قوله تعالى : (وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ)[٢٩] ، فـ((له الحمدُ المطلق في الدنيا والآخرة ؛ لأنه المنعم المتفضّل على أهل الدنيا والآخرة ، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك)) [٣٠] ، ولمّا كانت النعم التي يتنّعم بها بنو الخلق من الله تعالى وحده، وجب أن يكون الشكر والحمد على هذه النعم لله وحده، ولذلك قُدِّم خبر الجملة الاسمية وأُخِّر المبتدأ ، لا لعلة نحوية وإنما لغرض بلاغي ، هو الحصر فـ ((إن التقديم للاختصاص القصري، فلو أن اللام الجارة تفيده أيضاً لما بقي فرق بين الحمد لله وله الحمد، غير كون الثاني أوكد من الأول في إفادة القصر والمصرح به التفرقة، بإفادة أحدهما القصر دون الآخر ، وأن الاختصاصات على أنحاء وتعيين: بعضها موكول إلى العلة التي يترتّب عليها الحكم وتجعل محموداً عليه غالباً وغيرها من القرائن، فإذا رأيت الحكم على أوصافه تعالى المختصّة به سبحانه وتعالى وجب كون الحمد مقصوراً عليه تعالى، فيحمل الحكم المعلل على القصر ليطابق المعلول علته ، ومع ذلك إذا كانت الأوصاف المختصة به عزّ وجلّ ممّا يدلّ على كونه عز شأنه منعماً على عباده وجب كون الحمد حقاً لله تعالى واجباً على عباده سبحانه)) [٣١] .

والذي يذهب إليه الباحث أن الدلالة الثانية أشمل وأبلغ من الدلالة الأولى ، فدلالة الاستحقاق قد يستحق هذه الصفة غير الله سبحانه ، أمّا الاختصاص فتنحصر هذه الصفة بالحق تبارك وتعالى لا غير، وهذا المعنى فيه من التوكيد ما يخلو منه المعنى الأول ،لأن الحمد يكون على النعم ، ولمّا كانت النعم مصدرها الله سبحانه وحده لا غير كان الحمد على هذه النعم للمنعِم وحده لا غير أيضاً .

ومن دلائل معنى الاختصاص أيضاً ما ورد في قول الإمام (عليه السلام) موجّهاً الناسَ : (إنّه مَن نصحَ لله ، وأخذَ قولَه دليلَ هدًى للتي هي أقومُ وفّقَه الله للرشاد) [٣٢] ، فمَن كان نصحه خالصاً لله مختصاً بهذا الغرض كانت نتيجة عمله هذا التوفيق للرشاد.

ونلحظ أن اللام الأخرى في (للرشاد) محتملة لهذا المعنى كذلك، أو أنها دالّة على التعليل، أي : لأجل الرشاد.

٢- في قول الإمام (عليه السلام) يعظ أحد أصحابه : (استعِدَّ لسفرك ، وحصِّل زادَك قبل حلولِ أجَلِكَ) [٣٣] .

يوصينا الإمام (عليه السلام) بهذه الموعظة أن وراءنا سفراً علينا أن نعدَّ العدة له ، ونتزود له ، وقد وردت اللام في هذه الموعظة المباركة احتمل فيها الباحث دلالتين ، الأولى : تضمّنها معنى (من أجل) ، وعلى هذه الدلالة يكون معنى النصّ : استعدَّ – أيها العبد – من أجل سفرك ، وكأنها قد أفادت تعليل هذا الاستعداد ونظيره قول العجاج :

تسمعُ للجَرْعِ إذا اسْتُحِيرَا
للمَاءِ في أجْوَافِهَا خَرِيرَا

أي : ((تسمع للماء في أجوافها خريراً من أجل الجرع)) [٣٤] .

وأمّا الدلالة الأخرى فهي الاستحقاق ، لأن سفراً طويلاً يتضمّن عقباتٍ صعبة ، في يوم يجعل الولدان شيباً يستحقّ أن نعدَّ له العدة ، ونتزوّد في هذه الدار لذلك اليوم العصيب .

والدلالة على التعليل أبين في النصّ ، إذ الإمام في مقام الوعظ الذي يربط الأسباب بنتائجها، فتحصيل الزاد قبل انقضاء مدة الاستعداد من أسباب تحصيل النتائج المرجوة في السفر.

ثالثاً: دلالة حرف الواو

الواو : حرف من حروف المعاني، لها وظائف نحوية كثيرة في العربية، كالعطف، والقسم، والمعية، والاستئناف، والحالية ، وغير ذلك. والعطف واحد من أهمّ هذه المعاني. والواو فيه هي أمُّ الباب، لكثرة استعمالها فيه. والثابت للواو هو معنى الجمع، وإنّ هذا الجمع لا دلالة فيه على الترتيب؛ لذا يُوصف عند العلماء بأنّه مطلق، أي: لا يقيّده قيد السابق واللاحق في الزمن، والواو تعطف المتقاربين في المعنى، نحو:(زيدٌ الأديب والشاعر)، والمتغايرين نحو:(زيدٌ الكريم والعالم)، على حدٍّ سواء. [٣٥]

ومن أمثلة ما ورد من استعمالات للواو في كلام الإمام المجتبى (عليه السلام) ما يأتي:

١- في قول الإمام (عليه السلام) واعظ : (واعلموا أن من يتقِ الله يجعل له مخرجاً من الفتن ، ويسدّده في أمره ، ويهيّئ له رشده ، ويفلجه بحجته) [٣٦] .

ونلحظ أن الواو قد رتّبت بين المعطوفات المذكورة ، فاتقاء الله موجب لاستحقاق الخلاص من الفتن ، والتسديد في اختيار الطريق المُنجي من هذه الفتن ، الذي يستتبع الرشاد في هذا الاختيار ، والظفر بالحجج الدامغة التي تردّ عنه مخالفيه.

وننتفع من عبارة النحويين في العطف بالواو وأنها لـ (مطلق الجمع)، لنستدلّ على هذا الترتيب في النصّ المذكور، إذ لا يُمنعُ معها أن يأتي الأول قبل الثاني، ولكن لا على سبيل الاقتضاء والوجوب، أي: الترتيب مطلقاً، وإنما يكون ذلك بحسب مقتضى الكلام، وقد اقتضى كلام الإمام هنا ترتب المعطوفات بعضها على بعض.

ونستدلّ بنصّ آخر للإمام، يظهر فيه ما ذكرناه من الترتيب بين المعطوفات بالواو جليّاً، إذ يقول(عليه السلام) في بيان حكمة التشريع الإسلامي : (وإن الله عز وجل بمنّه وبرحمته فرض عليكم الفرائض لا لحاجة منه إليها، بل برحمة منه لا إله إلا هو، ليميّز الخبيث من الطيب، وليبتلي الله ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتسابقوا إلى رحمته ، ولتتفاضلوا منازلكم في جنته) [٣٧] .

فهذه المعطوفات قد ترتبت تصاعدياً ، لتصل إلى أعلى نتيجة يبتغيها الراغب في نيل تلك المطالب، وهي التفاضل في مراتب الجنان والحثّ على الوصول إلى أعلاها رتبةً.

٢- في قول الإمام (عليه السلام) في قنوته : (اللّهُمَّ فقد تعلَمْ أنِّي ما ادخرتُ جهدي ، ولا منعتُ وجدي حتى انفلَّ حدِّي ، وبقيتُ وحدي ، فاتبعتُ طريقَ مَن تقدمني في كفِّ العاديةِ ، وتسكينِ الطاغيةِ عن دماء أهلِ المشايعة ، وحرستُ ما حرسَه أوليائي من أمرِ آخرتِي ودنياي فكنتُ لكَظْمِهم أكْظِمُ ، وبنظامِهِم انتَظِمُ) [٣٨] .

ومع أنّ حرف الواو قد طغى في الاستعمال هنا ، مع دلالته على الترتيب الذي يقتضيه المقام، نجد توسّط حرف عطف آخر في النصّ هو الفاء المفيد للترتيب مع التعقيب بلا مهلة، فالأحداث المعطوفات التي أفضت إلى أن يكون الإمام على درب الحق وحده، رتّبت أن لا يحيد عن ثوابت الطاعة وعن أوامر التشريع الكافلة للحفاظ على الخط القويم للدين وحماية قلة أهله من غائلة أهل السطوة. هذا الأمر الذي يبيّنه الإمام يفارق ما كان متوقعاً ممّن يظل وحيداً في دربه قد انفلت عنه الأقربون والأباعد ، فيبقى متحيّراً يتقلّب بأفكاره في مدة تطول أو تقصر. أمّا هو (عليه السلام) ، فطريقه أبلج، ورأيه متصل لا ينفصل بين حدث وحدث.

المبحث الثاني

دلالة الحروف الثنائية فأكثر

أولاً : دلالة الحرف (في)

وهو من الحروف المختصّة بالأسماء ، وهذه علة عمله الجرَّ ، وله معانٍ تسعة ، هي الظرفية وهي الأصل فيها ولم يذكر البصريون سوى هذا المعنى له [٣٩] ، وقد ذكر الرمّاني أن معناها الوعاء وهو الظرف ، كقولنا : المال في الكيس ، أي : اشتمل الكيس على المال [٤٠] ، والمصاحبة، والتعليل ، و المقايسة، وقد ضمنوها معاني حروفٍ أخرى مثل(على، والباء، وإلى ، و من) وقد تأتي زائدة [٤١] .

ومما جاء في كلام الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في هذا الحرف:

١- في قول الإمام (عليه السلام) في استنهاض همم أهل الكوفة للقتال : (فاحتَشِدوا في قتلِ عدوِّكم معاويةَ وجنودِه) [٤٢] .

احتمل الباحث دلالتين لـ (في) ، هما :

الأولى : التعليل ، فمن معانيها تبيين العلة ، فالإمام (عليه السلام) يبين العلة من تحشيد المسلمين ، وهي قتال معاوية وجنوده . ويقوّي هذا المعنى قوله عز وجل : (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ) [٤٣] ، فقد كانت نسوة مصر يلمْنَ امرأة العزيز على حبِّها ليوسف (عليه السلام) ، فعملت تلك المكيدة لهنَّ وصار من أمرهنَّ ما صار وقطّعن أيديهن ، فقد كنَّ لا ((يفهمن بهذا الكلام إعذاراً لامرأة العزيز في حبها له و تيتمها و غرامها به، وإنّما كان ذلك اضطراراً منهن على الثناء عليه وإظهاراً قهرياً لانجذاب نفوسهن و تولُّه قلوبهن إليه، فقد كان فيه فضاحتهن، و لم تقل امرأة العزيز: (فذلكن الذي لمتنني فيه) إلاّ بعد ما فضحتهن فعلاً وقولاً بتقطيع الأيدي و تنزيه الحسن، فلم يبق لهن إلاّ أن يصدقنها فيما تقول و يعذرنها فيما تفعل)) [٤٤] .

والدلالة الثانية : الظرفية ، فالظرف إمّا أن يكون حقيقياً كقوله تعالى : (واذكروا الله في أيام معدودات)[٤٥] ، أو مجازاً كقوله تعالى : (ولكم في القصاص حياةٌ)[٤٦] ، وعليه تكون دلالة النصّ : أن يكون تحشيد جيوش المسلمين في غاية واحدة فحسب ، وهي قتال معاوية وجنوده .

والمعنيان مقبولان بحسب اقتضاء المقام ، وفي الظرفية تهويل للتحشيد بجعل قتل العدو ظرفاً له، إذ لم يبق للتحشيد بهذا الوصف إلاّ غاية واحدة هي قتل العدو لا غير.

٢- في قول الإمام (عليه السلام) واعظاً : (هلاكُ الناس في ثلاثٍ : الكِبَرُ ، والحِرصُ ، والحسدُ) [٤٧] .

يبيِّن الإمام (عليه السلام) في هذه الموعظة أن يبتعدَ المسلم عن هذه الصفات القبيحة ، لأنَّ فيها هلاكه ، فالكبر صفة لا تليق بخدٍّ مآله التراب ، والحرص على مالٍ فانٍ يحرسه ليتمتع به غيره ، وحسابه عليه ، أما الحسد فيعيش صاحبه في قلقٍ وعدم راحة في دوام .

وقد احتمل الباحث في (في) ها هنا دلالتين :

الأولى : التعليل ، فإن الإنسان يهلك ، وأسباب هذا الهلاك ثلاثة أشياء ، هي (الكبر ، والحرص ، والحسد) ، ويعضّد هذا المعنى قوله تعالى : (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [٤٨] ، فالله تعالى يعاتب المسلمين على أخذهم ((من فداء الأسرى والغنيمة عذاب عظيم ، لأنهم أخذوه قبل أن يُؤذن لهم)) [٤٩] ، فالله تبارك وتعالى يبيّن أن سبب عذاب هذه الطائفة من المسلمين بسبب أخذهم فدية من الأسرى ، ولم يؤذن لهم في ذلك .

والدلالة الثانية : الظرفية ، ويكون المعنى حينئذٍ : أن هلاك الإنسان يكمن إذا دخل في حدود هذه الصفات الرذيلة (الكبر والحرص والحسد)، وكأن هذه

الرذائل وعاءٌ إذا دخل فيها الإنسان أصابه الهلاك ، حتى كبرت هذه القبائح واشتملت على صاحبها ، فأهلكته .

وفي الدلالة الثانية من التهويل والترهيب للنهي عن هذه الرذائل ، ما يجعلها أوفق لمقام الكلام ، وأدعى إلى الترجيح من معنى التعليل.

ثانياً : دلالة الحرف (عن) :

(عن) حرف جرٍّ، له معانٍ متعددة ، أصلها المجاوزة ، ولم يثبت البصريون سواه له[٥٠] ، ومثله قولهم : ((رميت عن القوس: لأنه يقذف عنها بالسهم ويبعده. ولكونها للمجاوزة عُدِّي بها: صدَّ، وأعرضَ، ونحوهما، ورغبَ، ومالَ، إذا قُصد بهما تركُ المتعلِّق. نحو: رغبت عن اللهو، وملت عنه)) [٥١] . أمّا المعاني الأخر الفرعية عن هذا الأصل فهي : (البدل ، والاستعلاء ، والاستعانة ، والتعليل ، ضمَّنوها معنى(في) ومعنى الظرف (بعد)) [٥٢] .

ومن استقراء أمثلة هذا الحرف في كلام الإمام (عليه السلام)، ظهر أنّ معنى المجاوزة هو المعنى الجامع للنصوص التي اشتملت على الحرف (عن)، ويظهر ذلك جليّاً في النصوص الآتية:

١- في قول الإمام (عليه السلام) في كتابٍ إلى معاوية : (وستندمُ يا معاويةُ كما ندمَ غيرُك ممّن نهضَ في الباطل ، أو قعدَ عن الحقِّ) [٥٣] ، أي: جاوز الحق إلى الباطل فاستقرّ فيه.

٢- في قول الإمام (عليه السلام) في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية(رضي الله عنه) : (اجلسْ فإنّه ليس مثلُك يغيبُ عن أن يَسمعَ كلاماً، يحيا به الأمواتُ، ويموتُ به الأحياءُ) [٥٤] ، أي : إنّ هذا الموضع يليق بمثلك أن لا يجاوزه، إذ المجلس مجلس حقّ وذكر، وأنت من أهله.

٣- في قول الإمام في بيان منزلة أهل البيت(عليهم السلام) ومودتهم :(واعلموا أنّ مَن يبخلْ فإنّما يبخلُ عن نفسِه ، إن الله هو الغنيُّ وأنتم الفقراءُ إليه) [٥٥] . فالفعل (بخل) عُدِّي بـ (عن) على معنى الإمساك عن الإنفاق، إلى حدٍّ جاوز معه كلّ نفع وخير يعود على نفسه لو أنفق، وفيه الدلالة على شدّة البخل ، ممّا لو عُدِّي الفعل بـ (على) وما فيه من معنى التضييق في الإنفاق. ويعضد شدّة الإمساك في الإنفاق استعمال أداة القصر(إنّما) .[٥٦]

ثالثاً : دلالة الحرف (مِن) :

حرف مختص بالأسماء ، يعمل فيها الجرَّ ، وله معانٍ عدة ، أوصلها المرادي إلى أربعة عشر معنًى ، منها : ابتداء الغاية سواء أ كانت زمانية أم مكانية.[٥٧] وجعلها ابن هشام أصل دلالات(مِن) [٥٨] ، وتكون ملازمة للحرف (إلى) ، والتبعيض وبيان الجنس ، والتعليل ، والبدل ، وتنوب عن(عن) فيكون معناها المجاوزة ، كقوله تعالى: (الذي أطعمهم من جوعٍ)[٥٩] ، وقوله عز وجل : (فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهم منْ ذكرِ الله) [٦٠] . وهذه أشهر دلالات (من) ، وقد ورد هذا الحرف في كلام السبط الأكبر (عليه السلام) في موارد متعددة ، احتمل فيه الباحث معانيَ تتغير دلالة النصّ تبعا لكل دلالة ، ومنها :

١- في قول الإمام الحسن (عليه السلام) واعظاً المسلمين : (فاحترِسُوا من الله بكثرةِ الذِّكرِ ، واخشَوا الله بالتَّقوى) [٦١] .

احتمل الحرف (من) في كلام الإمام هنا دلالتين :

الأولى : السببية ، ويتعيّن عليه تقدير محذوف في الكلام ، والتقدير : فاحترسوا من عذاب الله بواسطة كثرة ذكر الحق سبحانه وتعالى ، فالإمام يبيِّن العلة من الاحتراس ، لأن هناك عذاباً ينتظر من يصدُّ عن ذكر الله عز وجل ، كما قال سبحانه : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) [٦٢] ، ونظير قول الإمام الحسن قول أمير المؤمنين (عليهما السلام)

من خطبة له : ((فاتّقوا اللّه عباد اللّه و فرّوا إلى اللّه من اللّه . و امضوا في الّذي نهجه لكم و قوموا بما عصبه بكم)) [٦٣] ، والمعنى : ((اهربوا من عقاب اللّه إلى رحمته و ثوابه بإخلاص العبادة له ، وقيل : ففرّوا الى اللّه بترك ما يشغلكم عن طاعته و يقطعكم عما أمركم اللّه به ، وكما نرى الطفل اذا ضربته أمُّه يلوذ بها و يستجير بها ، و كأنه يستجير من أمه بأمه ، كذلك العبد و لا مناقشة في الأمثال ينبغي أن يفر من اللّه إلى اللّه)) [٦٤] .

أمّا الدلالة الأخرى فهي ابتداء الغاية ، وكأن الإمام (عليه السلام) يريد أن يبيِّن أن على المسلم أن يكون في احتراس من الله ، وألاّ يأمن مكر الله تعالى من بداية حياته إلى وفاته ، فإن الشيطان مترصد للمسلم يراقب حركاته وسكناته ، يتحيّن الفرصة للانقضاض عليه ، فعليه أن يجعل عذاب الله تعالى نصب عينيه دائماً ، لينجو من المكاره ، وألاّ يقعَ في مهاوي إبليس

٢- في قول الإمام الحسن في بيان فضل أمير المؤمنين (عليهما السلام) : (وقال له جدي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أمره أن يسير إلى مكة في موسم الحج بسورة براءة : (سِرْ بها يا عليُّ ، فإني أُمِرْتُ أن لا يسيرَ بها إلاّ أنا أو رجل منِّي ، فأبي من جدِّي ، وجدِّي من الله) [٦٥] .

ورد (مِن) في قول الإمام الحسن مفتخراً بأمير المؤمنين ، معدّداً بعض فضائله ، ويتراءى للباحث أنه (مِن) يحتمل دلالتين ، يتعدّد معنى النصّ بحسب كلِّ دلالة :

الأولى : التبعيض ، وعلى هذه الدلالة ينبغي أن نُقدِّرَ محذوفاً ، حتى يستقيم الكلام ، ويكون معنى النصّ : أن أمير المؤمنين من خاصة النبي ، والنبي من أمر الله تعالى ، وقد ورد في القرآن الكريم ما يُقوِّي هذه الدلالة ، كما في قوله تعالى : (قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ) [٦٦] ، فقد ذهب المفسرون إلى أنَّ (مِنْ) دلَّت في النصّ المبارك أن من عصاني فـ((ليس على ديني ، ولا من أهل ولايتي، فحذف ودلّت (مِنْ) عليه)) [٦٧] . فأمير المؤمنين (عليه السلام) لمّا كان مطيعاً للنبي (صلى الله عليه وآله) في كلِّ ما أمره به ، و قد ربَّاه النبي منذ طفولته إلى حتى فارق رسول الله الدنيا ورأسه في حجر عليٍّ (صلوات الله عليهما) فكانا روحاً في جسدين.وقد ذاب رسول الله في طاعة الحق سبحانه وتعالى ، حتى وصل إلى درجة العبودية الخالصة لوجهه عزّ وجلّ .

وأمّا الدلالة الثانية له فهي : ابتداء الغاية ، وهذه الدلالة هي أمّ دلالات (مِن) وعليه يكون المعنى: أن الإمام عليا من بداية أمره حتى آخر حياته في طاعة الله وطاعة رسوله لا همَّ له سوى ذلك ، وكذا الحال مع رسول الله ، فكان همّه الوحيد تطبيق شرع الله على الأرض.

ومهما يكن من شيء ، ففي النصّ إبراز لمنزلة أمير المؤمنين ، وكذلك منزلة رسول الله (صلوات الله عليهما) وبيان فضلهما وقربهما من الله تعالى .

رابعاً : دلالة الحرف (إلى) :

حرف جرٍّ مختص بالاسم ، وله معانٍ متعددة ، أصلها انتهاء الغاية سواء أ كانت زمانية أم مكانية ، وتُضَمَّن معنى (مع) ، إذا أردت أن تضمن شيئاً إلى آخر ، وتضمن معنى اللام ، و (في) و (مِن) ، و تأتي بمعنى (عند) . [٦٨]

وقد وردت (إلى) في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) في نصوص متعدّدة منها:

١- في قول الإمام حاثّاً الناس على الجهاد مع أمير المؤمنين (عليهما السلام) : (أيُّها الناسُ أجيبوا دعوةَ إمامِكم وسيروا إلى إخوانِكم) [٦٩] .

وردت (إلى) هنا محتملة دلالتين :

الأولى : أن تكون نهاية الغاية ، وعليه يكون معنى النصّ : احتشدوا ورصّوا صفوفكم ، وسيروا حتى تكون غايتكم نصرة إخوانكم المؤمنين في سوح الوغى ، وفُسِّر- تبعا لهذه الدلالة – قوله تعالى : (فَلَمَّا أَحَس عِيسى مِنهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصارِي إِلى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نحْنُ أَنصارُ اللَّهِ) [٧٠] . أي : ((مَن جندي متوجهاً إلى نصرة الله)) [٧١] ، فكأنه (عليه السلام) أراد من يشاركني في مسيرتي إلى الحق سبحانه وتعالى ، فإن الغاية التي بُعِثْتُ من أجلها هي وجهه سبحانه وتعالى ، والمسير إليه ، فلمَّا أحسّ من بني اسرائيل الكفر بالله سبحانه والقيم السماوية ، أراد أن يعرف مَن يشاركه منهم في إيمانه بالله تعالى ، ويسير معه إلى الحق ، وعلى هذه الدلالة يجب أن يُقدَّر محذوف كي يستقيم المعنى .

وأمّا الدلالة الأخرى فهي أن تُضمَّن (إلى) معنى (مع) ، وعليه تكون دلالة النصّ : أن سيروا أيها المسلمون وكونوا في صفٍّ واحد مع إخوانكم المجاهدين لقتال عدوٍ مشتركٍ واحد ، وتضمين (إلى) معنى (مع) وارد في العربية وكثير ، وعليه فسِّرَت الآية المتقدمة في بعض آراء المفسرين ، وفي قوله تعالى أيضا : (وَآتُواْ اليتامى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث بالطيب وَلاَ تأكلوا أَمْوَالَهُمْ إلى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً) [٧٢] ، أي : ((لا تخلطوا الجيد من أموالهم بالرديء من أموالكم فتأكلوها فإن في ذلك إجحافا و إضرارا بهم)) [٧٣] ، وعليه أيضا فُسِّرت آية الوضوء ، إذ قال تعالى : (إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلى الْمَرَافِقِ وَ امْسحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكمْ إِلى الْكَعْبَينِ) [٧٤] ، أي : اغسلوا أيديكم مع المرافق [٧٥] .

ويرى الباحث أن الدلالة الأولى أقوى ، لتضمّنها معنى الثانية وزيادة ، فالمفهوم منها أن الإمام (عليه السلام) يطلب من المسلمين أن تكون غايتهم إخوانهم الذين شحذوا الهمم لقتال أعداء الدين ، حتى إذا وصلوهم كانوا معهم في النية والعمل . وهذا المعنى أقوى من الثاني إذ قد يكونون معهم جسداً لا روحاً ، أمّا على دلالة الغاية فإنهم قد انصهروا معهم .

خامساً : دلالة الحرف (على)

من حروف المعاني التي تختصّ بالأسماء، تعمل فيها الجر، ومعناها الأصلي هو الاستعلاء ، حقيقة، نحو: طلع فلانٌ على السقفِ، أو مجازاً ، نحو: الدموع على الأحزان أعوانٌ .[٧٦]

وثمة دلالات فرعية ذكرها النحويون لـ (على)، كالمصاحبة، والمجاوزة، والظرفية، والتعليل، والحاليّة، وغير ذلك.[٧٧]

والذي يُلحظ في استعمالات (على) أنها وردت مع أفعال متعدّية بنفسها أصلاً، نحو: (كتب عليه، وعدا عليه، وفرض عليه، وشنّع عليه، وتجاوز عليه) ، فكان السؤال عن علّة استعمال هذا الحرف مع هذه الأفعال وجيهاً، وقد أُجيب عنه بأن علة ذلك أنّ هذا الاستعمال يؤذن بالمشقّة والعسر والشدّة، ويتبيّن ذلك بوضوح في نحو قولنا: (دعا له ، ودعا عليه) .[٧٨]

ومعه يمكن القول : إنّ دلالة الاستعلاء تمثّل المعنى الجامع لاستعمالات(على)، ومن أمثلة ما ورد من تلك الاستعمالات في كلام الإمام المجتبى:

١ــ قوله (عليه السلام) واعظاً ومرشداً: (ولا تَحمِلْ همَّ يومِك الذي لم يأتِ على يومِك الذي أنتَ فيه) [٧٩] .

فدلالة الاستعلاء ظاهرة في النصّ ، والاستعلاء هنا مجازي ، بتقدير : على حمل هم يومك الذي أنت فيه، ذلك أنّ الهمَّ لا يحمل حقيقةً، بل هو من المجاز الذي يراد به شدّة الحمل وثقله وصعوبته، إذا كما يضطرب البدن بالحمل المادي الثقيل ، يضطرب

جوهر الإنسان وتضيق النفس بحمل الهمّ.

وقد يُحتمل في دلالة (على) هنا معنى المعية، أي: لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتِ مع همّ يومك الذي أنت فيه. وقد استشهد له النحويون والمفسرون[٨٠] بقوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [٨١] ، وقوله تعالى : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ)[٨٢] .

والظاهر أنّ دلالة (على) على معنى الاستعلاء راجحة، لما في النصّ الشريف من معنى شدة تحمُّل الهمّ ومشقّته على النفس مضافاً إليه همّ يومٍ يُنتظر، فكان العسر في ذلك مدعاة لثبات دلالة (على) على الاستعلاء بخلاف معنى المعية المفهومة ضمناً من السياق.

وكذا الأمر في ما استشهدوا به ، فـ (على) على معناها في الآية الأولى، ذلك أنّ العسر والمشقّة والضيق في الإطعام مع قلة الطعام المتصدَّق به يستوجب الاستعلاء ، وأمّا في الآية الثانية فبلحاظ أن المغفرة الربانية مستولية على الظلم ، مبالغةً في الرحمة الإلهية ، أمّا القول باحتمال دلالة(على) على المعية في الآيتين، فيؤول إلى أن الصدقة أُنفقت مع حبِّ المال ، وهو معنًى لا يستقيم مع أحوال هؤلاء المتصدقين الزاهدين . ويؤول المعنى في الآية الثانية إلى أنه سبحانه يغفر للمذنبين مع أنهم باقون على ظلمهم ، وهو معنًى ينافي العدالة .

ومن أمثلة ما ورد من ذلك أيضاً قول الإمام (عليه السلام) في كتابه إلى عمرو بن العاص : (آثرتَ الباطل على الحقِّ وقنعتَ بالشبع والدنيّ من الحطام الداني) [٨٣] .

فهذا المخالف قد استعلى بالباطل على الحق في نفسه وفي شؤونه مع المسلمين، فكان استعمال (على) بمعناه الأصلي في الاستعلاء وما فيه من معانٍ إضافية من قهر وشدة وضيق وصعوبة وعسر موائم للوصف هنا.

٢ــ في قول الإمام(عليه السلام) في كلام له على ما جرى بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) : (ألهَمَنا الله وإياكم تقواه ، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائِه) [٨٤] .

(على) هنا استعملت في الاستعلاء الحقيقي للدلالة على شدة متطلبات الجهاد الحسية والمعنوية، وما تستلزم من الدعاء الخالص والانقطاع التام لله سبحانه في طلب الإعانة منه على جهاد أعدائه.

٣-في قول الإمام (عليه السلام) من كتاب له إلى عمرو بن العاص : (أمّا بعدُ ... فقد بلغني أنّك تقوم على منبر مصر ، على عُتُوِّ آلِ فرعون وزينةِ آلِ قارون) [٨٥] .

تحتمل (على) هنا معنى الحال ، أي: خرج على قومه بحال التكبّر، ويستلزم ذلك تقدير محذوف تتعلّق به شبه الجملة ويتقيّد المعنى به .

على أنّ الأولى في هذا النصّ المحافظة على المعنى الأصلي لـ (على) وهو الاستعلاء، لما فيه من معنى المبالغة في الزينة وإظهار الترف لغرض التعالي على العباد بوفرة الرزق وسعة المال ، إظهاراً للفارق المادي بين هذا المستعلي وسائر الناس. فكان استعمال (على) في الاستعلاء بياناً تامّاً لشدة جهل هذا المتكبر المستوجبة لأعلى وجه من وجوه الظلم والقبح.

سادساً : دلالة الحرف (حتى) :

حرف له دلالات كثيرة في الاستعمال ، منها العطف، والجرّ، والاستثناء، وغير ذلك [٨٦]، ويمكن إرجاع كل هذه الدلالات إلى معنى واحد هو الدلالة على انتهاء الغاية. ومعنى انتهاء الغاية أن ما بعد (حتى) منقطع عمّا قبلها ، وما قبلها ينتهي عند حدود

ما بعدها . ودلالة (حتى) الرئيسة هذه متأتية من دلالة أصواتها[٨٧] ، فـ (حتّى) مشتقة من الحتّ، أي: القطع ، وألحقوا بها ألفاً في اللفظ ، وياء في الخط ، لئلا تلتبس باسم أو فعل[٨٨] ، ولمّا كان الحتّ هو القطع والاستئصال والإزالة والخلوص إلى نهاية ، كانت (حتى) بمعنى الوصول إلى نهاية الأمر [٨٩]. ومنه يتبيّن أنّ هذا الحرف من المصاديق المهمة للاستدلال على أنّ الحرف قد يكون له معنًى مستقلّ يؤديه بنفسه، بحسب ما فُسِّر به أحد وجهي قول سيبويه في تعريف الحرف ، وقد سبق ذكره، مع لحاظ الاستدلال على المعنى الجامع لـ (حتى) الموافق لدلالة بينيتها على القطع ، وهو معنى انتهاء الغاية ، وسنحاول أن نصل إلى ذلك بتتبُّع دلالة هذا الحرف في نصوص الإمام المجتبى:

١-في قوله (عليه السلام) في الإرشاد : (واعلمُوا علماً يقيناً أنكّم لن تعرفوا التُّقى حتى تعرفوا صفةَ الهُدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نَبَذَه، ولن تتلوا الكتابَ حقَّ تلاوتِه حتى تعرفوا الذي حرَّفَه) [٩٠] .

فانتهاء الغاية ظاهر في قوله (حتى تعرفوا صفة الهدى) ، و(حتى تعرفوا الذي نبذه)، و(حتى تعرفوا الذي حرّفه) ، ذلك أنّ الانقطاع في المعنى يُلحظ في الكلام الذي يسبق هذه العبارات، ثم تأتي (حتى) لتباين دلالة ما قبلها بأحكام إرشادية مؤكدة يقررها الإمام لمن أراد علماً يقيناً، فـ(علماً) مصدر جِيءَ به لتوكيد الحدث المُطلَقِ المُجَرَّدِ، ثمَّ وُصِفَ المصدر بـ(يقيناً)، لفائدة بيان نوع ذلك التسليم، وتحديده بذلك النوع، فقد يتبادر إلى الذهن سؤالٌ عن صفةِ ذلك العلم في حال لم يُذكر في الكلام، و(يقيناً) قد بيَّن ذلك، فجاء المصدر لتأكيد ما سيعلمه الإمام للأمة وأهميته لكونه غائباً عن الذهن غير قارّ في العقل و الوجدان ، وخُصِّصَ وقُيِّدَ بـ(يقيناً) لتثبيت أنّ علم الإمام علم يقيني لدني لا يرقى إليه الظن والشكّ والاحتمال وغير ذلك من منازل الأخبار غير اليقينية.

ومن أمثلة انتهاء الغاية أيضاً قول الإمام (عليه السلام) مستسقياً : (اسْقِ سهلَنا وجبلَنا وبذورَنا حتى ترخصَ به أسعارُنا) [٩١] . وقوله في وصيته للإمام الحسين (عليهما السلام) : (أنشدكَ الله بالقرابة التي قرب الله (عزّ وجلّ) منك، والرحمِ الماسّةِ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا تهريقَ فيَّ محجمةً من دمٍ، حتى نلقى رسولَ الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنختصمَ إليه ونخبرَه بما كان من الناس إلينا بعده) [٩٢]، وقوله (عليه السلام) من كتاب إلى معاوية : (وإنْ أنت أبيتَ إلاّ التمادي في غيِّك سرتُ إليك بالمسلمين ، فحاكمتُك حتى يحكمَ الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين) [٩٣] .

٢ـ في قول الإمام (عليه السلام) في قنوته : (اللّهُمَّ فقد تعلَمْ أنِّي ما ادخرتُ جهدي ، ولا منعتُ وجدي حتى انفلَّ حدِّي ، وبقيتُ وحدي). [٩٤] .

(حتى) في النصّ هنا عاطفة للجمل ، واشترط النحويون لعطفها الجمل أن تفيد السببية ، نحو : ما تأتينا حتى تحدثنا ، وضربتُ زيداً حتى بكى ، فما بعدها شيء يؤديه الأول . ويقال أيضاً : قام حتى أعيا ، وبكى حتى عمى ، ولو قيل : أكل حتى بكى ، وسار حتى طلعت الشمس لم يجز، لعدم إفادة السببية(١٠). والسببية ظاهرة في قول الإمام المجتبى ، فهو لم يقبل الصلح مع معاوية حتى اضطرّ إليه ، فانفلال حدّه (عليه السلام) يوضّح حال الانكسار الذي أصابه لخذلان الناصر ، حتى بقي وحيداً على الحق. وانتهاء الغاية ظاهر في كلامه (عليه السلام) ، إذ وصل أمره مع الناس إلى نهايته، فهم في وادٍ وهو في آخر، ولا حكم لمن لا يطاع.

٣- في قول الإمام (عليه السلام) رادّاً على من تجاسر عليه بعد الصلح : (الزموا بيوتَكم وكفُوا

أيديَكم حتى يستريحَ مَن بَرَّ أو يستراحَ فاجر) [٩٥] تأتي(حتى) تعليلية ناصبة بمعنى (كي) على ما يقوله النحويون ، وحمل (حتى) على التعليل في هذا النصّ يجعل المعنى أن المأمورين يلزمون بيوتهم ويكفون عن القتال لغاية واحدة معلّلة بأن(يستريح من بَرَّ أو يستراحَ فاجر).

على أنّ إبقاء (حتى) دالة على انتهاء الغاية فيه الدلالة على أن هذا الأمر الصادر من الإمام غير معلّل بهذه العلة فقط، بل هو ممتدٌّ إلى ما بعد ذلك ، لتحقيق غايات وأغراض أخر لم تُذكر في النص.

نتائج البحث:

من استقراء جملة صالحة من حروف المعاني الواردة في كلام الإمام الحسن(عليه السلام) ، وتحليل دلالاتها، تبيّن للباحث الآتي:

١ــ إنّ من هذه الحروف ما كانت دلالته مستقلة بوضعه، لا بحسب ما يؤديه من معنًى في الاسم أو الفعل، وهو الحرف (حتى) الدالّ ببنيته على الحتّ ، الذي هو القطع الملائم لمعنى انتهاء الغاية عمّا قبله مقطوعاً عنه ، وقد ثبت هذا المعنى الجامع لهذا الحرف في نصوص الإمام المجتبى، خلافاً لما ذكره النحويون من دلالات متنوعة لـ (حتى).

٢ــ إنّ بعض هذه الحروف يمكن جمع معانيها في معنًى واحد أصلي ترجع إليه ، كالحرف (عن) بدلالته على المجاوزة ، والحرف (على) بدلالته على الاستعلاء.

٣ــ إنّ بعض هذه الحروف قد تتضمّن أكثر من دلالة بحسب السياق الذي وردت به في كلام الإمام (عليه السلام) ، كدلالة (الباء) على التعليل، والمصاحبة ، والإلصاق، والحال.

٤ــ حاول الباحث الاستغناء عن تناوب هذه الحروف بعضها عن بعض ما أمكنهما ذلك، بالاعتماد على قصدية استعمال الحرف في الدلالة الأصلية له ضمن سياق كلام الإمام (عليه السلام).

٥ــ ثبت للباحث أنّ (الواو) قد استعملت للترتيب في كلام الإمام المجتبى، على أنّ هذا الترتيب ليس مُلزماً لدلالة الحرف الأصلية وهي مطلق الجمع، وإنمّا يرد ذلك الترتيب بالواو بحسب مقتضى الكلام.

٦ــ أظهر البحث أنّ (على) في كلام الإمام (عليه السلام) استعملت مع الأفعال التي يمكن أن تتعدى بنفسها إلى مفاعيلها، وتبيّن أنّ غرض ذلك الدلالة على الشدة والعسر والصعوبة في المعنى الجامع لـ (على) وهو الاستعلاء.

الهوامش

١- كتاب سيبويه ١٢/١ .
٢- ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٦/١ .
٣- الجنى الداني في حروف المعاني ٤ .
٤- شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١/ ١٤.
٥- رصف المباني (مقدمة المحقق) ١٣ .
٦- ينظر : كتاب اللامات ٣١ ، و اللامات : الهروي (مقدمة المحقق) ٢٠ .
٧- اللامات : الهروي (مقدمة المحقق) ٢٠ .
٨- ينظر : الجنى الداني ٣٦ .
٩- ينظر : المقتضب ١٧٧/١ ، وحروف المعاني (الزجاجي) ٤٧ ، والصاحبي في فقه اللغة ١٣٨ .
١٠- كتاب سيبويه ٢١٧/٤ .
١١- ينظر : الأصول في النحو ١ / ٤١٢- ٤١٣ ، والمفصل ٢٩٠ ، وشرح المقدمة الجزولية الكبير ٢ / ٨٢٨ ، وارتشاف الضرب ٤ / ١٩ .
١٢- المقتضب ١ / ٣٩ .
١٣- ينظر : كتاب حروف المعاني ٤٦ .
١٤- ينظر : الجنى الداني ٣٦ .
١٥- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٧ .
١٦- سورة البقرة ، من الآية ٥٤.
١٧- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٩ .
١٨- ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٢٣ .
١٩- سورة البقرة ، من الآية ٣٢.
٢٠- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٥٢ .
٢١- ديوان الفرزدق ١٧٨/٢.
٢٢- سورة الشعراء: الآيتان ٢١٨- ٢١٩.
٢٣- تفسير الأمثل ج١١ / ٤٧٨ .
٢٤- ينظر : مغني اللبيب ١/ ٧٨ ، و الجنى الداني ١٥ .
٢٥- ينظر : مغني اللبيب ٨٠/١ .
٢٦- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٧ .
٢٧- التبيان في تفسير القرآن ٨ / ٣٥٩ .
٢٨- ينظر : مغني اللبيب ٧٨/١ .
٢٩- سورة القصص ، من الآية ٧٠ .
٣٠- تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير ٤٩٤/٦ .
٣١- تفسير روح المعاني ٥ / ٢١١ ، وينظر : الكليات ٨٢ .
٣٢- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٢٥ .
٣٣- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٢٣ .
٣٤- حروف المعاني ، الزجاجي ٨٥ .

٣٥- ينظر: مغني اللبيب ٤٦٣/١- ٤٨٣.
٣٦- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٢٧ .
٣٧- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٣٦ .
٣٨- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٩٤ .
٣٩- ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٤١/٢ .
٤٠- ينظر : كتاب معاني الحروف ١٠٧ .
٤١- ينظر : المصدر نفسه ٤٢/٢ .
٤٢- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٥٩ .
٤٣- سورة يوسف ، من الآية ٣٢ .
٤٤- الميزان في تفسير القرآن ١١ / ٨١ ، واستعمل المفسر لفظ (الفضاحة) كناية عن المبالغة في الفضيحة التي لحقت تلك النسوة .
٤٥- سورة البقرة ، من الآية ٢٠٣ .
٤٦- سورة البقرة ، من الآية ١٧٩ .
٤٧- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ١١٦.
٤٨- سورة الأنفال ، من الآية ٦٨ .
٤٩- التبيان في تفسير القرآن ١٥٢/٥ .
٥٠- ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٢٤٤.
٥١- المصدر نفسه ٢٤٥ .
٥٢- ينظر: المصدر نفسه ٢٤٥- ٢٥٠.
٥٣- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ١٠٧ .
٥٤- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٣١ .
٥٥- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٣٦ .
٥٦- ينظر: التحرير والتنوير١٣٧/٢٦.
٥٧- ينظر: الجنى الداني ٣٠٨- ٣٢٠.
٥٨- ينظر : مغني اللبيب ١٢١/١ .
٥٩- سورة قريش ، الآية ٤ .
٦٠- سورة الزمر ، من الآية ٢٢ .
٦١- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٢٥ .
٦٢- سورة طه ، الآية ١٢٤ .
٦٣- نهج البلاغة ، من الخطبة ٢٤ .
٦٤- شرح نهج البلاغة (الحائري) ١ / ٢٨٥ .
٦٥- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٥٥ .
٦٦- سورة البقرة ، من الآية ٢٤٩ .
٦٧- التبيان في تفسير القرآن ٢٩٣/٢ .
٦٨- ينظر: مغني اللبيب ٣٨٥/١- ٣٩٠.

٦٩- الروائع من خطب الإمام الحسن (ع) ٤٥ .
٧٠- سورة آل عمران ، من الآية ٥٢ .
٧١- الكشاف ٧ / ٥٥ .
٧٢- سورة النساء ، الآية ٢ .
٧٣- مجمع البيان في تفسير القرآن ٣ / ٦ .
٧٤- سورة المائدة ، من الآية ٦ .
٧٥- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٤٤٨ .
٧٦- ينظر: الكتاب٤/٢٣٠، ومعاني الحروف ١٠٨ واللمع في العربية٧٤، والأزهية في علم الحروف ١٩٣، ورصف المباني٣٧١ -٣٧٢، ومغني اللبيب١/١٩٠.
٧٧- ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٩٠- ١٩٣.
٧٨- ينظر: مع نهج البلاغة دراسة ومعجم : د. ابراهيم السامرائي ٢٨٣، ٣٠٦. دار ناشرون ،عمان ١٩٨٧م.
٧٩- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٢٣ .
٨٠- ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٣١٦، والتذييل والتكميل ٢٣١/١١، و الكشاف ٢//٥١٤، وجوامع الجامع ٢٧٩/٢.
٨١- سورة الإنسان /: الآية ٨.
٨٢- سورة الرعد: من الآية ٦.
٨٣- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ١٠٥ .
٨٤- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٣٥ .
٨٥- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ١٠٥ .
٨٦- ينظر : كتاب سيبويه٤٩/١ والمقتضب ٩٥٦/٢ ، وأسرار العربيّة٣٦٩ ، والجنى الداني٥٠٣ ، ومغني اللبيب١٦٦/١ .
٨٧- ينظر: نتائج الفكر٢٥٢ ، وبدائع الفوائد١٢٧/١ .
٨٨- ينظر : بصائر ذوي التمييز٤٢٩/٢ .
٨٩- ينظر : معاني النحو ٣٤/٣.
٩٠- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٢٥ .
٩١- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٣٣.
٩٢- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٦٤ .
٩٣- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ١٠١ .
٩٤- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٩٤ .
٩٥- الروائع من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) ٧٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان النحوي (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق د. رجب عثمان محمد ، ومراجعة د. رمضان عبد التواب ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٨م .

٢- أسرار العربية : أبو البركات الأنباري (كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٥٧ م .

٣- الأصول في النحو: ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣، ١٩٩٦ م .

٤- الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل : ناصر مكارم الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٥- الأزهية في علم الحروف : الهروي (علي بن محمد ت٤١٥هـ) ، تح : الدكتور طه محسن ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، والطبعة الثانية تحقيق عبد المعين الملّوحي ، دمشق ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

٦- بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ت٧٥١هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٧- التبيان في تفسير القرآن : الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، طبعة قم ، ١٤٠٩ هـ .

٨- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، (د . ت) .

٩- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل : أبو حيان النحوي ، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

١٠- تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير : ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي دار حراء ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

١١- الجنى الداني في حروف المعاني : المرادي (الحسن بن قاسم ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق د. فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

١٢- جوامع الجامع : الطبرسي (الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ) ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ط١ ، ١٤١٨ه .

١٣- حروف المعاني : الزجّاجي ، حققه وقدم له د. علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢، ١٩٨٦م .

١٤- ديوان الفرزدق : تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .

١٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني : المالقي (أحمد بن عبد النور ت ٧٠٢هـ) ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٥م .

١٦- الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام) : مصطفى الموسوي ، تعليق مرتضى الرضوي ، دار المعلم ،طهران ، ١٩٧٥م .

١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني : الآلوسي (شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود ت ١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت) .

١٨- شرح التسهيل : ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي ت ٦٧٢هـ) ، تحقيق د. عبد الرحمن السيد ، و د. محمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٠م .

١٩- شرح كتاب سيبويه : السيرافي (أبو سعيد ت٣٦٨هـ) ، حققه وقدّم له وعلق عليه : الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور محمود فهمي حجازي والدكتور محمد هاشم عبد الدايم ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٨٩م .

٢٠- شرح المقدمة الجزولية الكبير : الشلوبين ، تحقيق د. تركي بن سهو بن نزال العتيبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢، ١٩٩٤م .
٢١- شرح نهج البلاغة : جعفر الحائري ، طبعة قم ، ١٤١٠هـ .
٢٢- شرح نهج البلاغة : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، ١٤١٦هـ .
٢٣- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق الشيخ أحمد صقر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
٢٤- كتاب معاني الحروف : الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ٣٨٤ ه) تح : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
٢٥- كتاب سيبويه : سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣، ١٩٨٨م .
٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧م .
٢٧- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : الكفومي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني) ، تح: عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٩٨م.
٢٨- اللامات : الزجاجي ، تحقيق : د. مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢، ١٩٨٥ م .
٢٩- اللامات : الهروي (أبو الحسن علي بن محمد ت ٤١٥هـ) ، تحقيق يحيى علوان البلداوي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٠م .
٣٠- اللمع في العربية : ابن جني ، تحقيق د. فائز فارس ، دار الأمل ، عمان ، ١٩٨٨م .
٣١- مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦م
٣٢- معاني النحو : الدكتور فاضل السامرائي ، بغداد ١٩٨٧م .
٣٣- مع نهج البلاغة – دراسة ومعجم – : د. إبراهيم السامرائي ، دار الفكر ، عمان ١٩٨٧م .
٣٤- المفصل في صنعة الإعراب ، الزمخشري ، تحقيق د . علي بو ملحم ، مكتبة الهلال – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .
٣٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب ، الكويت ، (د.ت) .
٣٦- المقتضب : المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ط ٣، ١٩٩٤ م .
٣٧- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢ هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ .
٣٨- نتائج الفكر في النحو : السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت٥٨١هـ) ، تح : الدكتور محمد ابراهيم البنا ، منشورات جامعة قاريونس – ليبيا ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

دورُ تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة

The Role of History Department Teachers in the Colleges of Education in Enhancing Intellectual Security from the Students' Point of View

الأستاذ الدكتور
صادق عبيس الشافعي

المدرس المساعد
أحمد مهدي العجيلي

Dr. Sadiq Abies Al-Shafei.
Mr. Ahmed Mahdi Al-Ajili

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم العلوم التربوية والنفسية

كلمات مفتاحية: المنهج الوصفي التحليلي / الانتماء الوطني/ الأمن الفكري/ الهوية الوطنية

ملخص البحث

يهدفُ البحثُ الحالي التعرّف على :

١- دور تدريسيي قسم التأريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة.

٢- التعرّف على الفروق في استجابات أفراد عينة البحث على دور تدريسيي قسم التأريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري بحسب متغيّر النوع(ذكور –إناث).

ويتحدّد البحث الحالي بجميع طلبة قسم التأريخ في كلّيّة التربية في جامعة كربلاء - الدراسة الصباحية خلال العام الدراسي (٢٠١٨- ٢٠١٩م) .

ولتحقيق أهداف البحث اعتمد الباحثان على ما يأتي :

١- استخدام (المنهج الوصفي التحليلي) في البحث عن دور تدريسيي قسم التأريخ في كليات التربية في تعزيز الامن الفكري من وجهة نظر الطلبة

٢- بناء مقياس الأمن الفكري، بالاعتماد على الإطار النظري المتوّفر، وتكوّن المقياس في صورته النهائية بعد استكمال شروط الصدق والثبات والقوة التمييزية , من (٤٥) فقرة ، توزعت بين ثلاثة مجالات هي (الانتماء الوطني –الانتماء الحضاري –التفكير الناقد) واستكمالاً لذلك طبّق الباحثان المقياس على عينة قوامها(٢٢٤) طالباً وطالبة من طلبة قسم التأريخ في جامعة كربلاء. ثم حُلّلت البيانات بالاستعانة بالرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) ، وكانت النتائج كما يأتي:

١- ان تدريسيي قسم التاريخ كان لهم دور في تعزيز الأمن الفكري عند طلبتهم وبدرجة كبيرة.

٢- كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث على أداة (ألأمن الفكري) تبعاً لمتغير النوع (ذكور – إناث). وبناءً على هذه النتائج، قدّم الباحثان عدداً من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات المناسبة.

Abstract

The current research aims to identify:

1- The role of the history department teachers in the faculties of education in enhancing intellectual security from the students› point of view.

2- Identifying the differences in the responses of the members of the research sample to the role of teaching staff in the history department in the faculties of education in enhancing intellectual security according to the gender variable (males - females).

The current research is determined by all students of the History Department in the College of Education at the University of Karbala - morning studies during the academic year (2018-2019).

To achieve the objectives of the research, the researchers relied on the following:

1 - Using the (Descriptive and Analytical Approach) in researching the role of the history department teachers in the Faculties of Education in enhancing intellectual security from the students› point of view.

2 - Building the Intellectual Security Scale, based on the available theoretical framework, and the scale was formed in its final form after completing the conditions of truthfulness, constancy and discriminatory power, from (45) paragraphs, which were divided into three domains: (national belonging - civilized belonging - critical thinking). The researchers measured the scale on a sample of (224) male and female students from the history department at Karbala University. Then the data were analyzed using the Statistical Package for Social Sciences (SPSS), and the results were as follows:

1- The history department teachers had a large role in enhancing the intellectual security of their students.

2- The results also showed that there were no statistically significant differences in the responses of the individuals of the research sample to the tool (intellectual security) according to the gender variable (male - female). Based on these results, the researchers presented a number of appropriate conclusions, recommendations and proposals.

المقدمة

الفصل الاول(التعريف بالبحث)

اولا /مشكلة البحث .

لقد مرّ المجتمع العراقي وما زال يمرّ بتغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية كثيرة غيّرت الكثير من بنيته ولمس أفراده بمختلف فئاتهم العمرية والفكرية وقد اتصفت تلك التغيرات بحدوثها السريع ففي السنوات العشر الاخيرة واجه المجتمع العراقي العديد من التحديات والتغيرات التي كان أثرها واضحا على فكره وسلوكه لعل من أبرزها تردي الأوضاع الأمنية وسوء التخطيط لإدارة البلاد ونهب ثرواته وتفشّي ظاهرة البطالة في صفوف الخريجين والانحراف القيمي والتطرّف الفكري والديني الذي أسهم بمساعدة غربان الشر عصابات (داعش) الإرهابية من احتلال أجزاء كبيرة من أرض العراق ناهيك عن قتل وتهجير آلاف من العوائل. (الشافعي والفتلاوي,٢٠١٦,ص٣١٨) ،ومن أكثر فئات المجتمع تأثّراً بتلك الأفكار هم فئة الشباب فبعضهم انساق وراء تلك الافكار الهدامة أو حتى تبنيّها في بعض الأحيان, وهنا يتوجّب على المؤسسات التعليمية ومنها الجامعات تكثيف الجهود في حماية الشباب من جميع الانحرافات من خلال تربيتهم على المحافظة على كافة المعتقدات والافكار والممارسات السليمة , وبذلك يمكن تعزيز الأمن الفكري الذي يعدّ بمثابة الحصن المنيع للأفراد فهو يعمل على تحصين النفس بالمبادئ الأخلاقية والسلوكية التي تحفظ الشخصية وحريتها , فالأمن الفكري له دور مهم في تحصين الشباب والمجتمعات وحمايتهم من أن يصبحوا ضحايا الانحراف , وان المجتمع بجميع أفراده ومؤسساته يتطلّع دائما إلى سيادة الأمن والاستقرار وهذا الأمر قد يكلّف المجتمعات الكثير من الوقت والجهد والمال وقد لا تصل تلك المجتمعات الى بلوغ تلك الأهداف إذا لم تبدأ بتحصين عقول شبابها من شوائب الفكر الضالّ والعقيدة الفاسدة وثقافة التغريب التي تصارع الثقافة الدينية في وجودها. (الحيدر ،٢٠٠٢، ص ٣٤) . لذلك يمكن حصر مشكلة البحث الحالي من خلال طرح السؤال الآتي :- (ما دور تدريسيي قسم التاريخ في كلية التربية – جامعة كربلاء في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة)

ثانيا / أهمية البحث.

يُعدّ العلم من أهمّ مقوّمات المجتمعات ، وسببا في بنائها ،وتقدّمها ،كما انهُ يساعد على تقدّم الدول النامية ،ويمسح العوامل المؤدية للفقر والجهل والأمية ،والرجعية والتي تعدّ من أسباب تنامي الدول وتأخّرها فكريا .فالعلم من الأمور الضرورية ،الواجب توافرها في حياة الانسان كما هو الحال في المأكل والمشرب .وبذلك يساهم العلم في إنتاج وسائل تمكّن الانسان من مواكبة العصور ،والأزمنة المختلفة وتساعده على تكوين وبناء المستقبل المشرق.(الشايب،٢٠١٤،ص٢٢)

ان الثروة الحقيقية لكل الأمم تقاس بقدرتها على استثمار عقول أبنائها في ترسيخ العلم الذي يكون الصانع الحقيقي لمتطلبات الحياة ،. (الحاج،٢٠٠٢،ص٤٣) ولأن الجامعة إحدى أهمّ الأدوات التي يكون لها الدور الكبير في التغيير الاجتماعي والثقافي ، وأحد الأسباب المهمّة في التقدّم العلمي والتقني لذا يجب اعطاء هذه المؤسسة بالغ الأهمية. (الحاج ،٢٠٠٨،ص٣) ويمثّل أعضاء هيئة التدريس الركيزة الأساسية في أساسيات التعليم العالي ،من حيث العمل الذي يقوم به تدريسيو الكلية ،والمتمثل بالتدريس والقاء المحاضرات، والاتصال

بالطلبة ، وكذلك عملية البحث العلمي الذي يكون للتدريسي فيها الدور الأساس وفقا لاستعداداته وخبراته.(علي،٢٠٠٥ ،ص٩٦) ويعدّ الأمن الفكري الهاجس الذي يشغل المجتمعات ،لارتباط أهميته مع أهمية العقل البشري، الذي ميّز الله به الانسان على سائر المخلوقات ،حيث ان العقل البشري هو مناط بالتكليف ،وهو في طبيعة الحال محل الإبداع والإنتاج ،وكذلك هو محل التفكير والتحليل والنقد وغيرها ،وبذلك يعدّ المحرّك الرئيسي للإنسان ،وهو الذي يحدّد موقفه تجاه القضايا المعاصرة ،وهو كذلك يدفع بالإنسان لعمل ما ،أو الامتناع عن ذلك العمل ،وهو مسؤول أيضا عن اتخاذ القرارات في مواقفه.(المالكي،٢٠٠٩، ص٣٣)

ممّا سبق ، يلخّص الباحثان أهمية البحث الحالي بالنقاط الآتية :-

١- بيان أهمية المؤسسة الجامعية من خلال دورها في بناء جيل أكاديمي علمي، وتكوين مفاهيم واتجاهات تربوية لدى الطلبة.

٢- بيان أهمية تعزيز الأمن الفكري الذي يعدّ العامل الأهمّ في ترسيخ جذور الفكر السليم، والحصن المنيع لمواجهة التحدي الخطير المتمثّل بالعولمة الفكرية .

٣ــ يمكن الإفادة من مقياس الأمن الفكري عند بناء المناهج الدراسية.

٤- يعدّ هذا البحث وبحسب علم الباحثين أول بحث علمي محلي يهدف إلى معرفة دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة.

ثالثا/ أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى:

١- التعرّف على دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة.

٢- التعرّف على الفروق في استجابات أفراد عينة البحث على دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري بحسب متغيّر النوع(ذكور ، إناث).

رابعا / حدود البحث:

يتحددّ البحث الحالي بالحدود الاتية:

١ـ الحدّ الموضوعي: التعرّف على دور تدريسي في قسم التاريخ في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة.

٢ـ الحدّ المؤسساتي: أجري البحث في كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة كربلاء.

٣ـ الحد البشري :اجري البحث على طلبة قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الانسانية ـ جامعة كربلاء.

٤ـ الحدّ الزماني: أجري البحث خلال العام الدراسي (٢٠١٨-٢٠١٩).

خامسا/ تحديد المصطلحات

اولا- الدور/ وعرّفه كل من:

١ـ (مرسي،٢٠٠١) :

«مجموعة من الأنشطة المرتبطة والأطر السلوكية التي تحقّق ما هو متوّقع في مواقف معيّنة ويتّرتب على الأدوار إمكانية التنبؤ بسلوك الفرد في المواقف المختلفة» . (مرسي ،٢٠٠١،ص١٣٣)

٢ـ (الشبول والخوالدة،٢٠١٤):

«شكل من أشكال الإجابة على ما ينتظره الآخرون أو يتوّقعه من الفرد ويشتمل على دور الفرد المواقف والقيم والسلوك». (الشبول والخوالدة،٢٠١٤،ص٦٢).

ـ التعريف الإجرائي للدور:

هو كل ما يقوم به تدريسيو قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الانسانية في تعزيز الأمن الفكري وتنمية قيم المواطنة العالمية.

ثانيا- التعزيز / وعرّفه كل من:

١ـ (الحيلة،٢٠٠٩):

«هو أي واقعة يؤدي حدوثها إلى زيادة الاحتمال بان مثيرا ما يمكنه في الظروف التالية ان يستدعي استجابة ما».(الحيلة،٢٠٠٩، ص٢٤٩)

٢ـ (ابوشقيروحلس،٢٠١٠) :

«العملية التي يمكن من خلالها تقوية احتمالية تكرار قيام الفرد بسلوك أو استجابة عن طريق تقدّم معزّز يعقب ظهور هذا السلوك او تلك الإجابة «.

(ابو شقير وحلس ،٢٠١٠،ص ٢٢)

ـالتعريف الإجرائي للتعزيز:

وهو السلوك الذي يستخدمه تدريسيو قسم التاريخ في تقوية سلوك الطلبة للدلالة على الموافقة على هذا السلوك أو تعديله أو رفضه.

ثالثا ـ الأمن الفكري/ وعرّفه كل من:

١ـ (الصالح،٢٠٠٨):

«اطمئنان الفرد والجماعة على عقائدهم وأفكارهم ومكونات أصالتهم وثقافتهم بما يضمن الوسطية والاعتدال في جميع جوانب الحياة».(الصالح،٢٠٠٨ ،ص١٠)

٢ـ (المالكي ،٢٠٠٩):

«سلامة معتقدات الأفراد وتحصين أفكارهم من أي تهديد خارجي يؤدي إلى الإخلال بالثوابت القيمية « (المالكي،٢٠٠٩ ،ص٤٩).

التعريف الاجرائي للأمن الفكري:

سلامة معتقدات الطلبة من أفراد عينة البحث وتحصين أفكارهم من أي تهديد خارجي ،يؤدي إلى الإخلال بالثوابت الدينية والعقائدية والفكرية والأخلاقية والعمل على سلامة الفكر من الانحراف .

الفصل الثاني(جوانب نظرية ودراسات سابقة)

المحور الأول / جوانب نظرية .

اولاً ـ الأمن الفكري:ـ

تطرّق الباحثان في هذا المحور، إلى بيان مفهوم الأمن الفكري ،وإعطاء صورة عن أهميته ومفهومه ،مع الإشارة الى أهمّ خصائصه ،لما يسهم ذلك في إغناء البحث .

تمهيد :ـ

الأمن هو المقابل للخوف والفزع ، فهو الطمأنينة والاطمئنان إلى عدم توقّع مكروه ،ونعمة الأمن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على بني البشر ،ولقد ورد ذلك في آيات كثيرة في تعداد نعم الله على الناس. وتتفق الفلسفة الإسلامية مع هذه الرؤية القرآنية ،حيث يمكن القول إن الأمن شرط أساسي ضروري لتحقيق كمال واكتمال الدين ،وبقاء الحياة مع سلامة الحياة ،وتحقيق الحاجات الأساسية ،مثل المسكن ،والاقوات والأمن،ولقد أخذ مفهوم الأمن مكانا بارزا في المؤسسات العلمية، والسلامة من الاضطرابات ،وتكاد تجمع الدراسات التربوية النفسية في مجال الدوافع ،على ان دافع الأمن يقع بالمرتبة التالية بعد دوافع حفظ الحياة كالأكل والشرب. (عمارة ،٢٠٠٨ ,ص٨٢)

١ ـ مفهوم الأمن.

جاء في لسان العرب «الأمان،» والأمن» ضد الخوف ،والأمانة هي ضد الخيانة، وفي التنزيل العزيز

(وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)(سورة التين،٣) أي ,الأمن، يعني بها مكة ، وهو من الأمن، والمأمن موضع الأمن، والهمزة والميم والنون أصلان متقاربان ,أحدهما الأمانة ومعناها سكون القلب ، والمعنى الآخر الصديق». (ابن منظور،١٩٥٥,ص٢٢٣)

لقد شكّل مفهوم الأمن ولا يزال، محورا أساسيا في حياة الانسان وفي تفكيره، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أم الجماعة ام الدولة، إذ يعدّ الأمن الأولوية الأولى في حياة الانسان وفى ترسيخ وتوطيد دعائم استقراره ونموّه وتقدّمه. فالحاجة إلى الأمن بكافة صوره وأشكاله، من أهمّ الحاجات الفطرية التي لا يمكن أن يكون سلوك الإنسان سويا بدونها او بمعزل عنها ، ولان حاجات الانسان متطوّرة ومتجدّدة مع تطورات الحياة وظروفها، فان ذلك ينعكس بوضوح على ديناميكية مفهوم الأمن وتطوره. (المدني ،١٩٩٣ , ص ٢٣).

ويعدّ الأمن الأولوية الأولى في حياة الانسان في ترسيخ وتوطيد دعائم استقراره وتطوره ، فالحاجة إلى الأمن بكافة صوره وأشكاله، من أهمّ الحاجات الفطرية التي لا يمكن أن يكون سلوك الإنسان سوّياً بدونها او بمعزل عنها، إن الأمن في الأوطان من أعظم النعم التي تفضّل الله سبحانه وتعالى بها على بني الإنسان، وكي تتحقّق الغاية من خلق البشر وهي عبادة الله سبحانه وتعالى ، لابد من توّفر واستتباب الأمن، في المجتمع، فلا تنمية ولا تقدّم بدون وجود أسباب الأمن. فقد لخّص ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في حديثه, «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا » ، ومع أن الأمن بمفهومه الشامل مطلب رئيس لكل أمة اذ ،هو ركيزة استقرارها وأساس أمنها واطمئنانها. (بركات ،٢٠١١ ,ص٤٣)

٢ ـ أهمية الأمن.

يعدّ الأمن بكافة أشكاله ذا أهمية كبيرة للأفراد والجماعات والمجتمعات، لأنه الغاية التي تسعى إليها المجتمعات، والحضارة الانسانية المعاصرة، كما أن مختلف الشرائع السماوية حثّت على وجود الأمن باعتباره ضمانا لتطور واستمرار حياة المجتمعات، وان الدول التي تسعى دوما إلى ضمان أمنها الاجتماعي ،والسياسي ،والاقتصادي ،وكذلك الحفاظ على أمنها الخارجي ،يعدّ أمراً مهماً لبقاء حياة هذه الدولة ،وان عدم تحقيق ذلك سيمنع نهوضها ،وتطلّعها إلى المستقبل سيصبح الخوف مهيمنا على خطواتها المستقبلية، كما يعدّ الأمن من أهمّ مقوّمات حياة الانسان وضرورة انسانية لكل جهد بشري فهو يمثّل ظل الانسان الذي لا يفارقه لتوظيف مهاراته وقدراته لتحقيق معطيات الحياة لعمارة الأرض. (الطوالبة ،٢٠٠٤ ,ص٥٥)

ويرى الباحثان من خلال بيان مفهوم وأهمية الأمن أن الأمن يرتبط ارتباطاً جوهرياً بالتربية والتعليم ،اذ بقدر ما تنغرس القيم الاخلاقية النبيلة في نفوس أفراد المجتمع، ساد الأمن في ذلك المجتمع الآمن والاطمئنان والاستقرار ،ويمثّل الأمن أحد الأنساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي عملا حيوياً ومهّماً في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره، وأن العلاقة بين النظام التعليمي لمجتمع ما ، وعلاقة الأمن تعدّ علاقة طردية بمعنى انه كلما كان النظام التعليمي على صلة وارتباط بذلك المجتمع كان اكثر استقراراً وامناً .

٣ ـ أبعاد الأمن.

يتألّف مفهوم الأمن من عدة أبعاد يمكن ان يحقّقها

هذا المفهوم من خلال أهميته التي توضّحت في عدة مجالات متمثّلة على شكل أبعاد وكما يلي:-

١ ـ البعد السياسي: ويتمّثل في كيفية الحفاظ على هيكلية وكيان الدولة .

٢ ـ البعد الاقتصادي: ومعناه توفير المناخ المناسب لتلبية احتياجات الأفراد داخل الدولة.

٣ ـ البعد الاجتماعي: يهدف إلى توفير الأمن بكافة أشكاله لأفراد شعب الدولة بالقدر الذي يشعرهم بالانتماء والولاء للوطن .

٤ ـ البعد الفكري: الذي يؤمّن الفكر والمعتقدات ويحافظ على قيم وعادات وتقاليد مجتمع الدولة .

٥ ـ البعد البيئي: الذي يعمل على التأمين من أخطار البيئة وذلك للحفاظ على الأمن.

(الحيالي ،١٩٩٩ , ص٢٣)

٤ ـ مفهوم الأمن الفكري :

يعدّ الأمن الفكري من المصطلحات الحديثة نسبياً حيث يأخذ مرتبة متقدّمة في أعقاب التطور الكبير الذي شهده العالم، وفي ظل الثورة المعلوماتية الكبرى، وتطوّر وسائل الاتصال والمواصلات وسهولة انتقال الثقافات وتأثّر بعضها ببعض، وما نتج عن ذلك من غزو فكري وثقافي يهدد الامة في عقيدتها، وفي أمنها واستقرارها ولعل الحوادث التي تشهدها كثير من الدول وتتبّناها جماعات تدعي انها إسلامية ماهي الاّ نتاج لاختلال في الأمن الفكري لدى تلك الجماعات.(الاصيبعي ،٢٠٠٠ , ص٢٤)

ولقد تعدّدت مفاهيم الأمن الفكري ، ولكنها تصبّ في معين واحد ، وهو يعني الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة ، او الأجنبية المشبوهة ، وهو بهذا يعني حماية وصيانة الهوية الثقافية من الاختراق او الاحتواء من الخارج، .وهو اطمئنان الأفراد على مكونات أصالتهم وثقافتهم ومنظومتهم الفكرية ، ويعني السكينة والاستقرار والاطمئنان القلبي واختفاء مشاعر الخوف على مستوى الفرد والجماعة في جميع المجالات النفسية والاجتماعية والاقتصادية. (البرعي ،٢٠٠٢,ص ١٧) .

ان الفرد لا يستقرّ في أمن إلاّ باستقرار الأمن الفكري ، فالأمن الفكري الذي يحمي عقول المجتمعات ويحفظها من الوقوع في الفوضى ، والشهوات ، فجميع أنواع الأمن مرهونة في الحصول على الأمن الفكري ،لذلك هو حالة تشعر الفرد والمجتمع بالطمأنينة على ثقافته ومعتقداته وأعرافه ومكوّنات أصالته ومنظومته الفكرية. (البشري، ٢٠٠٠,ص ٢٤٨).

ولا يختلف الأمن الفكري في معناه النفسي من حيث شعوره بالاطمئنان ، ولكنه يختلف في العالم الخارجي باختلاف أسبابه وبواعثه التي تتمثّل في حقيقتها بأسباب مضادّة للخوف ، فهذه الأسباب إذا نظرنا إليها في داخل المجتمعات الإنسانية ، منها أسباب اجتماعية وأخر اقتصادية وسياسية وفكرية. (البرعي ،٢٠٠٢ ,ص٢٣)

٥ ـ أهمية الأمن الفكري .

خلق الله عز وجل الإنسان، وجعله باحثاً ، دائباً في البحث عن مصالحه، مجتهداً في درء المفاسد عنه، وهذا تنتج حاجة رئيسة هي الأمن، حيث ان تفرّق الناس في الحياة، وتنوّع أديانهم، وأعراقهم، وألوانهم وأهوائهم، والتجاذب الواقع بين مصالحهم، أنتج ألواناً من الصراع، وأصبحت الحضارات والدول تبحث عن وسائل حمايتها وأمنها، كما هي تبحث أيضاً عمّا يحقّق لها الغلبة، كما دأبت المجتمعات

وأفرادها على البحث عن أسباب الأمن، إذاً يمكن القول بأن الأمن الفكري هو همّ وهاجس البشر؛.(بغورة ، ٢٠١٩،ص ٩٥)

ويعدّ الأمن الفكري أخطر ما يواجه الفرد والمجتمع، لاسيما الشباب من أفكار منحرفة نظراً لتبنّيهم تلك الأفكار المنحرفة بسبب ضعف المستوى الفكري لديهم ، وكذلك انسياق بعضهم وراء تلك الأفكار الهدّامة والتيارات المظللة ،ان الأمن الفكري يعدّ من أولويات المجتمعات المعاصرة ، لما يشهده العالم من ظواهر عديدة للإخلال بهذا الجانب الحيوي نظرا للمهدّدات التي تعترض المجتمعات على المستويات المحلية والاقليمية والعالمية كافة .(بركات,٢٠١١, ص٧)

ان مهمة حفظ الأمن الفكري ليست مقتصرة على فرد محّدد بل هي محددة بكل فرد من أفراد المجتمع دون استثناء ، وذلك بإكساب الإفراد قيم المواطنة الصالحة ، وغرس المفاهيم الصحيحة وتكوين الاتجاهات والمعتقدات السليمة التي يؤمن بها المجتمع من كل انحراف وتؤّمن إرادة المجتمع وتحصّنه من الانحرافات الفكرية والعقائدية ،من خلال التأكيد على ضرورة تجسيد الأمن الفكري والأهمّ شريحة في المجتمع وهم الشباب كطلبة الجامعة(الجهشني ، ٢٠٠٢, ص٣١) .

ولكون الشباب يمرّون بفترة حرجة ،فهم يتأرجحون بين فهمهم للأمن الفكري وانتماءاتهم، وما تتعرض له أفكارهم من متغيّرات فكرية تؤثّر على عمق الهوية الوطنية للمجتمع ،خصوصا شريحة الشباب لاسيما طلبة المرحلة الجامعية كونهم عماد المستقبل، من خلال زعزعة قيمهم وتماسكهم وأفكارهم، ووضع فجوة من حيث تماسكه فتحدث خللا واسعا لجميع أفراده المتمثل بجانبها الأكاديمي لذلك أصبح لزاماً على المؤسسات التربوية ومنها الجامعة ان تعمل على غرس القيم والمعارف التي تعزّز الأمن الفكري عند الطلبة.(حمزة،١٩٩٨،ص١١٢)

ويرى الباحثان انه من الضروري الحفاظ على الهوية الوطنية ووضع المعالجات الصحيحة للحدّ من ظاهرة التطرّف ، واتباع التيارات الفكرية ،ويمكن ذلك من خلال اعتماد الوسائل الفاعلة ،ومنها نشر فكر الاعتدال والوسطية لاسيما الشباب الجامعي ،لتحقيق الأمن الفكري للحفاظ على هوية المجتمع من خلال نبذ الطائفية.

٦ ـ خصائص الأمن الفكري .

بما أن الأمن الفكري في أحد مفاهيمه الذي يعني الحفاظ على المكونات الأصيلة للمجتمع، في ظل العولمة والمعاصرة ، فقد كانت له خصائص تؤكد ذلك من خلال ما يأتي :-

١- التأكيد على الهوية الوطنية :

يعيش العالم الان عصر العولمة في صورها المتعدّدة وما أسفرت عنه الثورة العلمية والتكنلوجية من ظهور ما يسمّى بمجتمع المعلومات والعولمة، وهذا الأمر يستلزم الادراك الواعي والقائم على التبصر ، والفهم الصحيح لمعنى العولمة ، بما يمكن من اتخاذ الموقف الصحيح منها خاصة ما يتعلّق بالخطر الذي يهدّد هوية وتاريخ المواطن.(عبد الرحمن ،٢٠٠٧, ص٥) .

٢- المعاصرة الزمنية :

ان المتغيرات السريعة التي يشهدها عالمنا المعاصر تفرض علينا أن يكون لدينا فكر واع ما يساعدنا على مواكبة التطور والتقدّم انطلاقا من فلسفة ورؤية كلية ترتبط وتنبثق من فلسفة المجتمع ، وتعكس مصالحه

العليا، وتستجيب لاحتياجاته وتطلعاته، تكون أكثر تطوراً وتقدما، ومن ثم فان عدم توظيف القدرات العقلية لتستفيد من المفاهيم والأفكار والمعلومات المتوافرة والتفاعل معها بهدف العمل في إطار فكري سيؤدي بالضرورة إلى تخلّف في الفكر، وينعكس ذلك سلبا على الأمن الفكري. (الحاج ،١٩٨٣, ص١٥) .

٣- اتساع نطاقه وآثاره :-

ان كثيرا من الأحداث التي أصابت غالبية البلدان انما هي محصّلة لمجموعة من الأفكار غير المنضبطة كذلك الافكار الهدامة ، وان الأمن الفكري كان له الأثر الكبير من خلال الجوانب الاتية,

أ- إن مستقبل التنمية الفكرية واستمرارها رهين باستقرار الأمن الفكري من خلال إشاعة وتأكيد مفاهيم الحوار والتسامح .

ب- إن الأمن الفكري يؤثّر في الجانب السياسي حيث حرية التعبير عن الرأي ، والممارسة الديمقراطية ، بكونهما أساساً لتجاوز الانغلاق ، أو التعصّب أو الانحراف الفكري بما لذلك من نتائج سلبية على الأمن الفكري للأفراد .

ج- ان بلورة مبادئ الأمن الفكري تحتاج الى إعادة النظر في قواعد واجراءات وأساليب بناء العقل والتفكير ، وهي خطوة حتمية بما يناسب ويعزّز دور الحفاظ على الهوية الوطنية ، ويتلاءم ذلك مع التقدّم العالمي.(غلاب ،١٩٩٨,ص٣٢)

٧- اللازمة لتعزيز الأمن الفكري لدى طلبة الجامعة.

أن الأمن الفكري له مكانة مهمّة في المجتمع، وخاصة في المؤسسات التربوية التي تتمثّل بشريحة الشباب ،فقد كانت هنالك عدة مرتكزات يجب الأخذ بها للوصول إلى بر الأمان من الانحرافات الضالة، وتمثّلت كما يلي :-

ا- إبراز مبدأ الوسطية والاعتدال والتوازن، في ترسيخ الانتماء لدى الطلبة وإشعارهم بالاعتزاز بهذه الوسطية .

ب- معرفة الأفكار المنحرفة، وتحصين الشباب ضدها ، فلابد من بيان خطورة هذه الأفكار وأخطائها قبل وصولها اليهم .

ج- الاهتمام بالتربية , في المؤسسات التربوية وغيرها من مؤسسات المجتمع الأخر .

د- يجب ان يحصل التفاعل بين المؤسسات التعليمية ومحيطها ، بحيث يجعل منها مؤسسات مفتوحة في تعميم التربية والمعرفة ، ممّا يسهل لها متابعة رسالتها في إيجاد الطالب الناجح، نجاحا فكريا ونفسيا للتوافق مع متطلبات الحياة الاجتماعية.(خريف ،٢٠٠٦, ص١٩).

٨ ـ تحدّيات تحقيق الأمن الفكري .

الأمن الفكري تواجهه تحديات كثيرة ومتنوّعة وهي تحديات تكون داخلية وخارجية وعمليات الغزو الفكري والصراعات العقائدية وما ينشأ عنها من حروب عسكرية ونفسية وعقائدية وإعلامية والجماعات المتطرّفة والإرهاب كلها تحديات تواجه عملية الأمن الفكري في المجتمعات الإسلامية ، إذ تفسّر مفردة مفهوم الأمن الفكري من خلال مواكبة النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع فيما بينهما ، لكفاية المجتمع وأفراده من شوائب عقائدية أو فكرية أو نفسية بسبب انحراف السلوك والأفكار والأخلاق، ويحمل ذلك مفهوم الحماية لفكر المجتمع وعقائده من الأفكار المعادية ، وهذا بالطبع يقلق شعور الناس ويمنعهم من الهدوء والطمأنينة والاستقرار بل

يقود إلى تهديد حياة المجتمع .(مصطفى وآخرون ، ٢٠١٣ ،ص ٣١)

ويرى الباحثان بأن الأمن الفكري يكون بمثابة انضباط لعملية التفكير لدى الإنسان وسلامته من الشوائب والانحراف عن الوسطية والاعتدال في الفهم الصحيح للأمور الدينية والسياسية وغيرها ، وعندما نتحدث عن الأمن الفكري نجده ذلك الاصطفاف في منظومة الالتزام والاعتدال والوسطية وشعور الإنسان بالانتماء لهويته التاريخية وثقافته المجتمعية ، وهذا بالطبع له توابعه من عمليات تحصين الأفكار الإنسانية من الأفكار الدخيلة على الحقوق المشروعة ذات العلاقة بالإسلام والعقيدة الشرعية ، فالمجتمع العراقي باتعاظه من تجارب غيره من المجتمعات والاطلاع على خبراتهم والرجوع للتاريخ القريب الذي يحمل الملاءمة بين الأفكار وقربها ومنطقها وواقعها ، يمكن ان يعمل في تعميق الوازع الديني والاهتمام بالقدوة الحسنة الصالحة والتوجيه بالموعظة والحكمة والحوار الهادف البنّاء بين أفراده بما يلائم ذلك .

٩ ـ مجالات الأمن الفكري.

للأمن الفكري العديد من المجالات التي ورد ذكرها في المصادر والمراجع والدراسات التي اطلع عليها الباحثان ، لذلك دأب الباحثان في الأخذ بثلاثة مجالات رئيسة حيث تمّ التركيز عليها حسب إطلاع الباحثان وهي كالآتي :

أولاً - الانتماء الوطني :-

الانتماء، هو حالة شعور الإنسان والشخص إلى الانضمام إلى مجموعة، وهو عبارة عن علاقة شخصية حسية ايجابية، يبنيها الفرد مع أشخاصٍ آخرين أو مجموعةٍ ما، أمّا مفهوم الانتماء إلى الوطن فيعني تلك الحالة والشعور بالانضمام إلى الوطن، وتكوين علاقة إيجابية مع الوطن، وتكوين علاقة قوية تربطنا بالوطن. (ملكاوي ، ٢٠١٢ ،ص ٢٩٩)

لمعرفة مدى انتماء الفرد لوطنه، عليه أولاً أن يشعر بذلك الحسّ في داخله، ثم أن يترجم هذه القيمة الإيجابية لانتمائه على أرض الواقع، من خلال استعداده النفسي لأنْ يسلك كل السلوكيات الايجابية والتي من واجبها أن تخلق فيه شخصاً منتمياً، محبّاً لوطنه.

وفي سبيل تعزيز مفهوم وقيمة الانتماء للوطن يقع على عاتق المؤسسات التعليمية، أن يبذلوا قصارى جهدهم في تنمية وتعزيز قيمة الانتماء للوطن من خلال عدّة أساليب :

١- تعليم الاقتداء بالعظماء من الرموز الوطنيّة، والدينيّة، في حبّهم وانتمائهم للوطن.

٢- الاسترشاد بالآيات القرآنيّة، والأحاديث الشريفة التي تظهر وتبيّن قداسة الوطن والانتماء له.

٣- تعزيز الثقافة الوطنية في أبناء الجيل، والتأكّد من أن الثقافة الأجنبية لا تزعزع انتماءهم للوطن. (مصطفى وآخرون ، ٢٠١٣ ، ص ١١٨)

٤- تذليل كافة الصعوبات التي تواجه أبناء الوطن، وزرع حب التحدي لديهم.

٥- دمج الشباب بكافة المجالات والفعاليات المجتمعية. والحرص على متابعة ما يتفاعل معه هؤلاء الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام.

٦- تعزيز المفاهيم التراثية والتاريخية داخل أبناء الجيل، وحثّهم على الاعتزاز بتراثهم وجذورهم وتاريخهم. (بغورة ، ٢٠١٩ ، ص ١٢١)

ثانياً – الانتماء الحضاري :-

يشير مفهوم الانتماء الحضاري إلى انتساب الفرد إلى حضارة معيّنة بإظهار تأييده وتبعيته لها بكافة جوانبها، سواء كان ذلك ثقافياً أو اجتماعياً أو تاريخياً، ويلعب الانتماء الحضاري دوراً فعالاً في تحديد هوية الفرد والمجتمع بتأطيرهما بصورة ثقافية مستوحاة من البعد التاريخي والتوجه المستقبلي للمجتمع، وبالتالي تحديد الموقف العام له .(ملكاوي، ٢٠١٢ ، ص ٣٤١)

يعدّ الانتماء الحضاري بمثابة وسيلة فعالة تحافظ على شخصية أمة بأسرها، وتصونها من الطمس والاندثار في ظل الاختلاط غير الممنهج بين الشعوب، ويذكر بأن الانتماء التاريخي لدى الأفراد خضع لتأثير عددٍ من العوامل، منها ما كان مذهبياً، وقومياً وفكرياً، الأمر الذي أضفى على الإنسان طابع التزمت ، وساهم في إذكاء الصراع، وتوظيفه لخدمة المصالح الذاتية، وهو المفهوم الذي سيطر على توجيه الأحداث وجهة مأساوية، لا تزال تعاني منها البشرية حتى يومنا هذا، لاسيما حين تبلورت مفاهيم جديدة جعلت للانتماء فضاء جغرافيا، أو إقليميا، أو مذهبيا يتشبث بأي قاسم مشترك كاللغة، أو الجنس و غير ذلك.(بغورة ، ٢٠١٩ ، ص ١٢٣)

بيد أن الانتماء الحضاري الذي كان حصيلة تفاعلات انسانية وثقافية، تخلّص من عقدة الجغرافيا أو المذهب واللغة، وأوجد قاسما مشتركا للتعايش بين مختلف المذاهب والأمم، أثبت نجاحه على مدى عقود وأجيال، حقّق فترات حضارية مزدهرة ليس لها مثيل، وخير مثال على ذلك الحضارة العربية الاسلامية التي أنتجت عباقرة، وعلماء، وفلاسفة في شتى الميادين والحقول، أغنت الحضارة العالمية، وساهمت في النهضة الكونية الحديثة، فكان لغير المسلم ساحة واسعة من الحرية والعمل ليس لها سقف ولا حدود، وكان لغير العربي نفس الحقوق والواجبات، كما لغيره من المواطنين، الأمر الذي أوجد صيغة للتعايش والمواطنة ، ويستطيع فيها كل مواطن مهما كان مذهبه او جنسه، ان يدلي بدلوه في شتى الحقول، ويصل إلى أعلى السلطات، مع الحفاظ على خصوصيته. (الغامدي ، ٢٠١٠ ، ص١١٣)

ثالثاً – التفكير الناقد:-

يُعرف باللغة الإنجليزية بمصطلح (Critical thinking)، وهو عبارة عن وسيلة من الوسائل التي تستخدم في تقديم الحلول، والأفكار للمسائل، والمشكلات المعقدة، أو التي تحتاج إلى استخدام العديد من الأدوات التي تساعد في الوصول إلى النتائج المطلوبة.

(الخوالدة ، ٢٠١٧ ، ص ٢٨)

ويعرّف التفكير الناقد أيضاً بأنّه التفكير الذي يعتمد على صياغةِ مجموعةٍ من القواعد المنطقية، والتي تساعد في تحليل الفرضيات، ودراسة المُعطيات المرتبطة بها من أجل اتّخاذ القرار المناسب، والذي يُساهم في حلّ المشكلة. (علي والزغول ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩)

خصائص التفكير الناقد :

يتميّز التفكير الناقد بمجموعةٍ من الخصائص، وهي:

١- تحليل كافة المعلومات، ودراستها بطريقة جيدة.

٢- محاولة فهم طبيعة المشكلات، والعوامل التي أدّت إلى حدوثها.

٣- الاعتماد على وضع أحكام، وحلول منطقية، وقابلة للتنفيذ وتتوافق مع المعطيات المطروحة في المشكلة.

٤- الاستعانة بكافة الآراء، والخبرات المرتبطة بطبيعةِ المشكلة، والتي تساهم في صياغة الحلول المناسبة لها.

٥- القابلية للتعديل في حال حدوث الأخطاء أثناء التفكير بحل المشكلة.

٦- استخدام مجموعةٍ مِن الأسئلة، والتي تبسّط المشكلة كي يتمّ فهمها بسهولة .

(الخوالدة ، ٢٠١٧ ، ص٣٣)

ويرى الباحثان بأن للتفكير الناقد أهمية كبيرة في تطبيق التعامل المباشر مع القضايا والمشكلات التي تطرأ على سلامة الأمن الفكري وذلك من خلال الآتي :

١- يجعل الإنسان أكثر وضوحاً في التعامل مع ما يتعلّق بسلامة الأمن الفكري .

٢- يساهم في تجنّب تكراره الوقوع في الأخطاء التي تهدّد سلامة الأمن الفكري .

٣- يحسن قدرات الأفراد في الوصول إلى حلّ المشكلات التي تهدّد سلامة الأمن الفكري بسهولة، وذلك من خلال اتخاذ القرارات السليمة.

٤- يشجّع على تطبيق البحث كوسيلةٍ من الوسائل التي تساعد في حلّ المشكلات التي تعترض سلامة الأمن الفكري للمجتمع العراقي .

المحور الثاني (دراسات سابقة) .

١ - عرض دراسات السابقة .

بعد اطلاع الباحثين على الأدب التربوي وجدا دراسات سابقة تناولت (دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة) وهي دراسات تقترب من طبيعة البحث الحالي من حيث متغيّر البحث، وسيتمّ عرضها بحسب تسلسلها الزمني ومن ثم ذكر أوجه التشابه والاختلاف بين البحث الحالي ودراسات سابقة وجوانب الإفادة منها، والتي سيتناولها الباحثان وفقاً للآتي:

١- (دراسة شلدان ٢٠١٣)

(دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري
لدى طلبتها وسبل تفعيله)

أُجريت الدراسة في فلسطين وهدفت إلى التعرّف على دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي ،حيث قام بإعداد استبيان اشتمل على (٤٢) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات هي : عضو هيئة التدريس، المناهج الدراسية، الأنشطة الطلابية، وتكوّنت عينة الدراسة من(٣٩٥) طالبا وطالبة ، من أصل مجتمع الدراسة والبالغ عددهم (١٠٢٧٠) ،وقد أظهرت النتائج ان هنالك دورا لكليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها إذ بلغت تقديرات العينة حول دور الكليات (٧٢,٢٣ ٪) وهذه النسبة تدلّ على الدور الكبير لتلك الكليات ، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات العينة تعزى لمتغير الجنس (ذكر ،أنثى) في المجال الأول والثاني لصالح الذكور ، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير (الجامعة الإسلامية ، الأقصى) جميع المجالات لصالح الجامعة الإسلامية ،وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المستوى الدراسي (سنة ثانية ،سنة رابعة)، وكذلك وجود

فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيّر المعدل التراكمي في جميع المجلات لصالح الامتيازات. (شلدان ،٢٠١٣,ص٣٣-٧٣)

٢ـ دراسة ابو خطوة والباز (٢٠١٤).

(شبكة التواصل الاجتماعي وآثارها على الأمن الفكري لدى طلبة

التعليم الجامعي بمملكة البحرين)

أُجريت الدراسة في البحرين وهدفت إلى التعرّف على انعكاسات شبكة التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين ،وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي ،واعدّا استبانة وتم تطبيقها على عينة من (١٠٤) طلاب وطالبات في الجامعة الخليجية بمملكة البحرين ،وتوصلت الدراسة الى أن شبكة التواصل الاجتماعي تؤثّر بدرجة متوسطة على الأمن الفكري لدى الطلبة بصفة عامة، وأوصت الدراسة بضرورة توعية الطلبة باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي ،وتنمية مهارات التفكير الناقد وعدم الانسياق وراء الدعوات الهدامة.

(ابو خطوة ،٢٠١٤, ص ١-١٨٧)

٣ـ دراسة عبد الحسين (٢٠١٨).

(دور الجامعات العراقية في تعزيز وحماية الأمن الفكري لدى الطلبة من وجهة نظرهم)

أجريت الدراسة في العراق وهدفت الدراسة إلى التعرّف على دور الجامعات العراقية في حماية وتعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها من وجهة نظرهم ،وكذلك التعرّف على دور الجامعات العراقية في حماية وتعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وفقا لمتغير النوع (الذكور ـ الإناث)، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وطبّقت أداة البحث الاستبانة، على عينة (٥٠٠) من طلبة الجامعات العراقية، وقد توصّلت الدراسة إلى وجود فروق» دالة إحصائيا» لصالح الذكور ويعود هذا إلى أن الذكور لديهم دور أكثر فعالية من الإناث من حيث مزاولة مختلفة من الأنشطة العلمية والثقافية التي تقوم بها الجامعات وتهدف من خلالها إلى حماية وتعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وهذ ما يشكّل لهم الدافع الايجابي للجامعات أكثر من الإناث التي تنظر للجامعات بنظرة تختلف عن نظرة الذكور بعيدة المدى، وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات كان من أهمّها, الإفادة من التجارب العالمية في مجال الانحرافات الفكرية وتعزيز الأمن الفكري في المجتمع، وتنظيم حلقات حوارية مفتوحة تجمع بين أعضاء هيئة التدريس وطلابهم تحت إشراف متخصصين بقضايا الأمن الفكري. (عبد الحسين ، ٢٠١٨، ص١-١٣٣)

ً موازنة الدراسات السابقة بالبحث الحالي.

١- (مكان اجراء الدراسة) اختلفت أماكن إجراء دراسات سابقة، فأجريت (شلدان٢٠١٣) في فلسطين ودراسة (أبو خطوة والباز ٢٠١٤) في البحرين, ودراسة (عبد الحسين ٢٠١٨), أمّا البحث الحالي فأجري في العراق .

٢- (الأهداف) هدفت الدراسات السابقة، دراسة (شلدان ٢٠١٣) إلى التعرّف على دور كليات التربية الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله ودراسة(ابو خطوة والباز ٢٠١٤) إلى التعرّف على انعكاسات شبكة التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين ، ، ودراسة (عبد الحسين ٢٠١٨) إلى التعرّف على دور الجامعات العراقية في حماية

وتعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها من وجهة نظرهم، وهدف البحث الحالي إلى معرفة دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة .

٣- (منهج الدراسة) استعملت الدراسات السابقة المنهج الوصفي التحليلي وهو ذات المنهج المتبع في البحث الحالي .

٤- (المجتمع) اتفقت كل من دراسة (شلدان ٢٠١٣) ودراسة (ابو خطوة والباز ٢٠١٤) ودراسة (عبد الحسين ٢٠١٨) مع البحث الحالي حيث كان مجتمع الدراسة طلبة الجامعة.

٥- (العينة) تباينت الدراسات السابقة في حجم العينة التي اعتمدت، فكانت أصغر حجم عينة في دراسة (شلدان ٢٠١٣) البالغ (٣٩٥) طالب طالبة ،وأكبر عينة دراسة (عبد الحسين ٢٠١٨) (٥٠٠) طالب وطالبة ،وعينة البحث الحالي بلغت (٢٢٤) طالبا وطالبة.

٦- (الأداة) كانت الاستبانة أداة لجميع الدراسات السابقة والبحث الحالي أيضا.

٧- (الوسائل الإحصائية) تعدّدت الوسائل الإحصائية في الدراسات السابقة بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والاختبار التائي , بينما سوف تستعمل الدراسة الحالية الرزمة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

٨- (النتائج) أظهرت بيانات الدراسات السابقة التي اعتمدت من قبل باحثيها بنتائج مختلفة، وفيما يتعلّق بنتائج البحث الحالي سوف يتمّ التطرّق إليها عند مناقشة الباحثين لبيانات بحثهما في الفصل الرابع .

ت- الإفادة من الدراسات السابقة.

يمكن تلخيص نواحي الإفادة من الدراسات السابقة على النحو الآتي:

١- دعم مشكلة البحث وتجسيد أهميته.

٣- اختيار الوسائل الإحصائية المناسبة.

٢- اختيار الاطار النظري للبحث وتنظيمه.

٤- اختيار المنهجية المناسبة لتحقيق الأهداف .

٥- الاهتداء إلى المصادر والمراجع التي يحتاجها البحث الحالي .

الفصل الثالث(منهجية البحث واجراءاته)

من أجل الإيفاء بمتطلبات البحث وتحقيق أهدافه ، فقد اتبع الباحثان الاجراءات الآتية :-

اولا- منهجية البحث (Method of the Research)

اعتمد الباحثان في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، كونه يعتمد في دراسة الظواهر الانسانية والطبيعية على الطريقة العلمية في البحث ، وإن من اهمّ أهداف الأسلوب الوصفي التحليلي في البحث هو «فهم الحاضر من أجل توجيه المستقبل» ،(الدليمي ، ٢٠١٤، ص ١٩٠)

ثانيا- مجتمع البحث. (Population of the Research)

يتحدّد مجتمع البحث الحالي بجميع طلبة قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة كربلاء - الدراسة الصباحية ، خلال العام الدراسي (٢٠١٨-٢٠١٩).والبالغ عددهم (٤٤٨) طالبا وطالبة , والجدول (١) يوضّح ذلك .

جدول (١)

يبيّن خصائص مجتمع البحث موزعين بحسب الجامعة والنوع والصف.

ت	الصف	النوع		المجموع
		ذكور	اناث	
١	الاول	٦٣	١٢٤	١٨٧
٢	الثاني	٥٦	٤٠	٩٦
٣	الثالث	٦٤	٥١	١١٥
٤	الرابع	١٧	٣٣	٥٠
المجموع		٢٠٠	٢٤٨	٤٤٨

ثالثاـ عينة البحث (Sample of the Research)

اعتمد الباحثان في اختيار عينات بحثهم على أسلوب (العينة العشوائية الطبقية) لأنها تحقّق التمثيل ليس فقط للمجتمع الأصلي ، بل لكل طبقاته الفرعية مهما كان بعضها يشكّل أقلّية صغيرة ، كما أنها أدقّ من العينة العشوائية البسيطة ، لأنها تجمع العشوائية وبالتالي تحقّق التكافؤ بين الأفراد ، والحياد في الاختيار ، كما أنها تتميّز بالدقّة الإحصائية وانخفاض نسبة حدوث الخطأ المعياري (الكاف ، ٢٠١٤ : ١٠٩) .

وتقسم عينات البحث الحالي الى :-

ا ــ العينة الاستطلاعية (عينة وضوح الفقرات) :

عمد الباحثان على اختيار العينة الاستطلاعية بطريقة عشوائية طبقية ومن خارج العينة الأساسية ، بحيث تمثّل العينة جميع فئات البحث ، وكان الهدف منها التعرّف على الصعوبات التي تواجه الطلبة في التعامل مع الأداة وفهمهم للتعليمات ومدى وضوح الفقرات ، إضافة إلى حساب الوقت المستغرق لإجاباتهم من خلال معادلة الوسط الحسابي ، اذ اختار الباحثان وبالطريقة العشوائية الطبقية (٦٧) طالبا وطالبةً من طلبة قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الانسانية ، وهذا العدد يشكّل نسبة (١٥٪) من عدد الأفراد الكلي ،والجدول (٢) يوضّح ذلك.

جدول (٢)

يبين خصائص العينة الاستطلاعية

ت	الصف	النوع		المجموع
		ذكور	اناث	
١	الاول	٩	١٩	٢٨
٢	الثاني	٨	٦	١٤
٣	الثالث	١٠	٨	١٨
٤	الرابع	٢	٥	٧
المجموع		٢٩	٣٨	٦٧

ب – عينة التحليل الإحصائي(العينة الإحصائية) :

تمّ اختيار عينة التحليل الإحصائي للفقرات بالطريقة الطبقية العشوائية ذات التوزيع المتساوي من مجتمع البحث الأصلي, اذ بلغ حجم العينة (١٥٧) طالبا طالبةً وهذا العدد يشكّل نسبة (٣٥٪) من المجموع الكلي لطلبة قسم التاريخ في جامعة القادسية ،والجدول (٣) يوضّح ذلك.

جدول(٣)

يبين خصائص عينة التحليل الإحصائي

ت	الصف	النوع		المجموع
		ذكور	اناث	
١	الأول	٢٢	٤٣	٦٥
٢	الثاني	٢٠	١٤	٣٤
٣	الثالث	٢٢	١٨	٤٠
٤	الرابع	٦	١٢	١٨
المجموع		٧٠	٨٧	١٥٧

ج – عينة البحث الأساسية :

وبنفس الأسلوب الذي اتبع في اختيار العينة (الاستطلاعية – الإحصائية) اختار الباحثان ما تبقّى من أفراد مجتمع البحث الأصلي كعينة أساسية لاستكمال إجراءات بحثهما, اذا بلغت عينة البحث الأساسية (٢٢٤) طالبا وطالبة من طلبة قسم التاريخ , وهذا العدد يشكّل نسبة (٥٠٪) من مجموع الطلبة الكلي, والجدول (٤) يوضّح ذلك.

جدول(٤)

يبين خصائص عينة البحث الاساسية

ت	الصف	النوع		المجموع
		ذكور	اناث	
١	الأول	٣١	٦٢	٩٣
٢	الثاني	٢٨	٢٠	٤٨
٣	الثالث	٣٢	٢٦	٥٨
٤	الرابع	٨	١٧	٢٥
المجموع		٩٩	١٢٥	٢٢٤

رابعا: أداة البحث.

مقياس الأمن الفكري:

الاطلاع على الدراسات السابقة ومراجعة الأدبيات التي تطرّقت إلى متغيّر الأمن الفكري قام الباحثان ببناء مقياس للأمن الفكري يتناسب مع عينة وأهداف البحث الحالي، ومن أجل بناء المقياس كان هنالك عدد من الخطوات العلمية لبنائه يمكن توضيحها بالاتي:

ا- تحديد مفهوم الأمن الفكري:

يشير مفهوم الأمن الفكري إلى انه» سلامة معتقدات الأفراد وتحصين أفكارهم من أيّ تهديد خارجي يؤدي إلى الإخلال بالثوابت القيمية «(المالكي،٢٠٠٩، ص ٤٩).

٢- صياغة الفقرات:

بعد اطلاع الباحثين على الأدبيات والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع بحثهما، والإفادة منها في اختيار الأفكار وصياغتها لتتلاءم مع المقياس الحالي، وقد تكون المقياس بصيغته الأولية من (٤٥) فقرة موزعة على ثلاث خصائص والجدول (٥) يوضّح خصائص الاداة.

جدول (٥)

يبيّن خصائص أداة الأمن الفكري

ت	اسم المجال	عدد الفقرات
١	الانتماء الوطني	١٥
٢	الانتماء الحضاري	١٥
٣	التفكير الناقد	١٥
	المجموع	٤٥

٣- طريقة القياس استخدم الباحثان مقياس ليكرت (Likert) الخماسي لقياس استجابات المستجيبين ، لفقرات الاستبيان وحسب ما موضّح في الجدول (٦) :

جدول (٦)

درجات مقياس ليكرت لبدائل استبانة الأمن الفكري

البدائل	كبيرة جداً	كبيرة	متوسطة	قليلة	قليلة جداً
الدرجة	5	4	3	2	1

٤ ـ الخصائص السايكومترية Psychometric Properties :

يتمّ تقييم أداة القياس (الاستبانة) من خلال أدوات الصدق(Validity) والثبات (Reliability) ، فنظرية القياس تعني الصلاحية التامة وخلوّ الأداة من أخطاء القياس ، سواء كانت عشوائية أو منتظمة (عبيدات ، ٢٠٠١ ، ص ١٧٩) ، ولاختبار الصدق إحصائيا يتمّ استخدام الآتي :

- الصدق Validity :

يقصد بالصدق أن تقيس الأداة الهدف الذي وضعت من أجله ، ويمكن التحقّق من صحة الأداة بصدق المحكّمين أو ما يسمّى الصدق الظاهري ، وبصدق الاتساق الداخلي (عطوان ومطر ، ٢٠١٨ ، ص ١٠٩) ، فمن أجل التأكّد من صدق الأداة عمل الباحثان على التحقّق من ذلك حسب الآتي :

أ- الصدق الظاهري (صدق المحكّمين) Face Validity :

أشار (عودة ،١٩٩٨) إلى الصدق الظاهري بقوله :» أفضل وسيلة لاستخراج الصدق الظاهري أو المحكّمين ، هي عرض فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء والمختصين ، والأخذ بآرائهم حول مدى تمثيل فقرات المقياس للصفة المراد قياسها «. (عودة ، ١٩٩٨ ،ص٣٧٠) ، وأشار (الجلبي ،٢٠٠٥) إليه كذلك بقوله : « الصدق الظاهري هو المظهر العام أو الصورة الخارجية للمقياس ، من حيث نوع ، وكيفية الصياغة ، ومدى وضوح الفقرات «.

(الجلبي ، ٢٠٠٥ ،ص٩٢) ، لذلك عمل الباحثان على عرض عبارات المقياس على مجموعة من الخبراء والمحكمين ، ، لتحليل مضامين عبارات المقياس ، وتحديد مدى التوافق بين عبارات المقياس ، إذ اعتمد الباحثان النسبة المئوية للحكم على صلاحية الفقرة وقبولها ، وهي نسبة (٧٥٪) فأكثر من آراء المحكمين واستبعاد الفقرات التي تحصل على نسبة أقلّ من ذلك ، حسب رأي بلوم وآخرين (١٩٨٣) ، إذ يرون بأن نسبة الاتفاق (٧٥٪) فأكثر هو دليل على الصدق الظاهري (بلوم وآخرون ، ١٩٨٣ ،ص ١٢٦) ، كما هو موضّح في جدول (٧).

جدول (٧)

يبين آراء المحكّمين (الصدق الظاهري) لأداة الأمن الفكري

التسلسل	مجالات المقياس	ارقام الفقرات	استجابة المحكمين		النسبة المئوية للموافقين	النسبة المئوية لغير الموافقين
			موافق	غير موافق		
١	الانتماء الوطني	١-١٥	٢٠	٠	١٠٠%	٠
٢	الانتماء الحضاري	١٦-٣٠	٢٠	٠	١٠٠%	٠
٣	التفكير الناقد	٣١-٤٥	٢٠	٠	١٠٠%	٠
المجموع		٤٥	٢٠	٠	١٠٠%	٠

ب-صدق الاتساق الداخلي Internal Validity

يقصد بهذه العلاقة ، إيجاد معامل الارتباط بين الأداء على كل مجال من مجالات المقياس ، والأداء على المقياس بأكمله ، وكلّما ارتبط المجال بدرجة أعلى مع الدرجة الكلية للمقياس ، يعد أكثر جودة. (الكبيسي ، ٢٠١٠ ،ص ٤٦) ، ويوضّح الجدول (٨) معامل الارتباط بين كل مجال من مجالات الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة، والذي يبيّن أن معاملات الارتباط المبينة دالّة عند مستوى معنوية (٠,٠١)[١] ، وهذا يشير بأن أداة البحث تتميّز بدرجة عالية من صدق الاتساق الداخلي ، وبذلك يعد المجال صادقاً لما وضع لقياسه .

جدول (٨)

يوضّح معامل الارتباط بين كل مجال من مجالات أداة (الأمن الفكري) والدرجة الكلية للأداة

	الدرجة الكلية	المجال الاول	المجال الثاني	المجال الثالث
الدرجة الكلية	1	0,960	0,962	0,947
المجال الاول	0,960	1	0,899	0,856
المجال الثاني	0,962	0,899	1	0,859
المجال الثالث	0,947	0,856	0859	1

يتضح من الجدول(٨) أن معاملات الارتباط لدرجات كل جانب من للجوانب مع الدرجة الكلية للأداة تتراوح بين(٠,٨٥٦ - ٠,٩٩٩) وجميعها دالّة إحصائياً عند مستوى دلالة(٠,٠٠١) وهذا يدلّ على أن جميع جوانب الأداة تتمتّع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي أي أن الأداة تقيس ما وضعت لقياسه .

٥- القوة التمييزية (Item Discriminatory Power) لفقرات أداة الأمن الفكري.

يقصد بالتمييز قدرة الفقرة على التمييز بين الأفراد الذين يحملون الخاصية أو السمة التي وضعت الأداة من أجل قياسها والأفراد الذين لا يحملونها.

(الزوبعي والغنام,١٩٩٨، ص ٧٩)

لذلك فحساب القوة التميزية للفقرات خطوة أساسية من خطوات بناء أداتي البحث إذ يتمّ من خلالها تحليل الفقرات والإبقاء على الفقرات ذات القوة التميزية العالية واستبعاد الفقرات ذات القوة التميزية الواطئة , ولأجل الكشف عن الفقرات المميزة استعمل الاختبار التائي (T-Test) لمعرفة الفروق بين الأوساط الحسابية لدرجات المجموعتين العليا والدنيا ولكل فقرة من فقرات أداة (الأمن الفكري) , وبناءً على ذلك فإن كل فقرة أظهرت فروقاً ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة من المجموعتين العليا والدنيا وعند مستوى دلالة (٠,٠٥) عدها الباحثان فقرةً مميزةً, وقد أظهرت النتائج أن جميع الفقرات كانت تتمتع بقوة تمييزية عالية[٢].

٦- الثبات (Reliability)

يقصد بالثبات ، الاتساق في نتائج المقياس ، ومعامل الثبات هو معامل الارتباط بين درجات الأفراد في المقياس في طرائق الإجراء المختلفة. (ابو علام،٢٠١١،ص ٤١١)، ولأجل حساب ثبات المقياس ، استخدم

الباحثان الطريقتين الآتيتين ، على عينة مكّونة من (٢٧١) طالباً وطالبة ، حيث تم اختيارهم بالطريقة العشوائية .

وقد تمّ احتساب الثبات بطريقتين هما :-

أ- طريقة التجزئة النصفية (Split-Half Method).

قام الباحثان بحساب معامل الثبات باستعمال طريقة التجزئة النصفية ،وذلك من خلال الرجوع إلى درجات عينة التحليل الإحصائي، وباستخدام المجموعتين المتطّرفتين العليا والدنيا، اذ بلغ حجم العينة (١٤٦) طالباً وطالبة, إذ حسبت درجات أفراد العينة بعد تجزئة فقرات الاختبار إلى نصفين (فردية وزوجية) واعتبرت الفقرات ذات الأرقام الفردية هي فقرات النصف الأول والفقرات ذات الأرقام الزوجية هي فقرات النصف الثاني , وتمّ حساب معامل الارتباط بين النصفين عن طريق استخدام معامل ارتباط بيرسون ,ملحق(٥) وقد بلغت قيمة معامل ثبات نصف الاختبار (٠,٨٦) , وبما أن هذه القيمة لنصف الاختبار فقد استعمل الباحثان معادلة (جتمان, Gettman)*[٣] لتصحيح معامل الثبات , وبذلك أصبحت قيمة معامل الثبات بعد التصحيح (٠,٩٥) وهذه النتيجة تدلّ على أن الأداة تتمتّع بدرجة عالية من الثبات تطمئن الباحثين عند تطبيقها على عينة البحث الاساسية .

ب ــ طريقة التجانس الداخلي (Internal Consistency)(ألفا – كرونباخ)

وتعتمد هذه الطريقة على مدى ارتباط البنود أو المجالات مع بعضها داخل الاختبار, وكذلك ارتباط كل بند أو مجال مع الاختبار ككل, ويمثّل معامل الفا – كرونباخ متوسط معاملات الارتباطات الناتجة عن تجزئة الاختبار إلى أجزاء , وبذلك فإنه يمثّل معامل الارتباط بين أي جزءين من أجزاء الاختبار.

وقد استخرج الباحثان معامل الثبات بطريقة ألفا – كرونباخ لكل جانب من جوانب الأداة الأولى الخاصة بتقويم جودة مخرجات قسم التاريخ وكذلك استخرج للأداة ككل, والجدول (٩) يوضح ذلك .

جدول رقم (٩)

قيم معاملات الثبات باستخدام ألفا- كرونباخ

ت	المجال	عدد الفقرات	قيمة معامل الثبات الفا- كرونباخ
١	الإنتماء الوطني	15	0,912
٢	الإنتماء الحضاري	15	0,731
٣	التفكير الناقد	15	0,758
٤	الإستبانة ككل	45	0,876

يتضح من الجدول (٩) أن معامل الثبات المستخرج بطريقة الفا – كرونباخ ولجوانب الأداة جميعها أعلى من (٠,٧٣١) وان معامل الثبات الكلي للأداة (٠,٨٧٦) وهذا يؤكد أن الأداة تتمتع بدرجة عالية من الثبات تطمئن الباحثين عند تطبيقها على عينة البحث الأصلية .

٧ـ تطبيق اداة البحث.

طبّقت أداة البحث المتمثّلة في الاستبانة بصيغتها النهائية , على العينة المشمولة بالبحث من الطلبة والبالغ عددها (٢٢٤) طالبا وطالبة ،من طلبة قسم التاريخ، في كلية التربية، جامعة كربلاء، وقد تحاور الباحثان مع أفراد العينة وبيّنا لهم أهداف البحث وكيفية الإجابة عن فقراته وقد حرصا على الإجابة عن جميع أسئلة افراد العينة واستفساراتهم دون التأثير في إجاباتهم ، وبذلك تمّت الإجابة عن الفقرات بكل سهولة ويسر وبدون أي تدّخل من قبل الباحثين ، واستمر توزيع واسترجاع الاستبانات لمدة اسبوع من ٢٠١٩/٤/٧ ولغاية ٤/١٤/ ٢٠١٩ .

٨ـ تفريغ بيانات أداة البحث.

بعد الانتهاء من جمع الاستبانات من أفراد عينة البحث تم تفريغ بياناتها في البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS) وذلك لإجراء العمليات الإحصائية المناسبة لتحقيق أهداف البحث , وبما ان كل (فقرة) من فقرات أداة البحث تضمّ خمسة بدائل متدرجة فقد تمّت عملية تفريغ البيانات من خلال إعطاء وزن (درجة) لكل بديل من البدائل الخمسة ،وتحسب الدرجة الكلية لكل طالب وفقا للبدائل المختارة من قبله ومن خلال جمع الدرجات الخاصة بكل فقرات الأداة البالغة (٤٥) فقرة وبذلك تراوح المدى النظري لدرجات أفراد العينة ما بين (٢٥٠) درجة وتمثّل الحد الاعلى للاستجابة و(٥٠) درجة وتمثّل الحد الادنى للاستجابة .

٩ ـ الوسائل الاحصائية.

لمعالجة بيانات البحث استعملت طرائق احصائية وصفية وتحليلية وذلك من خلال الاستعانة بالرزمة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وقد تمثّلت الطرائق الإحصائية الوصفية في (المتوسطات الحسابية – الانحرافات المعيارية- الأوزان المئوية) وتمثّلت الطرائق الإحصائية التحليلية في (اختبار t-test , معامل ارتباط بيرسون , ومعامل الفا- كرونباخ (Chronbach-Alpha) – معادلة (سبيرمان – براون) لتصحيح معامل الثبات , والشكل (١) يوضح ذلك.

شكل(١)

يبيّن الوسائل التي استعملت في البحث الحالي والغاية من الاستعمال

ت	الوسيلة الاحصائية	الغاية من الاستعمال
١	الاختبار التائي (T-Test)	لاستخراج القوة التميزية لكل فقرة من فقرات اداتي البحث
٢	معامل الفا – كرونباخ	لاستخراج معامل الثبات
٣	معامل ارتباط بيرسون Pearson correlation) Coefficient)	لاستخرج صدق الاتساق الداخلي ودرجات الثبات
٤	معادلة سبيرمان – براون (Spearman- Brown)	لتصحيح معامل الثبات
٥	المتوسطات الحسابية والانحرافات والاوزان المئوية	لاستخراج النتائج النهائية

الفصل الرابع (عرض النتائج وتفسيرها)

يتضمّن هذا الفصل عرضا وتحليلا للنتائج التي توصّل اليها البحث ومن ثم مناقشة وتفسير تلك النتائج في ضوء أهداف البحث .ولغرض تسهيل تفسير نتائج البحث وكذلك لتحديد مستوى دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة, قام الباحثان بالإجراءات الآتية:-

١- تم تحويل درجات أوزان بدائل الإجابة عن فقرات أداة الدراسة إلى مستويات معيارية والجدول (١٠) يوضح ذلك .

جدول (١٠)

الحكم على دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة

٢ـ لتحديد دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة، تمّ إيجاد قيم المتوسطات الحسابية والأوزان المئوية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من الفقرات البالغة (٤٥) فقرة للمواطنة العالمية، وفي ما يأتي عرض لنتائج الدراسة وبحسب أهدافها.

جدول (١٠)

الحكم على دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة

المستويات	الوزن المئوي	تقدير مستوى الدور
1 – 1.80	20 % - 36 %	درجة قليلة جدا
1.81 – 2.60	36.10 % - 52 %	درجة قليلة
2.61 – 3.40	52.10% -68 %	درجة متوسطة
3.41 –4.20	68.10 % - 84 %	درجة كبيرة
4.21 – 5	84.10 % - 100 %	درجة كبيرة جدا

٢ـ لتحديد دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة، تمّ إيجاد قيم المتوسطات الحسابية والأوزان المئوية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من الفقرات البالغة (٤٥) فقرة للمواطنة العالمية، وفي ما يأتي عرض لنتائج الدراسة وبحسب أهدافها.

اولاً / نتائج البحث الخاصة بالهدف الأول والذي ينصّ على(التعرّف على دور تدريسي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الطلبة).

من أجل التحقق من هذا الهدف , تمّ استخراج قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان المئوية لكل فقرة من فقرات الأداة والبالغة (٤٥) فقرة , والجدول (١١) يوضح ذلك .

جدول (١١)

(المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان المئوية لفقرات الأمن الفكري) .

ت	المجال الأول (الانتماء الوطني) الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن المئوي	تقدير المستوى
1	يوضح للطلبة خطورة قبول الأفكار الدخيلة والهدامة على المجتمع العراقي .	3.392857	1.069759	67.85714	متوسطة
2	يؤكد على ضرورة قبول التعددية الثقافية في المجتمع .	3.482143	1.069423	69.64286	كبيرة

3	يبين للطلبة العلاقات التاريخية التي تربط المجتمع العراقي بالمجتمعات الاخرى.	3.607143	1.009968	72.14286	كبيرة
4	يبرز المخاطر المحيطة بالهوية التاريخية للمواطن العراقي في زمن العولمة .	3.53125	1.106219	70.625	كبيرة
5	يزوّد الطلبة بالمعارف والمعلومات التاريخية التي تسهم في مواجهة القضايا الخلافية في المجتمع .	3.522321	1.048166	70.44643	كبيرة
6	يعمل على توثيق الصلات بين النسيج الاجتماعي العراقي .	3.5	1.055172	70	كبيرة
7	يوعي الطلبة بالمشاركة الفاعلة في بناء المجتمع والمحافظة على مكتسباته.	3.566964	0.983786	71.33929	كبيرة
8	يبين للطلبة خصائص ومميزات المجتمع العراقي.	3.477679	1.022479	69.55357	كبيرة
9	يحث الطلبة على الاخلاص للوطن والعمل على رفعته وتقدمه .	3.526786	0.97318	70.53571	كبيرة
10	يؤكد للطلبة احترام النظم والقوانين والتشريعات الخاصة بالمجتمع .	3.575893	1.057596	71.51786	كبيرة
11	يُطلع الطلبة على المواقف المشرّفة للعراق اتجاه القضايا المصيرية التي تخص الامة العربية .	3.526786	0.952983	70.53571	كبيرة
12	يحث الطلبة على الدفاع عن المبادئ الوطنية والاسلامية.	3.40625	1.025856	68.125	كبيرة
13	يعزز قيم المساهمة في العمل الجماعي بما يحقق طموحات المجتمع العراقي.	3.424107	1.060268	68.48214	كبيرة
14	ينمّي الاعتزاز بدور المجتمع التاريخي في مواقفه مع المجتمعات الاخرى.	3.40625	1.094296	68.125	كبيرة

15	يؤكد بان الانجازات الفردية هي انجازات المجتمع ككل .	3.397321	1.033535	67.94643	متوسطة
	المجال الثاني (الانتماء الحضاري)				
	الفقرات				
16	يكسب الطلبة التفاعل الايجابي مع الشعوب والثقافات الاخر بكل ثقة واحترام.	3.383929	1.015955	67.67857	متوسطة
17	يؤكد ان الحوار هو الأسلوب الحضاري لمعالجة مختلف القضايا والمشكلات.	3.486607	1.08191	69.73214	كبيرة
18	يساعد على الفهم الصحيح لمكتسبات العراق الحضارية وتطلعاته المستقبلية.	3.375	1.034708	67.5	متوسطة
19	يوضّح بعض المفاهيم التاريخية ومعانيها مثل (الجهاد ،التكفير ،الولاء الانتماء، الغلوّ)	3.316964	1.025155	66.33929	متوسط
20	يغرس عظمة الحضارة العربية الاسلامية في نفوس الطلبة .	3.366071	1.033535	67.32143	متوسطة
21	يزوّد الطلبة بالمعرفة الكافية بتراث وثقافة الامة العربية الاسلامية.	3.446429	1.041502	68.92857	كبيرة
22	يعزّز رغبة الطلبة في طلب المعلومات التاريخية المرتبطة بالحضارة العربية الاسلامية.	3.428571	0.961851	68.57143	كبيرة
23	يعرّف الطلبة بان العراق مهد الحضارة الانسانية.	3.455357	1.053169	69.10714	كبيرة
24	يسعى الى حماية عقول الطلبة من الافكار والمعتقدات الخاطئة التي تؤدي الى الانحراف بالسلوك.	3.334821	1.08191	66.69643	متوسطة

25	يؤكد على مكانة المجتمع العراقي وقدرته على التاثير الثقافي والحضاري اقليما وعالميا	3.4375	1.034013	68.75	كبيرة
26	يحذر من التشبه بالحضارات الغربية في الملبس والعادات والتقاليد .	3.401786	1.044087	68.03571	متوسطة
27	يعزّز احترام الطلبة للعلماء والمفكرين والمؤرخين العرب في المجالات المختلفة.	3.357143	1.018429	67.14286	متوسطة
28	يؤكد للطلبة اهمية المحافظة على المواقع الاثرية للحضارة العراقية.	3.308036	1.058912	66.16071	متوسطة
29	يعزّز ثقة الطلبة بمكانتهم ودورهم في الإثراء الحضاري .	3.392857	1.172958	67.85714	متوسطة
30	يؤكد في تدريسه على القيم الحضارية والثقافية الموروثة للعرب.	3.433036	1.129248	68.66071	كبيرة
	المجال الثالث (التفكير الناقد)				
	الفقرات				
31	يحثّ الطلبة على استعمال التفكير الناقد في الوصول الى الحقيقة التاريخية.	3.455357	1.157382	69.10714	كبيرة
32	يحثّ الطلبة على استعمال التفكير الناقد لاستثمار الافكار التي تحقق الامن الفكري.	3.379464	1.079749	67.58929	متوسطة
33	يدرّب الطلبة على استخدام أسلوب التفكير الناقد في تفحّص القضايا الخلافية .	3.450893	1.060268	69.01786	كبيرة

34	يحثّ الطلبة على الالتزام بآداب النقد والتحليل والاستقراء للمعلومات التاريخية .	3.419643	1.104471	68.39286	كبيرة
35	يشجّع الطلبة على نبذ الافكار الهدامة الوافدة للمجتمع .	3.486607	1.075079	69.73214	كبيرة
36	يستعمل طرائق تدريس تعمل على تنمية مهارات التفكير الناقد .	3.397321	1.070892	67.94643	متوسطة
37	يدرّب الطلبة على نقد الافكار المتطرفة بطريقة بناءة.	3.348214	1.052955	66.96429	متوسطة
38	يحثّ الطلبة على عدم التسرع في اصدار الاحكام على الأحداث التاريخية قبل التحقق من نقدها .	3.339286	1.038045	66.78571	متوسطة
39	يحفز الطلبة على الاستدلال والاستنتاج وتقويم الحجج التاريخية .	3.383929	1.012944	67.67857	متوسطة
40	يعلّم الطلبة على التفريق بين الراي والحقيقية التاريخية .	3.334821	1.016132	66.69643	متوسطة
41	يربط بين عناصر الحدث التاريخي للوصول الى إصدار حكم حوله.	3.446429	1.044216	68.92857	كبيرة
42	يستخدم أساليب تشجّع الطلبة على التأمل وطرح الافكار حول الحدث التاريخي .	3.455357	1.043183	69.10714	كبيرة
43	يوازن بين التفكير الناقد للطلبة والمعطيات التاريخية في المجتمع.	3.428571	1.033535	68.57143	كبيرة
44	يدرّب الطلبة على استقراء الأحداث التاريخية .	3.383929	1.042149	67.67857	متوسطة
45	يدرّب الطلبة على استشراف المستقبل من خلال المعطيات التاريخية .	3.424107	1.021468	68.48214	كبيرة
	المتوسط العام	3.431151	1.048944	68.62302	كبيرة

يتضح من الجدول (١١) أن تدريسي قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الانسانية كان لهم (دور في تعزيز الأمن الفكري) وبدرجة (كبيرة) على وفق المستويات المعيارية التي حدّدها الباحثان لتقدير المستوى وكما مبيّن في الجدول (١٠), إذ بلغ المتوسط الحسابي العام لاستجابات أفراد العينة على فقرات الأداة (٣,٤٣١١٥١) والانحراف المعياري بلغ
(١,٠٤٨٩٤٤) والوزن المئوي(٦٨,٦٢٣٠٢) وهي نتيجة تعكس واقع التدريس في قسم التاريخ في كلية التربية للعلوم الانسانية ويرجع الباحثان السبب في هذه النتيجة الى أن أعضاء هيئة التدريس يسعون لحماية الطلبة من الانزلاق في التطرف والعنف، الذي ضرب البلاد ،والهجمة الشرسة التي شنَّها الفكر التكفيري ضد أبناء المجتمع العراقي متمّثلة بتنظيم داعش الارهابي , كما يعتقد الباحثان بأن طبيعة محتوى الكتب الدراسية في قسم التأريخ يمكن ان يكون قد ساهمت بشكل واضح في دعم وتعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة ، إذ أن من أهمّ أهداف دراسة التاريخ في العراق هو حماية المتعلمين من أي تهديد خارجي لاسيما تهديد الأمن الفكري والعقائدي .

ثانياً/ نتائج البحث الخاصة بالهدف الثاني والذي ينصّ على(التعرّف على الفروق في استجابات أفراد عينة على دور تدريسيي قسم التاريخ في كليات التربية في تعزيز الأمن الفكري بحسب متغيّر النوع(ذكور ، أناث).

ومن أجل التحقّق من هذا الهدف , تمّ استخراج المتوسطات الحسابية الانحرافات المعيارية بحسب متغير النوع (ذكور – إناث) , فتبيّن إن المتوسط الحسابي لدرجة العينة المختارة من الذكور(١٥٥,٧٨) درجة وبانحراف معياري (٢٩,٣٣)، في حين كان المتوسط الحسابي لدرجة العينة المختارة من الإناث (١٥٣,٣١) درجة وبانحراف معياري (٣١,١٨)، وعند اختيار معنوية الفروق بين متوسطي درجات الإناث والذكور باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين(t-test) وجد بان القيمة التائية المحسوبة تساوي (٠,٦٠٣) وعند مقارنتها بالقيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٦)عند مستوى دلالة (٠, ٠٥) وبدرجة حرية (٢٢٢) ، تبين أن القيمة التائية المحسوبة أقل من القيمة التائية الجدولة ، أي إنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين أفراد عينة البحث تعزى لمتغير النوع والجدول (١٢) يوضّح ذلك .

جدول (١٢)

(نتائج اختبار دلالة الفروق بين متوسط درجات افراد عينة البحث بحسب متغير النوع (الذكور والإناث)

الجنس	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة المعنوية
					المحسوبية	الجد ولية	
ذكور	99	155,78	29,33	222	0,603	1,96	غير دالة
اناث	125	153,31	31,18				

يتضح من الجدول (١٢) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إستجابات أفراد العينة على فقرات أداة الدراسة تعزى لمتغير (النوع) ويعدّ هذا مؤشراً مهمّا على أن اعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ يمارسون نفس الدور (في تعزيز الأمن الفكري) مع الطلبة وبغضّ النظر عن نوعهم سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً , ويعتقد الباحثان أن سبب استجابة أفراد العينة على فقرات الاستبانة بهذا الشكل يعود إلى أن أفراد عينة البحث يحملون نفس الأفكار والمعتقدات اتجاه ما يمتلكه تدريسيو قسم التاريخ في جامعة كربلاء من معارف وقيم ومهارات والتي يمكن لها ان تعزّز الأمن الفكري لديهم .

الفصل الخامس(الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات)

اولا / الاستنتاجات :

١- يُعدّ التعليم الجامعي أهمّ أدوات التغيير الاجتماعي والثقافي .

٢- تُعّ الثروة الحقيقة لمقياس قدرات الأمم هي عقول أبنائها الطلبة وخاصة طلبة الجامعات

٣- يُعدّ طلبة الجامعة المكسب الحقيقي لبناء الوحدة الفكرية المجتمعية .

٤- يعدّ الامن الفكري أداة الانضباط لعملية تفكير الانسان وسلامة فكره من الإنحراف.

ثانيا / التوصيات:

١- على كليات التربية عقد الورش والمؤتمرات العلمية التي يمكن من خلالها تعزيز الأمن الفكري.

٢- ضرورة تضمين الأهداف التي يسعى إليها البحث في قسم التأريخ بهدف تعزيز الامن الفكري .

٣- على كليات التربية في الجامعات العراقية زيادة الاهتمام بالأنشطة الطلابية والتي من شأنها أن تعزز الأمن الفكري لديهم.

٤- توجيه انظار طلبة الدراسات العليا في كليات التربية بكتابة الرسائل والأطاريح العلمية بالقضايا التي تعزّز الأمن الفكري.

ثالثا /المقترحات:

١- إجراء دراسة لمعرفة مدى إسهام الكتب المنهجية التاريخية في المرحلة الجامعية في تعزيز الأمن الفكري.

٢- إجراء دراسة لمعرفة أهمّ الاستراتيجيات التي يمكن من خلالها تعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة.

٣-اجراء دراسة تحليلية لمحتوى كتب المرحلة الثانوية في ضوء مجالات الأمن الفكري.

المصادر والمراجع

اولا / المصادر.

•- القرآن الكريم .

١- ابن منظور ،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٥٥) لسان العرب ، المجلد الثاني ،دراسات العرب ،بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر .

ثانيا / المراجع

١- ابو خطوة ، السيد عبد المولى ،والباز ، احمد نصحي أنيس (٢٠١٤) شبكة التواصل الاجتماعي وآثارها على الامن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين ، المجلة العربية لضمان جودة التعليم ، البحرين .

٢- ابو شقير ،محمد ،حلس ،داود (٢٠١٠) مهارات التدريس الفعال ،ط١ ،مكتبة افاق ، غزة ، فلسطين .

٣- ابو علام ، رجاء محمود (٢٠١١) مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط٦ دار النشر للجامعات ، القاهرة ، مصر.

٤- الاصبيعي ،محمد ابراهيم (٢٠٠٠) الامن بمفهومه الشامل ،المؤتمر العربي للتعلم والأمن ،جامعة نايف للعلوم الامنية، الرياض، السعودية.

٥- البرعي، وفاء محمد (٢٠٠٢) دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، اطروحة دكتوراه منشورة ،دار المعرفة الجامعة ،الاسكندرية ، مصر .

٦- بركات ،احمد لطفي(٢٠١١) القيم والتربية،دار المريخ ،الرياض،السعودية .

٧- البشري ،محمد امين (٢٠٠٠) الامن العربي المقومات المعوقات ، منشورات اكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية .

٨- بغورة ، صبحة (٢٠١٩) ، مراجعات في حديث السياسة مع الفن والأمن والتاريخ ، ط١ ، شركة الكتب الالكترونية ، بريطانيا .

٩- بلوم ، بنيامين ومادوس، جورج وهاستنجس، توماس (١٩٨٣)، تقويم تعلم الطالب التجميعي والتكويني، ترجمة محمد امين مفتي وآخرون ، دار ماكجدوهيل للنشر ، الطبعة العربية ، القاهرة ، مصر.

١٠- الجلبي، سوسن شاكر (٢٠٠٥) اساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية ، ط١ ، دار علاء الدين ، دمشق .

١١- الجهشني ،مشعل نافع (٢٠٠٢) الدور الوقائي لادارة المدرسة الثانوية تجاه مسؤوليات المخدرات، رسالة ماجستير منشورة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.

١٢- الحاج ،احمد علي (٢٠٠٢) فلسفة التربية المعاصرة ،دار المناهج للنشر, عمان, الاردن.

١٣- الحاج ،عزيز (١٩٨٣) الغزو الثقافي ومقاومته ،ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان .

١٤- الحاج ،فيصل عبد الله، واخرون(٢٠٠٨) دليل ضمان الجودة والاعتماد للجامعات العربية لاعضاء الاتحاد، عمان ، الاردن .

١٥- حمزة ، مختار (١٩٩٨)علم النفس الاجتماعي ، ط١ ،دار المجتمع المكي، جدة ،السعودية .

١٦- الحيالي ،رعد كامل (١٩٩٩) العولمة وخيارات المواجه ،شركة الخنساء للطباعة ، بغداد ، العراق.

١٧- الحيدر ،حيدر بن عبد الرحمن (٢٠٠٢) الامن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية ، اطروحة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا ، القاهرة ، مصر.

١٨- الحيلة ،محمد محمود(٢٠٠٩) مهارات التدريس الصفي، ط٣،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان ، الاردن .

١٩- خريف ،سعود بن محمد (٢٠٠٦) دور وكلاء الادارة المدرسية في تحقيق الامن الفكري لدى الطلاب ،رسالة ماجستير ،جامعة نايف للعلوم الامنية، السعودية.

٢٠- الخوالدة ، محمد عبدالله (٢٠١٧) الخيال التاريخي والتفكير الناقد ، ط٢ ، دار الخليج ، عمان ، الأردن .

٢١- الدليمي ، عصام حسن احمد (٢٠١٤) قراءات معاصرة في منهج البحث العلمي ، ط١ ، دار تموز ، دمشق .

٢٢- الزوبعي، عبد الجليل ابراهيم، الغنام، محمد احمد(١٩٩٨) أساسيات القياس والتقويم في التربية،ط٢،دارالكتاب الجامعي، العين، الامارات .

٢٣- الشافعي , صادق والفتلاوي, علي (٢٠١٦) استراتيجيات مواجهة الازمات في الجامعات العراقية» جامعة كربلاء انموذجا» مجلة كلية

التربية الاساسية للعلوم الانسانية، المجلد (٢٢) ملحق العدد(٩٥) , جامعة المستنصرية.
٢٤- الشايب ،احمد محمد (٢٠١٤) بالعلم ننهض ونواجه العقبات ، ط١ ، القاهرة، مصر.
٢٥- الشبول ، هيام والخوالدة ، محمد ،(٢٠١٤) دور مديرات ومعلمات المرحلة الاساسية في تعزيز مفاهيم المواطنة لدى الطالبات في مدارس اقليم الشمال، المجلة الدولية التربوية المتخصصة ، المجلد ٣ ، العدد ٥ ، الاردن .
٢٦- شلدان ، فايز كمال (٢٠١٣) دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الامن الفكري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، غزة ، فلسطين .
٢٧- الصالح ،سعدي محمد (٢٠٠٨) المسؤولية التربوية في تحقيق الامن الفكري ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الدعوة واصول الدين ،قسم التربية الإسلامية في المدينة المنورة ،السعودية .
٢٨- الطوالبة ،عائشة حسين (٢٠٠٤) دراسة مقارنة للقيم في كتب المطالعة العربية في الاردن ،رسالة ماجستير غير منشورة ،عمان ،الاردن .
٢٩- عبد الحسين ،بشرى (٢٠١٨) دور الجامعات العراقية في تعزيز وحماية الأمن الفكري لدى الطلبة من وجهة نظرهم ،مجلة الباحث الجامعية ، العدد ٢٧، كربلاء ، العراق .
٣٠- عبد الرحمن ، نبيل (٢٠٠٧) الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، مكتبة النور ،ط١، بيروت ، لبنان .
٣١- عبيدات ، ذوقان (٢٠٠١) البحث العلمي مفهومه - أدواته - أساليبه ، دار الفكر ، عمان , الاردن.
٣٢- عطوان ، اسعد ، ومطر ،يوسف (٢٠١٨) مناهج البحث العلمي ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
٣٣- علي ، اسماعيل ابراهيم والزغول ، عماد عبدالرحيم (٢٠٠٩) ، التفكير الناقد بين النظرية والتطبيق ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، الأردن.
٣٤- علي ،علي حمود (٢٠٠٥) تنمية وتطوير كفايات وفعالية اعضاء هيئة التدريس بمؤسسات التعليم العالي ،كلية المعلمين ،الرياض ، السعودية .
٣٥- عمارة ،محمد امين (٢٠٠٨) الإبعاد الروحية للأمن المجتمعي في الاسلام ، ط١ ،القاهرة ، مصر .
٣٦- عودة ، احمد (١٩٩٨) القياس والتقويم في العملية التدريسية ، ط٢ ، جامعة اليرموك ، كلية العلوم التربوية .
٣٧- الغامدي، احمد بن سعد (٢٠١٠) الانتماء الحضاري، مركز الدراسات السعودية.
٣٨- غلاب ، عبد الكريم (١٩٩٨) أزمة مفاهيم وانحراف التفكير ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان .
٣٩- الكاف ، عبدالله (٢٠١٤) تطبيق العمليات الاحصائية في البحوث العلمية مع استخدام برنامج spss ، ط١ ، مكتبة القانون والاقتصاد ، الرياض .
٤٠- الكبيسي ، وهيب مجيد (٢٠١٠) القياس النفسي بين التنظير والتطبيق ، ط١ ، العالمية المتحدة ، بيروت .
٤١- المالكي ، عبد الحفيظ عبد الله (٢٠٠٩) الامن الفكري ، مفهومه واهميته ومتطلبات تحقيقه ، مجلة البحوث الامنية ، العدد (٤٣) ،المجلد ١٨، الرياض ، السعودية .
٤٢- المالكي ،عطية بن حامد ذياب (٢٠٠٩) دور تدريس مادة التربية الوطنية ،في تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،المملكة العربية السعودية ،كلية التربية ،قسم المناهج وطرائق التدريس.
٤٣- المدني ،خليل عبد الله (١٩٩٣) مفهوم التوعية الامنية ،رسالة ماجستير غير منشورة .
٤٤- مرسي ،سوسن عبد الحميد(٢٠٠١) تحليل اتجاهات القيادة الجامعية نحو دور الجامعات المصرية في خدمة المجتمع وتنمية البيئة ، المجلة العلمية ،كلية التجارة القاهرة، مصر .
٤٥- مصطفى ، نادية ،واخرون (٢٠١٣) دوائر الانتماء وتأصيل الهوية ، ط١ ، دار البشير للثقافة والعلوم ، القاهرة .
٤٦- ملكاوي ، فتحي حسن(٢٠١٢) فقه الانتماء إلى المجتمع والأمة ، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية.

ت	الاسم والمرتبة العلمية	مكان العمل	الاختصاص
١	ا.د .ثناء يحيى الحسو	جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد	طرائق تدريس الجغرافية
٢	ا. د.جبار رشك شناوة	جامعة القادسية /كلية التربية	طرائق تدريس التاريخ
٣	أ.د حسين جدوع	جامعة القادسية /كلية التربية	طرائق تدريس التاريخ
٤	ا.د شاكر جاسم العبيدي	جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات	طرائق تدريس التاريخ
٥	ا.م.شيماء حمزة كاظم	جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية	طرائق تدريس التاريخ
٦	ا.د.ماهر مفلح الزيادات	جامعة ال البيت /كلية العلوم التربوية/ الاردن	طرائق تدريس الاجتماعيات
٧	ا.د محمد حميد المسعودي	جامعة بابل /كلية التربية الاساسية	طرائق تدريس الجغرافية
٨	ا.د. هناء خضير الشمري	جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد	طرائق تدريس التاريخ
٩	ا.م.د احمد هاشم العميري	جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات	طرائق تدريس التاريخ
١٠	ا.م.د.جميل رشيد الغزالي	جامعة واسط /كلية التربية	طرائق تدريس الجغرافية
١١	ا.م. د رياض كاظم عزوز	جامعة بابل /كلية التربية الاساسية	مناهج وطرائق تدريس عامة
١٢	ا.م. د. سعد جويد كاظم الجبوري	جامعة كربلاء/كلية التربية	طرائق تدريس التاريخ
١٣	ا.م.د. محمد كاظم الحمداني	جامعة بابل /كلية التربية الاساسية	طرائق تدريس الجغرافية
١٥	ا.م.د.محمود حمزة كاظم	جامعة كربلاء/كلية التربية	طرائق تدريس التاريخ
١٥	ا.م.د مهدي جادر حبيب	جامعة بابل /كلية التربية الاساسية	طرائق تدريس التاريخ
١٦	ا.م سعد جميل رحيم	جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الصرفة	طرائق تدريس التاريخ
١٧	ا.م سرمد اسد خان	جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية	طرائق تدريس التاريخ
١٨	ا.م. د. صلاح مجيد كاظم	جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية	طرائق تدريس التاريخ
١٩	ا.م متمم جمال الياسري	جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية	طرائق تدريس التاريخ
٢٠	ا.م. د. محمد ابراهيم علي	جامعة بغداد/ كلية التربية	طرائق تدريس التاريخ

طرح و نقاشی

قراءةٌ في النظرية التوليدية التحويلية

Reading into the transformative, generative theory.

د. ياسر محمد البستنجي

الأردن • جامعة مؤتة

Dr. Yasser Mohammed Al-Bustanji.

.Mu’ta University/ Jordan

كلمات مفتاحية : النظرية التوليدية التحويلية/ الدرس اللغوي/ تشومسكي/ الفونيمات الصوتيّة/ المكون النحوي

ملخص البحث

هدفَ هذا البحث إلى بيان الأهمية التي اضطلعت بها النظرية التوليدية التحويلية في الدرس اللغوي؛ إذ كان لها دور مميّز في التحليل اللغوي للعبارات والجمل المختلفة. وعرض هذا البحث لنشأة النظرية التوليدية التحويلية على يد العالم الأمريكي)(تشومسكي)(، وبيّن أهم المرتكزات التي استندت إليها هذه النظرية، وأهمّها الجانب العقلاني، باعتبار اللغة ظاهرة عقلانية، فجعلت هذه النظرية المجال الأساسيّ للدراسة اللغوية هو وصف المعرفة اللغوية وليس السلوك اللغوي فقط. ثم تناول هذا البحث قضية الفطرة اللغوية، واكتساب اللغة؛ إذ يرى (تشومسكي) أن الإنسان يمتلك جهازا لغويا قادرا على إنتاج عدد هائل من الجمل، وهو قادر كذلك على تمييز السليم من غير السليم منها، وناقش البحث أيضا مفهوم الكفاية اللغوية والأداء اللغوي؛ إذ تبيّن أن الكفاية أمر ينطبع عليه الإنسان منذ نعومة أظفاره. ثم عرض البحث للقواعد التحويلية التي اعتمدها (تشومسكي) في تحليل الجمل، وتوقف البحث عند مفهومي: البنية السطحية، والبنية العميقة، إذ تبيّن أن لكل جملة جانبين: جانب عميق أصيل كامن في الدماغ، وآخر سطحي يظهر بصورة منطوقة في العالم الواقعي، وبيّن البحث أهمّ العناصر اللغوية التي تنقل الجملة من بنيتها الأصلية (العميقة)، إلى البنية الجديدة (السطحية)؛ لتصبح جملة تحويلية، وختم هذا البحث بأهمّ النتائج التي خلص إليها الباحث..

Abstract

The aim of this research is to demonstrate the importance assumed by the transformative generative theory in the language lesson. As it had a distinct role in the linguistic analysis of different phrases and sentences.

This research presented the emergence of the transformative generative theory at the hands of the American scientist ((Chomsky)), and showed the most important pillars on which this theory was based, the most important of which is the rational aspect, considering language as a rational phenomenon. Then this research deals with the issue of linguistic instinct and language acquisition, as Chomsky believes that a person possesses a linguistic apparatus capable of producing a huge number of sentences, and is also able to distinguish the sound from the unsound thereof, and the research also discussed the concept of linguistic competence and linguistic performance. As it turned out that sufficiency is a matter on which a person has been imprinted from an early age.

Then the research presented the transformational rules adopted by (Chomsky) in analyzing the sentences, and the research stopped at concepts: the superficial structure and the deep structure, as it was found that each sentence has two sides: a deep and inherent aspect in the brain, and another superficial that appears spoken in the real world, and the research showed the most important linguistic elements that transfer the sentence from its original (deep) structure to the new (superficial) structure, to become a transformative sentence.

المقدمة

١ مدخل إلى النظريّة التوليديّة التحويليّة

منذ سنة ١٩٥٧م، أي منذ أن نشر ((تشومسكي)) كتابه (البنى النحوية) أو (البنى التركيبيّة) (Syntactic Structure)، أصبح زعيماً للمدرسة اللغويّة في الولايات المتحدة الأمريكيّة، فقد أقدم على نقد مدرسة (بلومفيلد) بخاصة، نقداً قويّاً انصبّ على أهمّ الأسس التي تقوم عليها، وإن كان جلّ نقده ينصبُّ على الجوانب السلوكيّة في نظرية (بلومفيلد)، وفي آراء السلوكي المشهور سِكنز[١].

ومنذ صدور الكتاب توالت الكتب والمؤلفات والتحليلات التي أسهمت في تطوير النظريّة التحويليّة، حتى أصبحت أكثر المدارس اللغويّة أهمية وشهرة في العالم، وقد شهدت النظريّة التحويليّة منذ صدور الكتاب السابق كثيراً من التعديلات من (تشومسكي) نفسه، ومن علماء آخرين[٢] .

والمنطلق الأساسي الذي تبدأ منه النظريّة التحويليّة في الخروج على المدرسة التركيبيّة (السلوكيّة) يتمثّل في مجال الدراسة التي تُعنى بالظاهرة اللغويّة؛ فقد انطلقت المدرسة التركيبيّة من دراسة اللغة ووصفها، وذلك انسجاماً مع النظرة التجريبيّة في العلوم[٣] . أمّا النظريّة التحويليّة، فقد انطلقت في وصف اللغة ودراستها من الجانب العقلاني، باعتبار اللغة ظاهرة عقلانيّة، فجعلت المجال الأساسي للدراسة اللغويّة هو وصف المعرفة اللغويّة وليس فقط السلوك اللغوي، ومن ثم كانت المدرسة التحويليّة أقرب إلى المنهج العقلاني الذي ساد التفكير العلمي في أوروبا في القرن الثامن عشر[٤] .

يصرِّح (تشومسكي) بأنّه تأثّر بآراء المدرسة الفلسفيّة العقلانيّة التي سادت القرن السابع عشر، التي كان الفيلسوف (ديكارت) من أشهر أعلامها، ولذلك، فقد كانت آراؤه عن طبيعة اللغة عميقة للغاية، ومناقضة تماماً للسطحيّة التي تميّزت بها آراء أسلافه المباشرين[٥] .

٢,١ الفطرة اللغوية واكتساب اللغة

إنّ النقطة الرئيسة في نظرية (تشومسكي) التي قادت تفكيره إلى ما يتبعها من أفكار هي الفطرة اللغويّة في ذهن الإنسان، متّخذاً إيّاها من المقابلة بين الإنسان وغيره من الحيوانات، فالإنسان غير السويّ - فضلاً عن الذكي القادر- يستطيع إنتاج الجمل والتعبير عمّا في نفسه، في حين أنّ أذكى الحيوانات وأكثرها تدرّباً وتقبلّاً لما يعلّمها الإنسان، لا تستطيع ذلك.

وممّا جعل (تشومسكي) يزداد تمسكاً بهذه الفكرة وتوكيداً لها في نظريته، ما رآهُ في تدرّج الطفل الصغير في الكلام، وفي انتقاله إلى تعلّم اللغة، فالطفل يبدأ في سنّ معينة (سنة أو سنتين) إنتاج الجمل، وما أنْ يصلَ إلى سنٍّ معينّة (السابعة مثلاً)، حتى يكون قادراً على التعبير عمّا في نفسه بعددٍ كبير من الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل، وقادراً أيضاً - إلى حدٍّ معين- على إدراك السليم من الجمل التي يسمعها من غير السليم، ويأتي إلى المدرسة في هذه السن؛ ليتعلّم كيف يكتب ويقرأ، وليس كيف يولّد جملاً[٦].

من هنا نرى أن (تشومسكي) يختلف عن السلوكيين في نظرته لاكتساب اللغة، إذ إنّه يعطي

العقل دوراً بارزاً في هذه العمليّة، في حين نجد المدرسة التركيبيّة تنظر إلى اللغة على أنها مجموعة من العادات السلوكيّة، التي ترتبط فيها أشكالٌ لغوية معيّنة باستجابة معيّنة، على أساس من علاقة المثير والاستجابة، وعلى ذلك فإنّ الطفل برأي التركيبيين يتعرّض لمجموعة من العادات اللغويّة، حيث يتكرّر سماعه لأشكال لغويّة مرتبطة بمواقف معينة، فيتركّز اكتساب اللغة عنده على التقليد الميكانيكي المباشر، أي أنّ ما يقوم به عبارة عن محاكاة وإعادة وتكرار لما سمعه من التعبيرات اللغويّة في المواقف التي اقترنت بها[٧].

ونحن نذهب مع (تشومسكي) في رفض هذه الطريقة التي يكتسب بها الطفل اللغة، فالواقع العملي لا يؤيّد ذلك، إذ لو كان الأمر كما يقول التركيبيّون لتوقّعنا أن كلّ الناس يتحدثون الجمل نفسها في المواقف المتشابهة، ومعنى ذلك أنّ أحداً منهم لا يستطيع أن يركّب جملة جديدة، ولتوقّعنا أن الطفل سيتحدث كوالديه تماماً، ولن يستطيع إلاّ أن يردّد الجمل التي يسمعها، ولكان بالتالي كالببغاء تماماً[٨].

وممّا يُعزّز هذا الرأي الذي تبنّته المدرسة التحويليّة في اكتساب الطفل للغة، أنّ هذا الطفل تتكون لديه القدرة على الخلق، أي القدرة على تركيب الجمل المختلفة التي يريدها في الوقت والظرف المناسبين[٩] ، ولو لم يكن الأمر كذلك، فكيف لنا أن نفسّر استخدام الطفل لبعض الصيغ القياسيّة التي لم يسمعها من قبل، وتركه للصيغة السماعيّة التي تتردّد على سمعه، فنجده يؤنّث (أحمر) على (أحمرة) في حين أنه كان يسمعها (حمراء) [١٠] .

٣,١ الكفاية (Competence) والأداء (Performance):

يرى (تشومسكي) أنّ النظريّة اللغويّة مبدئياً تخصُّ المتكلم والسامع (speaker-hearer) المثالي المنتمي إلى جماعة بشريّة ذات تماثل كلاميّ تام، العارف للغة تلك الجماعة معرفة تامة[١١]، وقد أطلق (تشومسكي) على معرفة المتكلم -السامع بلغته مصطلح الـ(competence) أو الكفاية، وافترض أن هذا المتكلم- السامع لا يكون متأثّراً بحدود لا صلة لها بالقواعد كالذاكرة المحدودة، أو تحوّل الانتباه، أو عدم المتابعة، أو الأخطاء الكلاميّة (العشوائيّة أو المتواترة) حين يطبّق معرفته اللغويّة في مجال الأداء الفعلي، إذ أطلق)(تشومسكي)(على استعمال اللغة في مواقف حقيقية مصطلح الـ(performance) أو الأداء[١٢] .

ولا بدّ أن نشير هنا إلى أن (تشومسكي) قد أخذ بتقسيم (دي سوسير) للغة إلى: لغة وكلام، وأطلق على الظاهرة الأولى تعبير الـ(competence)، وعلى الثانية تعبير الـ(performance) [١٣] ، فالكلام عملٌ واللغة حدودُ هذا العمل، والكلام سلوكٌ، واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاطٌ، واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة، والكلامُ يُحَسُّ بالسمع نطقاً، وبالبصر كتابةً، واللغة تُفهم بالتأمّل في الكلام، فالذي نقوله أو نكتبُه كلامٌ، والذي نحسُّ به هو اللغة، فالكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً، ولكنّ اللغة لا تكون إلاّ اجتماعيّة[١٤].

ونشير هنا إلى أنّ الكفاية أمرٌ ينطبعُ عليه الإنسان منذ نعومة أظفاره، وخلال مرحلة اكتسابه

للغة، وتكون مرتبطة بقواعد اللغة[١٥]، تلك القواعد التي تقود عملية التكلّم، فالكفاية ملكة ذاتيّة خاصة بمتكلّم اللغة الذي ترعرع بصورة طبيعيّة في البيئة التي تتكلّمها[١٦].

ولا تكون الكفاية في امتلاك المتكلّم-السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات الصوتيّة فحسب، بل تتضمّن كذلك القدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظرٍ نحويّة تركيبيّة، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتَجة، وتجميعها في مورفيماتٍ تنتظم في جمل، ثم ربطها بمعنى لغوي محدّد، وذلك كلّه يتمّ بعملياتٍ ذهنيّة داخليّة يتمّ التنسيق بينها بما يسمّى (قواعد إنتاج اللغة) [١٧].

٤,١ القواعد التحويليّة (Transformational Rules):

اتّضح فيما سبق أن عمليّة اكتساب اللغة لا تتمّ بالتقليد والمحاكاة -كما يرى السلوكيون- واتّضح أيضاً أن الطفل لا يولد صفحةً بيضاء من حيث طرفا العملية العقلانية وهما: الكفاية والأداء، بل هي فطرةٌ ذهنيّة تولد معه، وكلما اكتسب الإنسان ما يملأ به هذه الكليّات الفطريّة ازداد النموّ الداخلي التنظيمي للقواعد الكليّة في ذهنه، في جزئيّة منها، وهي تلك المسؤولة عن بناء الجمل وتركيبها مضبوطة بقواعد وقوانين تسمى (القواعد التحويلية).

والقواعد التحويلية عند (تشومسكي) نظام من القوانين التي تُعطي بشكل واضح ومحدد أوصافاً بنيويّة، ومن الواضح أنّ آراء المتكلّم أو كلامه عن سلوكه وقابليته قد تكون خطأ، وهكذا فإنّ القواعد التوليديّة تحاول تعيين ما يعرفه المتكلم وليس ما يقوله من معرفته تلك، وإنّ هذه القواعد تحاول أن تصف بأكثر الطرائق حياديّة المعرفة اللغوية التي تكون الأساس للاستخدام الفعلي للغة من قبل المتكلم-السامع.

يرى (تشومسكي) أنّ نظام القواعد التحويلية ينقسم إلى ثلاثة مكونات رئيسة[١٨] :

أ. المكونات النحويّة: وهي التي تُعنى بتحديد مجموعةٍ لا متناهية من العناصر الصوغيّة المجرّدة، تتضمّن كلٌّ منها المعلومات ذات الصلة بتأويل واحدٍ لجملةٍ معينة، وبعبارة أخرى فإنّ المكون النحوي هو الذي يهيّئ المعلومات التي تخصُّ عناصر التركيب، وعلاقاتها فيما بينها ضمن الجملة.

ب. المكون الفنولوجي: وهذا المكون يقوم بتحديد الصفة الصوتيّة لجملة مولَّدة بواسطة القوانين النحويّة، وبمعنى آخر فإنّه يعمل على الوصل بين تركيبٍ ولّده المكون النحوي بإشارة لها تمثيل، أو صورة صوتيّة.

ج. المكون الدلالي: وهو الذي يحدّد التأويل الدلالي لجملة معينة، وبمعنى آخر فهو يصل تركيباً ولَّده المكوّن النّحوي بتمثيلٍ أو صورة دلاليّة معينة.

تستطيع هذه القواعد التحويليّة أن تقدّم تفسيراً مقنعاً لقدرة المرء على أن ينتج ويفهم عدداً لا نهائياً من الجمل الجديدة، وتفسّر كذلك كيف يستطيع المرء أن يحكم أنّ جملتين متشابهتين في التركيب الظاهري غير متوازيتين في العلاقة المعنويّة، وكيف للمرء أن يفهم الجملة فهماً كاملاً رغم حذف أجزاءٍ منها، وتفسّر هذه القواعد بوضوحٍ كيف ولماذا يحدث أن جملة واحدة لها معنيان، وأخيراً تستطيع أن تفسّر كيف يستطيع المرءُ أن يميّز بين الجمل الصحيحة

والجمل غير الصحيحة نحوياً، رغم أن هذه الجمل تتخذُ أشكالاً لا حصر لها[١٩].

ولذلك، فالقواعد التحويليّة قواعد تساعد الجملة على الانتقال من بنيتها الأوليّة (العميقة) إلى بنيتها النهائيّة (السطحيّة)، وبواسطة هذه التحويلات يمكننا الحصول على عددٍ غير محدّد من البنى اللغويّة البسيطة، من عددٍ محددٍ من البنى العميقة، وهو أمرٌ موجودٌ في اللغات جميعها، إذ إنّ هذه القواعد كليّة شموليّة عالميّة، متساوية عند بني البشر جميعاً[٢٠].

٥,١ البنية العميقة (deep structure) البنية السطحيّة (surface structure)

يتّفق أنصار هذه المدرسة مع القدماء في تعريف الجملة، وهي الحد الأدنى من الكلمات التي تحملُ معنىً يحسنُ السكوت عليه، وتسمّى الجملة التوليديّة[٢١].

أمّا مفهوم البنية العميقة فهو الأساس الذهني المجرّد لمعنىً معيّن، يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جمليّ أصولي، يكون هذا التركيب رمزاً لذلك المعنى وتجسيداً له، وهي (النواة) التي لا بدّ منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي[٢٢]، فهي الجملة المنتجة المُولِّدة للجملة التحويليّة[٢٣].

أمّا البنية السطحيّة فهي تلك التي يتمّ تجسيدها بكلماتٍ متتابعة منطوقة متآلفة معبرةٍ عن العلاقة بين هذه الكلمات[٢٤] ، وهي في عبارةٍ مجملةٍ جهة الوصف التي تحدّد الصيغة الصوتيّة للجملة[٢٥].

وفي سبيل تجلية الفرق بين البنية السطحيّة والبنية العميقة نعرض المثال الآتي: (يشرح المعلم الدرس بطبشورةٍ يكتب بها على السبورة)، فهذه الجملة المنطوقة تتكّون في الأصل من ثلاث جملٍ أصولية (نواة) تجسّد كل واحدةٍ منها معنىً عقلياً في ذهن المتكلم، وهذه الجمل: (يشرح المعلم الدرس)، و(يكتب المعلم على السبّورة)، و(يكتب المعلم بالطبشورة)، إذ تمثّل الجمل الثلاث في مجموعها علاقة بين نقاطٍ رئيسيّة هي: (المعلم، الدرس، السبورة، الطبشورة)، وهذه هي (البنية العميقة)، وتآلف الجمل الثلاث لتكوين جملة تحويليّة معبّرة عن العلاقة بين الكلمات السابقة يُمثّل (البنية السطحيّة) [٢٦].

يرى (تشومسكي) أنّ هناك جهازاً يضمُّ عدداً من الرموز والكلمات التي ترتبط بمعجمٍ دلالي، وتتضامُّ في جملٍ مفيدة خاضعةٍ لقواعد وقوانين كلية عالميّة، وتتحرك هذه الرموز والكلمات في تلك الأطر القواعديّة بعملياتٍ ذهنيّة داخليّة؛ لتنتج عدداً لا حصر له من الجمل، التي تعبّر عن ترابط المعاني في الذهن (البنية العميقة)، ثم تتحد لتصدر منطوقة مكوّنة بذلك جملة تحويليّة (البنية السطحيّة) تخرج طبقاً لقواعد التحويل[٢٧] .

وتجدرُ الإشارة هنا إلى أنّ من أهمّ الأسس التي تقوم عليها نظرية (تشومسكي) أنّ الجملة لا تعادل مع عناصر التحويل في معناها الجملة بدون هذه العناصر، أي بمعنى أنّ البنية السطحيّة يُراد منها أن تُعبّر عن معنىً آخر، يختلف عن ذلك المعنى الذي تحتفظ به البنية العميقة.

ولمزيد من التوضيح، فإننا نقول: إن الجمل الثلاث التي عُدَّت وفقاً للنظرية التوليدية التحويلية بنى عميقة صدرت عنها الجملة النهائية في صورتها المادية المنطوقة، ومن أجل أن تصدر هذه الجملة،

فإن التصوّر الذهني لها مكوّن من هذه الجمل الثلاث، وقبل أن تصبح واقعاً مادياً منطوقاً فعلاً فإنها تمرُّ بالقوانين التحويلية Transformational rules، التي تتدخل في إجراء بعض التعديلات القواعدية التي تحوّلها إلى بنية سطحية مستعملة.

٦,١ عناصر التحويل (Transformations):

نستطيع أن نعرّف عملية التحويل بأنّها: التغيرات التي يُدخلها المتكلم والمستمع على البنيات العميقة المولّدة من أصل المعنى، فينقلها إلى بنياتٍ ظاهرةٍ على سطح الكلام[٢٨]، ويتبدّى التحويل السطحي في رأي بعض الباحثين[٢٩] في أربعة أقسامٍ: التحويل بالترتيب، والتحويل بالزيادة، والتحويل بالحذف، والتحويل بالاستبدال، ونجد باحثين آخرين يضيفون إليها عناصر النبر، والتنغيم، والحركة الإعرابيّة، وبذلك تصبح عناصر التحويل كالآتي[٣٠] : الترتيب، والزيادة، والحذف، والحركة الإعرابيّة، والنبر، والتنغيم، والاستبدال، وفيما يأتي نستعرض هذه العناصر بشيءٍ من التفصيل:

أ. الترتيب: وهو نقل كلمة من موقع أصلٍ لها، إلى موقعٍ جديدٍ مغيّراً بذلك نمط الجملة، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة[٣١]، فنقول: خرج القاضي من المحكمة مسرعاً، أو مسرعاً خرج القاضي من المحكمة.

ب. الزيادة: ما يُضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبّر عنها النّحاة بالفضلات، أو التتمات، أو غير ذلك، ويعبّر عنها البلاغيون بالقيد، يُضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى[٣٢] ، فنقول مثلاً: (محمدٌ رسولٌ)، وإذا أردنا أن نؤكد الخبر فنقول: (إنّ محمداً رسولٌ)، وإذا قصدنا زيادةً في التأكيد قلنا: (إنّ محمداً لرسولٌ)، وتكون الزيادة في أول الجملة، أو في وسطها، أو في آخرها.

ج. الحذف: في هذا النوع من التحويل يتم حذفُ أحد عناصر الجملة لغرضٍ من الأغراض الدلاليّة من غير أن يترك ذلك الحذف أي خلل في الجملة، فنقول مثلاً: (كسر محمدٌ الزجاج)، وبتحويلها إلى صيغة البناء للمجهول يُحذف الفاعل وتصبح الجملة (كُسِرَ الزجاجُ).

د. النبر والتنغيم: وهذان عنصران صوتيان لا علاقة لهما بالنحو، تأثيرهما التحويلي صوتي لا نحويّ، ويتمّ بالضغط على بعض الحروف أو على بعض الكلمات لإظهارها على بقية كلمات الجملة، ولا يكون التنغيم في الجمل إلاّ لمعنى يريده المتكلم[٣٣]، وهو مما يُحمل من قبل (تشومسكي) على الفنولوجيا التطريزية، والبروسودية prosodic phonology.

هـ. الإحلال (الاستبدال): كأن تجعل ضميراً محل اسم ظاهرٍ نحو قولك: (قرأت المجلة) فإذا قدّمت الجملة قلت (المجلةَ قرأتُها)، فيكون الضمير المتصل (ها) محل الاسم الظاهر المقدّم.

و. الحركة الإعرابيّة: وتكون ذات قيمة دلاليّة كبيرة، وبها يتمّ تحويل الجملة التوليديّة من أصلٍ افتراضي كانت عليه للإخبار وحركته حركة الرفع، إلى جملة تحويليّة ذات معنى آخر، وهذا يكون في جملة التحذير، والإغراء، والاختصاص، وبعض الأنماط الانفعالية الافصاحية، فإذا قال المتكلم: (الأسدُ) بالضمة فإنّ السامع يدرك أن المتكلم أراد الإخبار، ولكنه إذا قال: (الأسدَ) بالفتحة، فإنّ المعنى يتغيّر إلى التحذير وهكذا..

إنّ ما نودُّ أن نؤكده هنا أنّ عناصر التحويل السابقة تؤدي معنىً جديداً في الجملة التحويليّة، لم يكن ليتأتّى لولا هذه التغييرات التي طرأت على جملة الأصل، وبالتالي فإنّ المعنى الجديد غيرُ متحصّل في الجملة التوليديّة (البنية العميقة).

ونشير هنا إلى قضيّةٍ أساسيّة في نظرية (تشومسكي) وهي ضرورة أن تكون الجملة التحويليّة (البنية السطحيّة) موافقةً للأصول اللغويّة (جملة أصولية) [٣٤]، ونقصد بذلك أن يكون للجملة بعد التحويل نظيرٌ فيما نطق به ابن اللغة، فلو قال القائل: (محمدٌ بلّغ الرسالة) أو (بلّغ الرسالة محمد) أو (الرسالةَ محمدٌ بلّغَ)، فإنّ لكلٍّ معناها العميق الذي في نفس المتكلّم ويفهمهُ السامع، أمّا قوله (محمدٌ الرسالة بلغ) فلا تُعدُّ جملةً؛ لأنّها لا تحقّق القياس اللغوي فتردُّ؛ لأنّه لم يرد في لسان العرب نظيرٌ لها[٣٥] .

وفي هذا السياق فإنّ (تشومسكي) يرى أنّه يمكن تشخيص مفهوم (القواعديّة) بأنّه كل ما له معنى، أو كلّ ما هو ذو مغزى وفق أي مفهومٍ دلالي، فالجملتان (الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدّة) و(بشدّة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار)، فإنّ كلتا الجملتين لا معنى لهما، ولكنّ ابن اللغة يعرف أن الجملة الأولى فقط هي القواعديّة [٣٦].

ويبرز في أثناء الحديث عن سلامة الجمل فرضيّة أخرى في النظريّة التحويليّة التوليديّة ألا وهي (حدس المتكلم)، ويمكن أن نعبّر عن هذا المفهوم بمقدرة المتكلّم على أن يُدلي بمعلومات حول مجموعةٍ من الكلمات المتتابعة من حيث هي تؤلّف جملة صحيحة في اللغة، أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة[٣٧]، هذا إذا علمنا أنّ القواعد التحويليّة تقبل وجهة النظر القائلة بأنّ النظريّة اللغوية يجب أن تختصّ بشكلٍ رئيسيٍّ بمتكلم ومستمعٍ نموذجين، في مجتمعٍ لغويٍّ كامل التجانس، كامل المعرفة بلغته، وغير متأثّر بظروفٍ لا علاقة لها بالقواعد اللغويّة ذاتها، مثل: محدودية الذاكرة، وتشتّت الانتباه، وعثرات اللسان، والأخطاء الناجمة عن الجهل بأصول اللغة[٣٨].

اتّضحَ أنّ الجملة النّحويّة تنتظم كلماتها طبقاً لقواعد اللغة، ولكنها قد تكون بلا معنى، كما في عبارة (قعطُ الدّشاعُ الداشحَ) [٣٩]، والأمرُ من حيث دلالة الجملة لا يقف عند هذا الحدّ، إذ إنّ هُناك كثيراً من الجمل التي تحتمل معنيين مختلفين ولا يميّز الشكل الخارجي بينهما، فالجملة التالية مثلاً (كان عقابُ علي صارماً)، غير واضحة خارج السيّاق، فلسنا ندري إن كان عليٌّ هو الذي عاقب إنساناً آخر، أم أنّ إنساناً آخر هو الذي عاقب علياً؟ لقد دعت هذه الجملة وأمثالها (تشومسكي) لأن يقول بأنّ لكل جملة مبنى (ظاهريا)، وهو الذي يُقابل فعلاً مبنى باطنياً (عميقاً) هو الذي تكون العلاقات المعنويّة فيه واضحةً تماماً[٤٠].

٧,١ طرائق تحليل الجمل في النظرية التوليديّة التحويليّة

يتفق علماء اللغة المعاصرون مع علماء اللغة القدامى في تعريفهم للجملة بأنّها الكلام الذي يحسنُ السكوت عليه وكان مستقيماً[٤١]، واتفقوا على تقسيم الجملة إلى جملة اسميّة وفعليّة، ولكنهم اختلفوا في تحديد طبيعة الجملة الاسمية والفعليّة، فالجملة الاسمية عند النُّحاة الأوائل هي التي صدرها اسم، كزيدٌ قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان عند من جوّزه وهو الأخفش والكوفيون، والفعليّة هي التي

صدرها فعلٌ، كـ (قام زيدٌ)، وضُربَ اللص، وكان زيدٌ قائماً، وظننته قائماً، ويقوم زيدٌ، وقم[٤٢] .

إلاّ أننا وجدنا من اللغويين المعاصرين من لا يرون ذلك الرأي، بل يرون أنّ هذا التحديد ساذجٌ يقومُ على أساسٍ من التفريق اللفظي المحض[٤٣] ، فالجملة الفعليّة عند بعض المعاصرين هي التي يكون فيها المسندُ فعلاً[٤٤]، فالفاعل هو الفاعل تقدّم أو تأخّر، وما التغيير إلاّ لغرض يريده المتكلم[٤٥]، أمّا الجملة الاسمية فهي التي يكون فيها المسند اسماً[٤٦].

وعلى الرّغم من هذا الاختلاف، إلاّ أنّنا وجدنا القاسم المشترك الذي يجمع ما بين الرأيين، أنّ المسندَ هو المسندُ، وأنّ المسندَ إليه هو المسندُ إليه في الحالتين، سواءٌ تقدّم أحدهما على الآخر أم تأخّر عنه، وسواءٌ أكان فاعلاً مقدماً لغرضٍ أراده المتكلم -كما يرى بعض المحدثين- أم مبتدأ كما يرى القُدماء.

والذي نرتضيه، ونطمئنُّ إليه، أن نعتمد الإسناد في تحليلنا للجمل، بأن نحدّد المسندَ والمسند إليه، وما زادَ عليهما فهو فضلةٌ أو تتمةٌ أو قيد، كما يسمّيه أهل البلاغة، وبذلك نكون قد خرجنا من دائرة الاختلاف إلى نطاق الاتفاق.

لذلك، فإنه ينبغي في أثناء تحليل للعبارات توضيح العلاقات الإسناديّة بين الفعل والفاعل، وبين المبتدأ والخبر، وتحديد العلاقات الأخرى كالفاعليّة والمفعوليّة والحالية والظرفيّة والسببيّة، وتبيّين التلازم بين الفعل والفاعل، أو بين المضاف والمضاف إليه، أو بين الجار والمجرور، أو بين النعت والمنعوت، وأخيراً بين الصلة والموصول.

مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الاختلاف في تحديد الجملة المتحوَّل عنها (البنية العميقة) أمرٌ لا ترفضه النظرية اللسانيّة الحديثة، بل تراهُ مُسوّغاً مقبولاً ما دام المفسّر يشرحُ كيف انتقلت الجملة من تركيب البنية العميقة إلى البنية السطحيّة، فلو نظرنا مثلاً في عبارة (تفقّأ زيدٌ شحماً)، فإنّنا نجد بعضهم يرى أنّ بنيتها العميقة (تفقّأ شحمُ زيدٍ)، بينما يرى آخرون أنّ بنيتها العميقة (تفقّأ زيدٌ من الشحم)[٤٧].

الخلاصة

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- النظرية التوليدية التحويلية نظرت إلى اللغة على أنها ظاهرة عقلانية، فجعلت الجانب العقلاني هو الأساس لدراسة اللغة، فتكون بذلك قد خالفت المدرسة التركيبية التي وصفت اللغة بأنها ظاهرة سلوكية.
- ترى المدرسة التوليدية التحويلية أن الفطرة اللغوية أمر ينطبع عليه الإنسان من نعومة أظفاره، فالطفل تكون لديه القدرة على تركيب الجمل المختلفة التي لم يكن سمعها من قبل، وليس الأمر تقليديا ميكانيكيا لما سمعه.
- أطلق (تشومسكي) على معرفة المتكلم بلغته معرفة تامة مصطلح (الكفاية)، وجعل التطبيق الفعلي لهذه المعرفة في مواقف حقيقية تحت مفهوم (الأداء).
- لكل جملة من - وجهة نظر هذه المدرسة- بنيتان: بنية عميقة تمثّل الأساس الذهني المجرّد لمعنىً معيّن، يوجد في الذهن، وبنية سطحيّة هي التي يتم تجسيدها بكلماتٍ متتابعة منطوقة متآلفة معبرةٍ عن العلاقة بين هذه الكلمات.
- هناك عدد من العناصر التي تسهم في نقل الجملة من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية، وتتمثّل في: الحذف، والزيادة، والترتيب، والتنغيم، والحركة الإعرابية، والاستبدال.
- إنّ من أهم الأسس التي تقوم عليها نظرية (تشومسكي) أنّ الجملة لا تعادل مع عناصر التحويل في معناها الجملة بدون هذه العناصر، أي بمعنى أنّ البنية السطحيّة يُراد منها أن تُعبّر عن معنىً آخر، يختلف عن ذلك المعنى الذي تحتفظ به البنية العميقة.

الهوامش

١- خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر، السعوديّة، ط١، ١٩٨٤م، ص٥٤، ٥٥.
٢- يحيى عبابنة، علم اللغة المعاصر، دار الكتاب الثقافي، الأردن، إربد، (د.ط)، ٢٠٠٨م، ص٥٦.
٣- عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص٥٦.
٤- عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص٥٦.
٥- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، ١٩٧٨م، ص٩٢.
٦- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص٥٥.
٧- عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص٥٩.
٨- عبابنة، علم اللغة المعاصر ، ص٦٠.
٩- خرما، أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، ص٩٦.
١٠- عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص٦١.
١١- نعوم (تشومسكي)، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى باقر، وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، (د.ط)، (د.ت)، ص٢٧.
١٢- تشومسكي، جوانب من نظرية النحو ، ص٢٨.
١٣- خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص٩٣.
١٤- تمّام حسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م، ص٣٢.
١٥- ميشال زكريا، الألسنيّة التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (النظريّة الألسنيّة)، المؤسسة الجامعيّة للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٣٢.
١٦- ميشال زكريا، الألسنيّة التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعيّة للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٧.
١٧- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص٥٧.
١٨- تشومسكي، جوانب من نظرية النحو ، ص٣٩.
١٩- محمد علي الخولي، قواعد تحويليّة للغة العربيّة، دار المريخ، السعودية، الرياض، ط١، ١٩٨١م، ص٢٥-٢٧.
٢٠- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص٥٦.
٢١- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص٨٧.
٢٢- محمد حماسة عبداللطيف، من الأنماط التحويليّة في النحو العربي، دار غريب للنشر، مصر، (د.ط)، ٢٠٠٦م، ص١٤.
٢٣- نعوم تشومسكي، البِنى النّحويّة، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص١١٥.
٢٤- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص٥٩.
٢٥- عبد اللطيف، من الأنماط التحويليّة، ص١٤.
٢٦- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص٥٨-٥٩.
٢٧- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص٦٠.

٢٨- محمد الصغير بناني، المدارس اللسانيّة في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د.ط)، ١٩٨٥م، ص٨١.
٢٩- رابح بو معزة، التحويل في النحو العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م، ص٥٤.
٣٠- خليل عمايرة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٧م، ص٤٤.
٣١- عمايرة، في نحو اللغة، ص٩٣.
٣٢- عمايرة، في نحو اللغة، ص٩٦.
٣٣- أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التوليدي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، العدد٦، جامعة واسط، ص٤٧.
٣٤- زكريا، الألسنيّة التوليديّة (الجملة البسيطة)، ص٩.
٣٥- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص١٨١.
٣٦- (تشومسكي)، البنى النحويّة، ص١٩.
٣٧- زكريا، الألسنيّة التوليديّة (الجملة البسيطة)، ص٩.
٣٨- الخولي، قواعد تحويليّة للغة العربيّة، ص٢٥.
٣٩- عبابنة، علم اللغة المعاصر، ص٢٩.
٤٠- خرما، أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، ص٩٥.
٤١- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ص١٩٨٨م، ٨٨/٢.
٤٢- ابن هشام، أبو محمد جمال الدين (٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م، ص٤٩٢.
٤٣- مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٣٩.
٤٤- المخزومي، في النحو العربي ، ص٤١.
٤٥- عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص٩٤.
٤٦- المخزومي، في النحو العربي، ص٤٢.
٤٧- حسن خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين النحاة القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٠م، ص١٢٦.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٢- أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التوليدي، بحث منشور في مجلة كلية التربية، العدد٦، جامعة واسط.

٣- تمام حسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م.

٤- جابر عبد الأمير التميمي ، جذور النظرية التوليديّة في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.

٥- حسن خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين النحاة القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٠م.

٦- خليل عمايرة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٧م.

٧- خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر، السعوديّة، ط١، ١٩٨٤م.

٨- رابح بو معزة، التحويل في النحو العربي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

٩- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ص١٩٨٨م.

١٠- محمد الصغير بناني ، المدارس اللسانيّة في التراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د.ط)، ١٩٨٥م.

١١- محمد حماسة عبداللطيف، من الأنماط التحويليّة في النحو العربي، دار غريب للنشر، مصر، (د.ط)، ٢٠٠٦م.

١٢- محمد علي الخولي، قواعد تحويليّة للغة العربيّة، دار المريخ، السعودية، الرياض، ط١، ١٩٨١م.

١٣- مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٤- ميشال زكريا، الألسنيّة التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (النظريّة الألسنيّة)، المؤسسة الجامعيّة للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٥- ميشال زكريا، الألسنيّة التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيّة (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعيّة للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، ١٩٧٨م.

١٧- نعوم تشومسكي، ، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى باقر، وزارة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، (د.ط)، (د.ت).

١٨- نعوم تشومسكي، البنى النّحويّة، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، ط١، ١٩٨٧.

١٩- ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف (٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

٢٠- يحيى عبابنة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، دار الكتاب الثقافي، الأردن، إربد، (د.ط)، ٢٠٠٨م.

ظواهرُ الانزياح الأسلوبي
في كتابِ نسيم الصِّبا لابن حبيب الحلبي (ت٧٧٩هـ)

Displacement phenomena stylistic in Nesimu El-Seba Book for Ibn Hebib Al-Helebi (779 AH)

أ.م.د.كريمة نوماس محمد المدني منتهى حسون زيدان الجبوري
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Asst. prof. Dr. Kareema Nomas Mohammed Al-Madani
Muntaha Hasoon Zaidan Al-Jubouri
University of Karbela/college of education for humanities .

الكلمات المفتاحية: الأبعاد الدلالية/ الانحراف / التضاد /الترتيب اللغوي.

ملخص البحث

تعدُّ ظاهرة العدول أو الانحراف عن نمطية اللغة أو ما سُمِّي بالانزياح الأسلوبي على رأي جان كوهن من أهمّ الظواهر التي قامت عليها الدراسات الأسلوبية والتي تجلّت بشكل كبير في أدب العصر المملوكي وهي واسعة الحضور في الرسائل موضوع البحث والمتمثّلة بكتاب (نسيم الصِّبا) الذي يعود إلى ذلك العصر , إذ سادت فيه ظاهرة خروج المنشئ عن النسق المثالي للغة ليحقّق أثراً صوتياً وتركيبياً ودلالياً , وما الهدف من ذلك إلاّ لإضفاء صفة الجمالية على تلك النصوص بعد أن شُحِنت بطاقات أسلوبية انزاحت بها عن معايير اللغة المألوفة , فتوسّعت دلالتها مّما استدعى من المتلقي الإمعان فيها لفهم مكنونها والدلالة التي أدّتها والغرض الذي استدعى اعتمادها .

Abstract

The phenomenon of reverse or deviation from the stereotypical language or the so-called Balandziah stylistic the opinion of Jean Cohen of the most important phenomena which the stylistic studies, which manifested itself dramatically in the literature of the Mamluk era, a wide audience in the messages in question and of the book (Nesimu El-Seba), which dates back to that age, as prevailed in the phenomenon of the originator of a departure from the ideal manner of language to achieve phonetically and structurally and Tagged impact, and the goal is only to give the recipe aesthetic on those texts after being shipped stylistic cards shifted out of the natural language standards, Vetosat significance, prompting the recipient to persistence in which to understand Mcnunha significance performed by the purpose for which it summoned adoption .

المقدمة

أولاً :علاقات التضاد :

يعدّ التضاد أحد المؤشرات الأسلوبية المهيمنة على نصوص كتاب نسيم الصِّبا , وهو أحد المثيرات الأسلوبية الهامّة التي تفاجئ المتلقي وتستوقفه بما تضفيه على النص من قيم أدبية شعرية تنتج عمّا يتولّد عنه من فجوة (مسافة توتر)[١] فتعمل على إضفاء بعد إيقاعي مميّز على النص فضلاً عن الجانب الأهمّ المتولّد عن تلك الثنائيات المتضادّة والمتمثّل بالأثر الدلالي الذي يظهر أثره جلّياً عِبرَ توضيحه الدلالة ووجه الصلة العميقة بين شيئين أو دالّين والذي استدعى هذا الربط الذي لا تكاد دلالته تفترق ظاهراً كي تعود لتلتقي مهيأة بذلك المفاجأة الأسلوبية والسمة الجمالية عِبرَ ما تخلقه من غرابة تصويرية تستدعي من المتلقي التأمّل فيها للكشف عن المعنى الخفي والدلالة المرادة واقعاً والمتحقّقة في الخفاء[٢] , بمعنى أن المعنى لا يتحصّل إلاّ عبر تجاوز القراءة الأولى إلى الثانية التي يمكن من خلالها الكشف عن الأبعاد الدلالية التي يرمي إليها منشئها .

ومن النصوص التي ظهرت فيها فاعلية التضاد قول الحلبي في مدح العشق وذمه :

((سألني بعض المائلين إلى الهوى ... عن مراتب العشق وضروبه , وقبائل الحب وشعوبه , وهزْله وجِدّه , وجزره ومدّه , وشوهد شهْده وسمّه , وما قيل في مدحه وذمه ... وأمّا أوصافه المذمومة : فإنه ملِك قاهر , وحاكم جائر , هزْله جِدٌّ وراحته تعب , وأوّله لعب وآخره عطب ... ويقوّي الفكْر ويُضعف الجلَد))[٣] .

إن أبرز ما يبعث على الشاعرية في هذا النص ويشدّ انتباه المتلقّي هو ما خلقته تلك الثنائيات المتضادّة المتتالية فيه من نغم مميّز ذي إيقاع منتظم يبعث على المواصلة التي يتمّ الكشف عِبرَها عن الأبعاد الدلالية التي سعى المنشئ لإبلاغها وإيصالها إلى متلقّيه والمتمثّلة بتلك المفارقة الحاصلة ـ نتيجة الوقوع في شباك الحب ـ بين بدايته المفرحة ونهايته المحزنة , فالمنشئ هنا وعِبرَ توظيفه لهذه الثنائيات المتضادّة المتتالية عمل على منح النص وما فيه من صور الدقة والشمولية لحالين بما بُثَّ فيه من عوامل التوتر الناتجة عن التوالي[٤] والتي عكست رؤية المنشئ التي تدور حول الابتعاد عن الحب نظراً لما يجلبه على الإنسان من همّ وكمد , ولاسيما بعد أن مهّد السائل الأمر له لعرض المفارقة بين حال المحب وحال سواه , وهذا ما يمكن توضيحه عِبرَ الخطاطة الآتية :

هزله	جده	،	جزره	مده ,
مدحه	ذمه			
هزله	جد	،	راحته	تعب
، أوله	آخره			
يقوي	يضعف			

ونلحظ جمالية التضاد الموظَّف في خدمة المعنى في قول الحلبي في الوعظ :

((أعلمني من أثِقُ بنقْله , ولا أشكّ في معرفته وفضله , بقدوم بليغ من الوعاظ ... وأشار بحضور مجلسه , والاهتداء بنور قَبسه , فقبلتُ الإشارة , وانتظمت في سِلْك السيّارة . حتى أفضينا إلى نادٍ فسيح لسانُ مناديه فصيح , قد جمع بين الغني والفقير , واشتمل على المأمور والأمير ... وآمنوا بالقدر خيره وشرّه , وارضوا بالقضاء حُلْوه ومُرّه ... وإياكم والدنيا فإنها تمكُر بصاحبها ... عامِرها خراب , وغامِرها سراب ... صفْوها كدر وجرحها هدَر))[٥].

فالتنافر بين الدوالّ المكوّنة لهذا النص ظاهر جلّي ,

ولكنه مؤدي إلى المزج بين الدوال وصهرها في كيان واحد يعانق فيه الشيء نقيضه محققاً بذلك قدراً كافياً من الائتلاف والتجانس بين الدوال المتنافرة[٦] ومفضياً إلى تجسيد ما يعتمل في نفس المنشئ من مشاعر وأحاسيس , كما يعكس الرؤيا التي يعبّر عنها والمتمثّلة هنا بأمرين يمكن التوصل إليهما من خلال إمعان النظر في تلك الثنائيات تمثّل الأول منهما : بمحاولة عكسه لصورة عن مجتمعه وما طبع عليه أُناسه آنذاك من إقبال على مجالس الوعظ والوعّاظ من قبل كافة فئات المجتمع وفي هذا مدح وإطراء لا يضاهيه مدح إذ إن ذلك يعكس تديّنهم واقترابهم من الفطرة السليمة , أمّا الثاني فيتمثّل : بعظم مقام ذلك الواعظ ومكانته حتى غدا مجلسه مهوى لجميع أبناء المجتمع , أمّا فيما يخصّ المجموعة الثانية من الثنائيات الضدية , فإن المتقابلين فيها «لا يكادان يفترقان حتّى يلتقيا»[٧] , إذ إن فيهما ما يوحي بالسعي الحثيث إلى التسليم المطلق لله تعالى في كل الأحوال والأمور فضلاً عن الحذر كل الحذر من الاغترار بالدنيا الفانية .

ونلحظ حشداً مميزاً لمجموعة من الدوالّ التي ارتبطت بعلاقة مميزّة قائمة على التناقض والتنافر في النص الآتي والذي أُنشئ في الحكم :

((اليأس يُعزّ الأصاغر , والطمع يُذل الأكابر ... من سرّه الفساد في الأرض ساءه طول التعب يوم العَرْض ... السعيد من اتعظ بماضي أمسِه , والشقي من ضنّ بخبره على نفسه . لا تغرنّك صحة بدنك اليسيرة , فمدّة العمر ـ وإن طالت ـ قصيرة . من لم يعتبر بالمساء والصباح , لم يرتدع بقول اللُّوّام والنُصّاح ... ومن رفع حاجته إلى الله نجحت , ومن تمسك بغيره خسرت تجارته وما ربحت))[٨] .

فالنص هنا مبني على الجمع بين الدوال المتناقضة في حشد مكثّف كان الهدف منه شدّ المتلقي لتلك المتناقضات التي جاءت للمقارنة بين وضعين أو حالين يكون عليهما الإنسان يكمن في أحدهما نجاته وفي الآخر هلاكه , فهو ـ المنشئ ـ وعن طريق هذا الطرح وهذا الحشد للمتناقضات نبّه متلقيه إليها ليتجنّب ما يضرّه ويسلك طريق ما ينفعه , وبذا فإن هذه الثنائيات غدتْ بمثابة المنبّه الأسلوبي على الدلالة والفكرة التي بُني النص من أجلها , فلا شك في إن «كل واقعة أسلوبية تشتمل بالضرورة سياقا وتضادا»[٩] .

أمّا فيما يخصّ النصوص الشعرية التي انطوى عليها الكتاب فلا تخلو أيضاً من أسلوب التضادّ وقد تجلّى ذلك فيما ورد في الحثّ على العدل والإحسان الآتي[١٠]: «من الطويل»

عن العدل لا تعدِل وكن متيقظاً
وحُكمك بين الناس فلْيَكُ بـــالقسطِ
وبالــرفق عامِلْهم وأحسِن إليهم
ولا تُبدلن وجه الرضا منك بالسخط
وحَـــــلِّ بِدُرِّ الحقّ جيد نظامهم
وراقب إله الخلق في الحَلّ والـــربط

إن القيمة الأسلوبية لهذا النص تتجلّى من خلال التنافر الحاصل بين دوالّه (الرضاxالسخط) , (الحلxالربط) فخلف هذا التنافر الظاهر نجد تعانقاً خفيّاً بين الإيقاع والدلالة في النص , كما أن هذه الثنائيات قد حملت من خلال مجيئها قيماً فكرية إذ إن فيها حثّا ظاهرا على حسن المعاشرة والرفق وبشاشة الوجه والالتزام بذلك في كل حين وآن وإن اختلفت الأحوال والمقامات .

هذا وقد تجلّى لنا طباق السلب في الشعر دون النثر , ومن الشواهد التي اتضح فيها هذا الضرب من التضادّ

ما ورد في وصف الهزار الآتي[١١]: «من الرجز»

ومن هَـــزارٍ كامل المعاني
حُلْوِ الحلى منطلق اللسان
تراه إن غنى على العيدان
يُطرِب ما لا تطرب المثاني

إذ إن في البيت الشعري الثاني ما يوحي بتنافر دواله ظاهراً , على الرغم من أنها في بنيتها العميقة حقّقت انسجاماً ملحوظاً أدّى إلى إيصال الدلالة والتعبير عن مدى إعجاب المنشئ بصوت ذلك الطائر , إلاّ أن ما زاد من جمال البيت وأضفى عليه العذوبة تراكيبه ذات الوقع الإيقاعي المميّز الذي عمل على تكثيف أثره وإبرازه تضافر فن بديعي آخر مع طباق السلب المتمثل بـ(يطربx لا تطرب) في سبيل إنجاز ذلك الأثر , وتمثّل هذا الفن بلزوم ما لا يلزم الذي عمل على مضاعفة الإيقاع وجذب المتلقّي فأحسن الطباق كما يرى ابن معصوم المدني(ت١١٢٠هـ) هو «ما ترشّح بنوع آخر من البديع يكسوه طلاوة وبهجة لا توجد عند فقده , وإلاّ فمجرّد مطابقة الضد بالضد ليس تحته كبير أمر»[١٢].

ثانياً: التقديم والتأخير:

إن أبرز ما يميّز النصوص الإبداعية التي توسم بسمة الأدبية خروجها عن النمط المألوف من الصياغة التي تقترن بلغة الخطاب العادي واللغة العلمية , وذلك بعد أن يعمد منشئها إلى خرق القوانين والقواعد النحوية المقيّدة لإبداعه واضعاً لنفسه قواعد جديدة أساسها الانزياح عن الأصل الثابت وفقاً لمتطلبات السياق والدلالة المراد إيصالها والتعبير عنها , ومن هنا فإن ظاهرة التقديم والتأخير قد أصبحت «من أهمّ الظواهر التي يتجلّى فيها انزياح التركيب... , إنها ـ بشكل عام ـ خرق لقانون رتبة الوحدات اللغوية ؛ خرق ينتج علاقات جديدة , ويفتح آفاقاً واسعة أمام المبدع والمتلقي»[١٣]بما يمنحه من حرية الصياغة وتخطّي القيود النحوية[١٤] التي تحدّ من إمكانية تعبير المنشئ عمّا يعتمل في نفسه بصورة دقيقة عبر التنبيه على ما هو أكثر خصوصية وإلحاحاً وتأثيراً في تجربته الأدبية .

وقد أظهر التقصّي توظيف هذه الظاهرة في رسائل الكتاب لغرض التأثير في المتلقي عِبرَ بثّ الأفكار والمعاني في بناء فني يتسم بالتلاعب بالأنساق التركيبية وترتيبها المعدول به عن الأصل المألوف , ومن صور الانتهاكات التركيبية التي برزت تقديم الجار والمجرور على عناصر الجملة خارقاً بذلك ترتيبها ورتبها ومن ذلك ما ورد في قول الحلبي واصفاً البحر والنهر :

((إن مالت إليه الغصون فالشخوص ترقُص في الخيال , وإن كرعَتْ منه الظباء فالغيد يرشُفن من ثغور أترابهنّ الزلال . وإن أشرقت عليه النجوم خِلْتَ الفلك يدور في أرجائه , وإن تجلّى له البدر حسبته قلباً خافقاً بين أحشائه))[١٥].

إن أبرز ما يلاحظ على هذا النص قيامه على خلخلة النظام المعتاد للتركيب عِبرَ انتهاك بنيته المعهودة (فعل + فاعل + جار ومجرور) وبنائه على وفق نظام جديد أساسه الانزياح والخروج بترتيب جديد عكس ارتباط النظام اللغوي بمزاج المنشئ والتكوين النفسي له وبما يعبّر عن فكرته من الترتيب اللغوي[١٦] فعِبرَ تقديمه للدال ـ الجار والمجرور ـ الذي نال اهتمامه والذي مثّل المنبّه الأسلوبي في النص على الفاعل تمكّن المنشئ من لفت عناية متلقّيه إلى الدالّ اللساني المقدم الذي كان

محور عناية المنشئ وإعجابه لا إلى الفاعل , فعِبرَ هذا التقديم تحقق للمنشئ التعبير عن انفعاله ومقدار إعجابه وانبهاره بذلك النهر الذي عذُب ماؤه وصفا حتى غدا كالمرآة العاكسة لما حولها .

ومن التقديم أيضاً قول الحلبي واصفاً الشمعة والنار :

((يخوض في لجة الدمع طرْفها القريح , وتلعب بلهب قلبها الجريح يدُ الريح))[١٧].

إن بنية هذا النص تقوم على انتهاك نظامها التركيبي وخرقه عِبرَ تأخير الفاعل عن عامله والفصل بينهما بالجار والمجرور المقدّم والمضاف إليه في الجملة الأولى , والجار والمجرور والمضاف إليه والصفة في الجملة الثانية , ولهذا التقديم قيمة دلالية عميقة إذ إنه عمل على شدّ انتباه المتلقي إلى المقدّم وأهميته بالنسبة لمنشئه فقد وظِّفت هذه المتمّمات التركيبية المقدمة للإيحاء بجمال دمع تلك الشمعة وغزارته وميلان لهبها وحركته , وهذا ما لم يكن ليتحقّق لو إنه أُخّر إذ لأصبحت الأهمية للفاعل , وفضلاً عمّا حقّقه هذا التقديم من أثر دلالي فقد ولّد لنا انسجاماً صوتياً بعد أن عمل التلاعب بالنظام التركيبي على توحيد الفواصل في الجملتين فقاما على السجع الذي أضفى على النص نغماً منتظماً , وبذا فإن هذه الخلخلة التركيبية المقصودة شحنت النص بطاقة مميزة عملت على تحقّق شعريته , وهذا ما يمكن تمثيله بالخطاطة الآتي :

التركيب المألوف التركيب المنزاح

فعل + فاعل + متمّمات تركيبية

فعل + متممات تركيبية + فاعل

١ـ يخوض طرفها القريح في لجة الدمع يخوض في لجة الدمع طرفها القريح

٢ـ تلعب يد الريح بلهب قلبها الجريح تلعب بلهب قلبها الجريح يد الريح

ومن ضروب التقديم والتأخير أيضاً تقديم الصفة على موصوفها كما في :

((أخبرني بعض الإخوان , أنه رأى بلدة من البلدان , متّسعة الفِناء, محكمة البناء, تروق العيون ,وتحرّك السكون ,بالقرب منها وادٍ...مدِيد الأشجار, منسرح الأنهار, وافر الخير))[١٨].

لقد انطوى هذا النص على خرق تركيبي نتج عن انتهاك الرتب والعدول عن النظام فبتقديم الصفة (متسعة , محكمة , مديد , منسرح , وافر) على موصوفها (الفناء , البناء , الأشجار , الأنهار , الخير) كَمِنَ المؤشر الأسلوبي القائم على الخرق التركيبي للبنى اللسانية والموحي بأهمية الدالّ المقدّم الذي تمّ تأكيده والمبالغة في ذلك عِبرَ هذا التقديم فعمل ذلك على إحداث انفعال شعوري في نفس المتلقي أدّى إلى إثارته وانجذابه نحو الخطاب[١٩].

ومن النصوص الشعرية التي ظهرت فيها الانتهاكات والانزياحات الأسلوبية ما ورد في الأبيات الآتية والتي جاءت في الرثاء [٢٠]: «من السريع»

يا راحلاً أذهب عنا السـرور

وكـادت الأرض بنا أن تمور

شـق الجيوب القوم لما سرى

لو أنصفوا شقوا عليه الصدور

طبع هذا النص بطابع الخرق والخلخلة التركيبية إذ يظهر في بيته الأول انزياحاً تركيبياً تمثّل بالجار والمجرور (عنا) المقدّم والذي أسند إلى ضمير المتكلم فحمل بذلك معاني التأكيد التي زادت الأمر وضوحاً وقوة وعملت على زيادة التأثير في المتلقي وعكس حالة الحزن المسيطرة على المخاطب[٢١] ؛ المقدّم على المفعول به (السرور) , كما انطوى بيته الثاني

على انزياحين تمثّل الأول منهما : بتقديم المفعول به (الجيوب) على الفاعل (القوم) كونها موطن الاهتمام والعناية إذ فيها ما ينبئ عن شدة الحزن والألم نتيجة الفقد , والثاني منهما : في تقديم جملة (شق الجيوب القوم) التي انطوت على النمط الأول من التقديم على شرطها المتمثّل بقوله : (لما سرى) , فالقيمة الأسلوبية لهذا التقديم تتمّثل في»شحن النص بطاقة انفعالية تعكس دواخل الشاعر وتسبغ على البيت صبغة وجدانية بالغة الأثر»[٢٢].

ومن النصوص التي بدا فيها الانزياح واضحاً على التراكيب التي غدت «أكثر حرية في تأليف كلماتها من حيث التقديم والتأخير»[٢٣] ما ورد في[٢٤] : «من الطويل»

وعذراً فإني في الثناء مقصر

وقولي بالتقصير يبسط لي عذرا

تكمن الخلخلة التركيبية في هذا النص في جملته الأسمية التي تواشج فيها الشكل والدلالة , عبر العدول عن الترتيب المألوف فيها إلى ترتيب جديد روعي فيه المدلول الذي عُني فيه بإظهار سمة التقصير في الثناء لا سواه , والذي ما كان ليتحقّق وفق هذه القوة والعمق علاوة على ذلك فإنه كان ليحتمل دلالات أكثر لو أنه أُخر وجيء به وفقاً للبنية التركيبية المعهودة , وهذا ما يمكن توضيحه عِبرَ الخطاطة الآتية :

الأصل وعذرا فاني مقصر في الثناء

الانزياح وعذرا فاني في الثناء مقصر

الأصل وقولي بالتقصير يبسط عذرا لي الانزياح وقولي بالتقصير يبسط لي عذرا

ومن النصوص التي روعي فيها الوزن العروضي فجاءت منطوية على خلخلة تركيبية كان الهدف منها «التوفيق بين وزن الشعر وحركات العبارة فتبدو الجمل في نظام غير طبيعي»[٢٥] ما ورد في [٢٦]: «من الكامل»

تسمو إلى كبد السماء كأنها

تبغي هناك دفاعَ أمر معضل

إذ يشهد هذا النص خرقاً لنظام ترتيبه المعهود والمقعد عمل على الخروج بالدلالة إلى معنى التعظيم والعلو عِبرَ الدال الذي خرق نظامه والمتمثّل بالظرف (هناك) الدالّ على البعد والعلوّ الذي فصل بين الفعل والمفعول به (دفاع أمرٍ معضل) , وهذا ما توضّحه الخطاطة الآتية:

تبغي دفاع أمر معضل هناك

بنية تركيبية أصلية

تبغي هناك دفاع أمر معضل

بنية تركيبية منجزة

ومع إقرارنا بأن الخرق التركيبي والعدول عن القاعدة المألوفة جاء هنا مراعاة للوزن الشعري إلاّ أن هذا لا ينفي ما تمّ خلقه عِبرَ الدالّ المقدّم الذي أصبح المنبّه الأسلوبي في النص من «صورة فنية متميزة»[٢٧] أغنت النص ورفدت دلالته .

ثالثاً :علاقات الاستبدال (الاستعارة) :

إن ممّا عُدّ من السمات الأسلوبية المائزة التي لها سعة حضور وهيمنة على نصوص كتاب نسيم الصِّبا فن الاستعارة القائمة على تعديل الدلالات التي هي في درجة الصفر عِبرَ إحلال وحدات دلالية محلها[٢٨] باعتماد مبدأ الانزياح الاستبدالي[٢٩] أو ما عُرِف قديماً بفن الاستعارة الذي يستعمل فيه اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد[٣٠] الذي أظهره لنا السياق الأسلوبي

سواء أكان هذا الخرق الدلالي الاستبدالي متحقّقاً في النصوص النثرية أم الشعرية .

هذا ولا يتحقّق هذا الانزياح الاستبدالي إلاّ عِبرَ خرق المتلقي للمألوف من العلاقات اللغوية للكشف عمّا تنطوي عليه من دلالات خفيّة و»صور جديدة وغريبة وصادمة عــن طريق تغيير علاقات اللغة»[٣١] , التي يتمّ الكشف عن دلالتها بعد إعادة النظر في السياق الذي وردت فيه .

ومن هنا يمكن القول إن فضيلة الاستعارة أسلوبياً تكمن في «الواقع الجديد الذي تخلقه , وفي هذا الإيحاء المتولّد عن تردّد القارئ بين دلالتين ؛ دلالة حرفيَّة غير مقصودة ولكنها مدعاة تمنعها القرائن , ولا يمكن أن تتحقق إلاّ في الخيال , ودلالة أخرى محتجبّة يطلب من المتلقي استنتاجها بناءً على تلك القرائن»[٣٢] , على أنه ومع كشف المتلقي عنها واستنتاجها لا يتحقّق له تأويلها حرفياً لأنه «لو وقع فهمها بصفة حرفيّة «لتعطّل» الخطاب»[٣٣] وفقدت قيمتها , ومن الصور التي وظِّفت فيها الاستعارة ما ورد في قول الحلبي واصفاً الأشجار والثمار :

((...بها الأشجار لا تحصى , وثمار لا تعدّ ولا تستقصى , فمنها نخيل , مُتْحفُها غيرُ بَخيل... وكرومٌ كريمة... وسفرجلٌ جلّ قدراً... وتين ممزّق الجلباب, كَدِرُ القشر صافي اللباب))[٣٤].

يستمدّ هذا النص جماليته ممّا عقد فيه من علاقات الإسناد غير المألوفة والتي تجمعها علاقات مثيرة للذهن إذ إن النص قائم على عقد استعارات كان الهدف منها تقريب مظاهر الطبيعة من البشر عِبرَ إعارتها الصفات الإنسانية , ففي قوله : (نخيل غير بخيل , كروم كريمة , سفرجل جل قدراً , تين ممزق الجلباب) صور استعارية مكنية تم فيها إخفاء المشبه به (الإنسان) وإظهار لازمة من لوازمه في كل صورة من تلك الصور الاستعارية وما ذلك إلاّ لعكس جمال تلك الثمار وطيبها ودرجة نضجها فضلاً عن كثرة عطاء أشجارها .

ومن الصور الاستعارية أيضاً ما ورد في :

((وأنت أبقاك الله أولى مَن للقضاء سلّم , وسكّن منبسط النفسِ ولو بأنياب النوائب تكلم , وقابل القدر بوجه الرّضا لا الغضب ...))[٣٥] .

إن حركة الاستعارة في هذا النص قائمة على الخرق والانزياح الواضح والقائم بدوره على التلاعب بدلالات الألفاظ التي عمّقت الدلالة الإيحائية فيه وعبَّرت عن أدبيته , بعد أن تمّ تجسيم النوائب وتجسيدها بجعلها كالحيوان الذي له ناب يفترس به في حركة استعارية ذكر فيها المستعار له وهو النوائب الدالّ المعنوي الإدراك وحذف المستعار منه وهو الحيوان مع إبقاء لازمة من لوازمه وهي الأنياب الحسية الإدراك والتي أفضت بتوظيفها إلى إتمام هذه الاستعارة القائمة على التجسيد الذي عبَّر عن منزلة المعزى ومكانته , ولاسيما بعد أن أُضفيت القيم والخلق الإسلامية عليه فغدا مثلاً للصابر المحتسب على ما أصابه من آلام ومصائب.

ومن صور التعبير الاستعاري أيضاً ما ورد في قول الحلبي واصفاً السحاب والمطر:

((إن الله تعالى ... أمسك الغيثَ عن عباده في عام , فخاض كلّ منهم في بحر دمعه وعام . وساءت الظنون بضنّ االسحاب , واشتاق النبات إلى سماع وقع الرباب . وظمئت الحياض , وعبست وجوه الرياض ... وتعطلت من حلى المُزْن أجياد الأزهار ... وقص جناح السرور وطارت الألباب ... وطالت عهودُ العِهاد , وتأهبت الأرضُ للبْس أثواب الحِداد))[٣٦].

فالمنشئ أنشأ نصه معتمداً التوظيف المكثَّف لأفعال

الانزياح الاستعاري والصور غير المألوفة التي بنيت وفق رؤية تخييلية تمّت عبر تقنية التجسيد أو الأنسنة ـ إذا ما صح التعبير ـ فالمنشئ عمد إلى إسقاط الأفعال الإنسانية على الطبيعة عِبرَ التشخيص وما ذلك إلاّ لإثارة المتلقي وإدهاشه وهو يتلقّى تلك الصور غير معهودة الإسناد والمبنية على لون من ألوان التخييل المتمثل بإضفاء الحياة والحركة على الطبيعة لتصبح ذات حياة وعواطف إنسانية تشارك بها الآدميين[٣٧] فتشتاق لمن فارقت وتعبس إذا ما حزنت وترتدي من اللباس ما يعلن ويظهر حدادها على من فقدت , وبذا فإن عنصر الأنسنة هنا أصبح العنصر المحوري في النص عِبرَ التشكيل اللغوي الذي نسجه المنشئ وما ذلك إلاّ للتعبير عن مشاعر الطبيعة , وهذا ما حقّق للنص التأثير والفاعلية التي أدّت إلى دوام تواصل المتلقي مع الفكرة المحورية التي بعثت على تلك الانزياحات الأسلوبية الدلالية[٣٨] .

ومن السياقات التي تجسّدت فيها الصور الاستعارية ما ورد في وصف الأقلام الآتي :

((بأيديهم أقلام تختلس بلطفها الأحلام ... لينة الأعطاف , ناعمة الأطراف . تبكي وهي مبتسمة , وتسكت وهي بما يُطرب السمع متكلمة ... تجتهد في خدمة الباري , وتبدي من دُررها ما يفضح الدراري . تميس في وشْي أبرادها ... ولا ترضى بامتطاء غير الأنامل . الشجاعة كامنة في مهجتها , والفصاحة جارية على لهجتها . تَبهر بالنضارة نواظِر النّهار , وتطرّز بالليل أردية النهار . إن قالت لم تترك مقالاً لقائل , وإن صالت رجعت السيوف مستترة بأذيال الحمائل . سجدت للطِرس ...))[٣٩] .

إن الصور الاستعارية المتتالية في هذا النص تفصح عن قيمة الدال الموصوف (الأقلام) بعد أن عمد المنشئ إلى تشخيصها عِبرَ إلصاق الصفات الإنسانية بها , منزاحاً بذلك بلغته عن المألوف إلى ما سواه معتمداً التخييل الذي أباح له خلع الحياة على الجماد وجعله كالإنسان يحسّ ويتحرك وينبض بالحياة سعياً في تعميق الدلالة المراد التعبير عنها وجعل الأفكار أبلغ أثراً في نفس المتلقي فالأقلام في هذا النص غدت تشعر وتنفعل وتتحرك بعد أن وسمت بسمات العاقل فأصبحت (تختلس , ذات أعطاف لينه , وأطراف ناعمة , تبكي , تبتسم , تسكت , تتكلم , تجتهد في عمل الخير , تميس في مشيتها , تمتطي الأنامل , تصول , تقول , تطرز , تسجد) , فالمنشئ وعِبرَ هذا الخرق اللغوي والانزياح الدلالي الاستعاري المستمدّ بنيته من معطيات الاستعارة المكنية عَمِلَ على زيادة التأثير في متلقي خطابه بعد أن زاد من حدة انفعاله لعقده علاقة بين شيئين منفصلين تمّت عِبرَ ما سُمِّي بمبدأ الاستبدال[٤٠] .

أمّا فيما يخصّ الشعر الوارد في الكتاب فقد ارتبطت به الاستعارة أيضاً لما لها من أثر في تنشيط ذهن المتلقي وإثارته عِبرَ ما ينتج عنها من تغيير في المعنى وطبيعته التي تنتقل فيها الدلالة من السطح إلى العمق ومن المعنى المفهومي إلى الانفعالي في حركة تكشف عن رغبة المنشئ عن التصريح المباشر بما يرغب به إلى غير المباشرة في القول[٤١] مع المحافظة على القالب العروضي للنص رغم قيامه على الخرق المقصود لقوانين اللغة والانزياحات الدلالية التي تحمل قدراً من الرمزية[٤٢] التي يظهر أثرها الأسلوبي على المتلقي حين يتجلّى له معنى المعنى .

وتجسّدت جمالية الصورة الاستعارية في وصف الرمح الآتي[٤٣]: «من السريع»

وأسمَرٍ من رَشف كأس الـــدّما
يهتز بالـسُكْر اهتزاز الطروب

فالصورة الاستعارية في هذا النص تقوم على التشخيص تحت إطار الاستعارة المكنية بعد أن تمّ إسناد ما هو إنساني إلى الدالّ الجماد (الرمح) فقد جعل له شفتين يرتشف بهما محتوى الكأس الذي استعير هو الآخر ليملأ دماً وموتاً بفعل ذلك الرمح بدل أن يملأ خمراً وفي ذلك ما يعمّق الدلالة عن طريق تقليل اللفظ وتكثير المعنى الناتج عن الكناية التي أوحت بقوة ذلك الرمح الذي غدا سفّاكاً للدماء متلذذاً بفعله , ثم أسلمتنا هذه الصورة الاستعارية المعتمدة الكناية إلى صورة أخرى تمثّلت في إضفاء الحس والشعور على ذلك الرمح فهو يهتزّ طرباً وفرحاً بفعله في حالة نشوة ماثلت نشوة السكر التي تطغى على الإنسان بعد تعاطيه الخمر , وبذا فإن ما تولّد من استعارات في هذا النص عمل على لفت انتباه المتلقي وإغرائه بمزيد من التأمّل للوصول إلى المعنى الخفّي فكانت الدوالّ (رشف , كأس الدما , يهتز بالسكر) هي المحفّز والمثير الأسلوبي الذي عمل على إنجاح فكرة المنشئ التي أراد التعبير عنها وإيصالها كاملة إليه مع محافظته على ذهن متلقّيه من الشرود أو السأم بعد استحواذه عليه ببراعة نظمه وجمال صوره .

ومن ذلك أيضاً ما ورد في الحثّ على ترك ملاذ الدنيا والتوبة إلى الله تعالى والتخلّي عن الذنوب في قوله[٤٤]: «من الوافر»

تَعَرّ من الذنوب , فعن قريب
تَحُلُّ من الممات بك المعرَّة

فالمنشئ شبّه الذنوب وأثرها الشامل على الإنسان بإخفائها لما فطر عليه من دين وخلق باللباس الذي يخفي جسد الإنسان وذلك لاشتمال الذنوب كما اللباس على كافة أجزاء البدن , فحذف المشبه به (اللباس) وأبقى لازمة من لوازمه وهي (التعري) بوساطة تقنية الاستعارة التي أحالت المعنوي ماديا بما أضفته عليه من صفات عكست انفعال المنشئ وقرّبت الصورة والفكرة التي سعى لبثها في هذا النص إذ إن في تقريب ما هو معنوي غير مدرك ونقله إلى عالم المدركات الحسية ما يجعله «أوضح في الجملة ممّا لا تقع عليه الحاسّة , والمشاهد أوضح من الغائب»[٤٥] , إلا أن المفارقة بين المستعار له والمستعار منه تكمن في كون اللباس هو مصدر تحسين وتجميل للإنسان في الوقت الذي تلعب فيه الذنوب دوراً معاكساً لتشويهها جوهر الإنسان لذا جاء الحثّ هنا على التخلّص منها بالتعري .

رابعاً : علاقات المجاورة (الكناية) :

لا شكّ في أن النصوص التي تحيل إلى دلالة واحدة هي نصوص مجرّدة من الشعرية[٤٦] وهي أبعد ما تكون عن الانزياح المفضي إلى الأدبية لذا لجأ منشئ كتاب نسيم الصِّبا وفي سعي منه لجعل نصوص كتابه نصوصاً مفتوحة وذات قراءات متعدّدة إلى توظيف عنصر «من عناصر العدول الدلالي الفريد التي تكسب الكلام أدبية من خلال كسر العلاقة النمطية بين الدال والمدلول , وإحداث عدول كامل بينهما»[٤٧] وهذا العنصر تمثّل في فن الكناية التي غدت من المهيمنات الأسلوبية التي لم يكد يخلو منها نص من نصوص الكتاب والكناية هي «كل لفظةٍ دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز , بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز»[٤٨] , بمعنى أنها تقوم على كسر النسق الدلالي المتعارف عليه منتجةً بذلك انزياحاً ينتج عنه طرح مدلولات جديدة إلاّ أنها ورغم إرادتها لا تنفي إرادة المعنى الحقيقي القريب ؛ لان المعنيين الحقيقي القريب والمجازي البعيد مطروحان وقابلان للقصد والإرادة في الوقت نفسه[٤٩] .

ومن هنا غدت الكناية إجراءً أسلوبياً ناجعاً يعمل على إبراز جانب من الدلالة في النص وينبّه عليه ممّا

يستدعي إيلاءها عناية أكبر من قِبل المتلقي وذلك بعد أن يعمد إلى استثمار الإمكانات التي توّفرها له آليات التعبير الخارجي المصرّح به على سطح النص لغرض الإحالة إلى الكشف عن الداخلي المكنون فيها[٥٠] .

ومن تلك الصور الكنائية التي أضفت على نصوص الكتاب جمالية ورونقا ما ورد في الرسالة التي أُنشئت في وصف الشيب والخضاب والتي جاء فيها :

((... نأت الغرابيب السود , ودنت البزاة واثبة كالأسود . وظهرت غرة القمر , وأومض البرق في ليل الشعر . ورُمي فاحم الفَوْد[٥١] بضده , واشتعل المبيضّ في مسودّه . قدم رائد الهداية , وزائد الغواية))[٥٢] .

يتجلّى جمال الصورة الكنائية في هذا النص عِبرَ عدول منشئه عن التصريح بالمعنى إلى التعبير الكنائي القائم على الإيماء إلى المعنى المراد عِبرَ عدد من الدوال الكنائية المتمثّلة بـ(نأت الغرابيب السود) كناية عن بُعد سواد الشعر وذهابه موحياً بذلك بذهاب الشباب , و(دنت البزاة واثبة كالأسود) كناية عن الشيب الذي قدم عليه بعد أن أخذ من البزاة لونها مكنّياً به عن الشيب ومن الأسود سرعتها وقوّتها مكنّياً بها عن سرعة الانتشار , و(ظهرت غرّة القمر) , (أومض البرق في ليل الشعر) , (قدم رائد الهداية ...) كل هذه التراكيب هي تراكيب كنائية عبَّرت عن كِبر السن عِبرَ أشارتها إلى قدوم الشيب , وبذا فإن المنشئ هنا كنّى عن الشعر بدالين هما (الغرابيب) في حال سواده و(البزاة) في حال بياضه وما ذلك إلاّ تفنن ظاهر وصريح وبحسب المدلول الذي يتولّد عن الكناية في كل تركيب بعد اعتماد اللون المفضي إلى المعنى والمحيل إليه , وبذا فقد غدت «الصورة الكنائية في غاية التآلف لأنها نجمت عن عملية تفاعل اللون وما يحمله من بُعد جمالي أسلوبي فضلاً عن الكناية نفسها عندئذ تبلغ الصورة شأوها في الشعرية»[٥٣] , ثم وليعمّق المنشئ الدلالة ويؤكد الفكرة التي قامت على الإيحاء بقدوم الشيب لجأ إلى الاتكاء على الانزياح الاستعاري القائم على التكنية في تركيبين متتاليين هما (رمي فاحم الفود بضده) , (اشتعل المبيض في مسوده) كإشارة منه إلى سرعة انتشار الشيب وغزوه للمسود من الشعر .

ومن الصور الكنائية ما ورد في وصف السيف الآتي :

((فمن سيف يَفْري بحدّه , ويأنف من المقام في غِمده ... ينتقل من القِراب إلى الرقاب , ويدبّ النمل منه على الذباب))[٥٤] .

انطوى هذا النص على صورتين كنائيتين مهّدت أولاهما للأخرى من حيث الدلالة كما أنها عملت على شدّ المتلقي لسهولتها بخلاف الثانية التي اتسمت بالصعوبة والحاجة إلى إعمال الذهن للكشف عمّا انطوت عليه من معانٍ في بنيتها العميقة , فالمعنى الكنائي الأول المستثمر للاستعارة في قوله : (يأنف من المقام في غمده) لا يستدعي من متلقّيه مصارعة الذهن والخيال كونه يحيل بصورة يسيره إلى شجاعة حامله لكونه لا يبقيه في غمده وإنمّا هو دائم الإشهار له في وجه الأعداء فتمثّل السيف صفات حاملة وغدا مثيلاً له في لوحة استعارية كنائية لطيفة , أمّا الكناية الثانية والتي أشرنا إلى ما تتطلّبه من شدة الانتباه إلى السياق الأسلوبي الواردة فيه للكشف عمّا انطوت عليه من دلالة في بنيتها العميقة وهي المتمثّلة بقوله : (يدبّ النمل منه على الذباب) والتي يستشفّ من خلالها صفة سيلان الدماء عليه ـ السيف ـ وفي هذا إشارة خفية مساندة ومؤكدة للكناية الأولى إذ إنها تشير إلى عظم شجاعة حامل ذلك السيف حتى غدا سيفه ولكثرة حروبه وقتله لأعدائه يسيل دماً مغذياً بذلك النمل , وبذا فإن هذه الصورة الكنائية القائمة على تعمية الدلالة وعدم التصريح بها هي الباثّة للقيم المعنوية للنص

لكون ما تم إخفاؤه ـ الدم ـ ممّا تشمئز منه النفوس وتنفر في الوقت الذي ظهر منه ما يثيرها إلى جمال الصورة في بنيتها السطحية , ويمكن تمثيل تلك الدلالات التي أحالت إليها الكناية بالخطاطة الآتية :

إن هذا السيف لا يستقر في غمده لكثرة إشهاره.

يأنف من المقام في غمده

أصبح هذا السيف لا يقر له قرار بسبب شجاعة حاملة وأنفته التي حرمت عليه إغماد سيفه أو السكوت على ظلم أعدائه وجورهم.

يسير كثير من النمل على ذلك السيف.

يدبّ النمل منه على الذباب

أصبح هذا السيف مصدراً لتغذية النمل لكثرة ما عليه من الدماء التي سفكت من أعداء حامله وهذه إشارة جلية إلى شجاعة حامله وبأسه وقوته.

وبهذا الكشف والتحليل لما أحالت إليه الصورة الكنائية من المعاني القريبة والبعيدة برزت قيمتها ووظيفتها الأسلوبية التي تعتمد على استفزاز متلقيها بما تخفي من دلالات لا يتمّ التوصل إليها إلاّ بعد التأليف بين ما تطرح من عناصر تؤدي إلى المعنى الأصلي المقصود منها[٥٥] .

ومن الصور الكنائية أيضاً ما ورد فيما كتبه الحلبي في وصف الجارية الآتي :

((تاقت نفسي إلى زيارة بعض الإخوان , فسرت إليه مشمراً فضْل الأردان , في ليلةٍ سما قدرها , وتجلّى على السماء بدرها))[٥٦] .

فالملاحظ على هذا النص إن منشئه استحضر فيه الدالّ الكنائي (مشمّراً فضل الأردان) وهو دالّ حسي صوّر الحالة المعنوية والشعور الذي اعترى المنشئ إذ إن في هذا التركيب الكنائي ما أوحى بمدى النشاط والحماس الذي حثّ المنشئ إلى التشمير عن أردانه وهو يسعى في الطريق للقاء صديقه , وبذا فإن هذه الصورة الكنائية التي هي (كناية عن صفة الحماس) تمّت عِبرَ استحضار المنشئ للمحسوس (فضل الأردان) للتعبير عن المعنوي المتمثّل بالحماس.

هذا وممّا يميّز الأسلوب المتبع في هذه الرسالة الإيحاء الذي انطوت عليه صورها الكنائية فكما شهدنا مقدار الحماس والإقدام في الكناية التي افتتحت بها الرسالة نرى تراجعه في الكناية التي اختتمت بها وذلك في قوله :

((ولم نزل في بشر وافر , وسرور متواتر ... إلى أن صاح العُتْرُفان , ولاح في المشرق ذنب السَّرحان . فعزمَت الجارية على الذهاب))[٥٧] .

إذ إن في قوله : (لاح في المشرق ذنب السرحان) كناية عن بزوغ الفجر الأول الكاذب , وقد بنيت الصورة الكنائية باعتماد إشارة توحي بمعناها دون أن تصرّح وذلك في الإشارة إلى (المشرق) , فضلاً عن الإسناد المعنوي الذي أضفاه التركيب السابق له والمتمثّل بقوله : (صاح العترفان) الذي عبَّر عن صياح الديك إيذاناً بطلوع الفجر فكل تلك الدوال أوحت بالمعنى الكنائي الذي سعى المنشئ إلى إيصاله وفقاً لأسلوب مميّز جعل من تحصيل المعنى الكنائي أمرا يسيرا وواضح الدلالة لا يستدعي من المتلقي مكابدة الذهن ومصارعة الخيال .

ومن صور التعبير الكنائي أيضاً ما ورد فيما كتبه الحلبي واصفاً كرم ممدوحه وشجاعته في :

((كريم النِجار , جليل المقدار , عليّ الهمة , طليق الوجه عند المُلمّة , ويُحرز المجد ويُذْهِب الذهَب , ويَتبدى بالإحسان إلى العُفاة قبل الطلب ...)) [٥٨] .

فالصور الكنائية تنطلق في النص متتالية للتعبير عن معاني الكرم والشجاعة التي ورثها الممدوح عن آبائه إذ إن في قوله : (كريم النجار) كناية عن كريم الأصل

وطيب المنبت والأصل الرفيع لذلك الممدوح , وفي هذه الصورة التي عُدَّت مفتتحاً لما يليها من صور كنائية متتالية ما رفد تلك الكنايات بطاقة إيحائية مميّزة إذ إن فيها الشاهد لما يليها فما يلي هذه الكناية من صور كنائية متتالية تمّت «بإثبات شاهدها ودليلها»[٥٩] المقدّم أولاً , وكما توضّح الخطاطة الآتية :

الكناية	دلالتها
كريم النجار	كريم الأصل طيب المنبت .
عليّ الهمة	لا يهتم إلاّ بما علا وسما من الأمور .
طليق الوجه عند الملمّة	شجاع لا يبتئس إذا ما أصابه الدهر بنازلة أو شده .
يحرز المجد ويذهب الذهب	كناية عن سعيه الحثيث لحفظ مجد آبائه عِبرَ جوده بماله وإذهابه له سعياً في الحفاظ على مجد أسلافه .
يتبدى إلى العفاة قبل الطلب	كناية عن كرمه وسعة صدره وعفوه عند مقدرته على العفو.

أمّا فيما يخصّ الشعر الوارد في الكتاب فكان توّفره على الكناية ضرورة حتمية فكما هو معروف أن الشعر يقوم على الانزياح والانحراف والإيحاء ؛ ولأن الكناية تتميز بخصائص انزياحية مميّزة لذا فقد تجلّت صورها فيه أيضاً , ومن النصوص التي يظهر فيها هذا الأسلوب ما ورد في وصف ذؤابة الغلام التركي الآتي[٦٠] : «من الطويل»

إذا ما تثنّى للسلام مليكها

على أحدٍ دارت وقبلت الأرضا

نلحظ في هذا النص أن المنشئ عمد فيه إلى توظيف التعبير المجازي)دارت وقبّلت الأرضا(المعبّر عن مغزى دلالي بأسلوب يدعو إلى التأمل للكشف عن المعنى المستتر خلفه والمعنى المراد منه , إذ نهض الأسلوب الكنائي هنا للتعبير عن صفة من صفات تلك الذؤابة التي أُرسلت لتصل إلى الأرض في تدلٍ لطيف ناتج عن طولها , وفي هذا عدول عن المعنى الصريح إلى المعنى الخفي وفقاً لأسلوب يتسم بالتلاعب باللفظ بطريقة تغري متلقي النص للوقوف عنده وعند القيم التعبيرية التي نتجت عن هذا التلاعب ذي الأبعاد الدلالية الجمالية ذات التأثير الفاعل في السياق الدلالي للنص .

وتظهر جمالية التصوير الكنائي فيما ورد في وصف الصقر الآتي[٦١]: «من الوافر»

وصقرٍ أحمر الجلبات شهم

طَموحِ العين معقودِ اللواءِ

فالمنشئ هنا عمد إلى حشد مجموعة من الدوالّ ذات البنية ثنائية الإنتاج[٦٢] متوسلاً إياها لمضاعفة التأثير عبر الزخم الدلالي المتولّد عن تلاحقها وعِبرَ استثمار إيحائها ذي الخصائص الأسلوبية التي «يضمرها السياق ويجلّيها في الوقت نفسه»[٦٣] إذ إن في قوله : (أحمر الجلبات) كناية عن شدة افتراس هذا الصقر لتلوّن فرائسه وما يعود به من طرائد باللون الأحمر كناية عن لون الدم بعد قتله لها وتمكنّه منها , ثم أردف بكناية أخرى بعد أن استعار لفظ (شهم) للتعبير عن كنايته الثانية والمتمثّلة بسرعة ذلك الصقر فضلاً عن نشاطه ومضيّه وشدة ذكائه وفي هذه الكناية تمهيد لما يليها من صور كنائية مميزّة إذ إنها مهّدت لقوله مكّنيّاً عن سرعته في صيده الناتج عن حدّة بصره وامتداد طرفه لصيده مهما بعُد أو حاول الاستتار أو الاختباء : (طموح العين) , ثم وليثبت لهذا الطير الجدارة والفضل على سائر الطيور قال مكنّياً : (معقود اللواء) إذ إن في هذا التركيب ما يشي بوجود انزياح دلالي ناتج عن التفنّن المجازي المولّد للإيحاء والداعي إلى إعمال الذهن للكشف عن الدلالة المبتغاة والمعنى المقصود , ففي هذا البناء التركيبي ما يحيل إلى معنى التسلّط والولاية على

الطيور , فهو غدا ولتميّزه بهذه الصفات والمزايا والياً مطاع الأمر والنهي من قِبل سائر الطيور .

من ذلك نخلص إلى أنّ لظاهرة الانزياح الأسلوبي المتمثّل ببنى التضاد الأسلوبي والبنى القائمة على الانتهاكات والخروقات التركيبية والتي كان فيها تقديم الجار والمجرور أبرز السمات الأسلوبية وتلك التي تأرجحت دلالتها بين التجلّي والخفاء عِبرَ علاقات المجاورة الكنائية فغدت رموزاً لدوالٍ أخرى أو أُعيرت وفقها صفات مدلول لمدلولٍ آخر عِبرَ علاقات الاستعارة والاستبدال ؛ نخلص إلى أنَّ لها هيمنة ظاهرة على نصوص الكتاب فلم يكد نص من نصوصه يخلو منها وبذا فقد سرى أثرها على مستويات النصوص الإيقاعية الصوتية والتركيبية والدلالية فأثرت بذلك النصوص أسلوبياً , كما وكانت مؤشراً ودليلاً على نسبة تلك النصوص للعصر المملوكي الذي غدت فيه تلك الظواهر والانحرافات أسلوباً للعصر ودليلاً على إجادة أدبائه وتمكّنهم .

الهوامش

١- ينظر: في الشعرية : كمال أبو ديب :٤٠.

٢- ينظر:خصائص الأسلوب في الشوقيات : محمد الهادي الطرابلسي : ١٢١.

٣- نسيم الصبا : ابن حبيب الحلبي (ت٧٧٩هـ) :٧١-٧٢.

٤- ينظر:خصائص الأسلوب في الشوقيات :١١٣-١١٤.

٥- نسيم الصبا : ١٤١.

٦- ينظر :التائية الكبرى لأبن الفارض (٦٣٢هـ) دراسة أسلوبية : هشيار زكي حسن أحمد , رسالة ماجستير :٥٥ .

٧- خصائص الأسلوب في الشوقيات :١٢١.

٨- نسيم الصبا :١٣٧.

٩- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : د.صلاح فضل :٢٢٧.

١٠- نسيم الصبا : ١٢٥.

١١- المصدر نفسه : ١٠٣.

١٢- أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) :٤٨/٢.

١٣- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية : د. مسعود بودوخة :٨٣.

١٤- ينظر:الأسلوبية والأسلوب: د.عبد السلام المسدي :٥٦.

١٥- نسيم الصبا:٤٠.

١٦- ينظر:الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : د.فتح الله أحمد سليمان :٢٠٣.

١٧- نسيم الصبا:٦٧.

١٨- المصدر نفسه:١٠١.

١٩- ينظر:التقديم والتأخير في القرآن الكريم :حميد أحمد عيسى العامري :١٢٨.

٢٠- نسيم الصبا :١٣٤.

٢١- ينظر:دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث : د. أحمد درويش :٩٥.

٢٢- خصائص الأسلوب في شعر البحتري : د. وسن عبد المنعم ياسين الزبيدي :٢١٥.

٢٣- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية : احمد الشايب :٦٩.

٢٤- نسيم الصبا :٥٢.

٢٥- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية:٦٩.

٢٦- نسيم الصبا:٢٣.

٢٧- البلاغة والأسلوبية : د. محمد عبد المطلب :٢٧٢.

٢٨- ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : د. صلاح فضل : ١٨٠.

٢٩- ينظر : بنية اللغة الشعرية : جان كوهن :١١٠.

٣٠- ينظر:أسرار البلاغة: للشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) :٣٠.
٣١- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي تلازم التراث والمعاصرة : محمد رضا مبارك :٦٥.
٣٢- الرسائل المشرقية الفنية في القرن الثامن للهجرة دراسة أسلوبية : كريمة نوماس محمد آل علي خان المدني , أطروحة دكتوراه :٢٧٧.
٣٣- السيميائية وفلسفة اللغة : أمبرتو إيكو :٣٨٣.
٣٤- نسيم الصبا :٤٧ـ٤٨.
٣٥- المصدر نفسه :١٣٤.
٣٦- المصدر نفسه :٢٧.
٣٧- ينظر : التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية : د. ثائر سمير حسن الشمري : ٢١.
٣٨- ينظر : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها : د. موسى سامح ربابعة :٩٠.
٣٩- نسيم الصبا : ١٠٦.
٤٠- ينظر:الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية : يوسف أبو العدوس :١١ .
٤١- ينظر: بنية اللغة الشعرية :١٢٨ , ٢٠٥.
٤٢- ينظر:خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف ـ مدة السبي ـ دراسة أسلوبية ,خنساء مهدي حمود ,رسالة ماجستير :٧٨.
٤٣- نسيم الصبا :١١١.
٤٤- المصدر نفسه:١٤٢.
٤٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦هـ) :٢٨٧/١.
٤٦- ينظر:النص وإشكالية المعنى:عبد الله محمد العضيبي :٤١.
٤٧- آليات الشعرية بين التأصيل والتحديث»مقاربة تشريحية لرسائل ابن زيدون ت٤٦٣«: د.حميد حماموشي :٢٤٦.
٤٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٧هـ) :١٩٤/٢.
٤٩- ينظر: البنيات الأسلوبية للكناية في شعر البهاء زهير(ت٦٥٦هـ) ,علي كاظم علي , بحث منشور :٦٢.
٥٠- ينظر : خصائص الأسلوب في شعر البحتري :٣٤٦.
٥١- الفود :معظم شعر الرأس الذي يلي الأذن , ينظر:لسان العرب :محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) : مادة (فود).
٥٢- نسيم الصبا : ٨٧.
٥٣- خصائص الأسلوب في شعر البحتري :٣٦٢.
٥٤- نسيم الصبا :١١٠.

٥٥- ينظر : مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع : توفيق الزيدي :١٢٢-١٢٣.

٥٦- نسيم الصبا :٦٣.

٥٧- المصدر نفسه :٦٦.

٥٨- المصدر نفسه : ١٢٢.

٥٩- البلاغة والأسلوبية :٦٠.

٦٠- نسيم الصبا :٥٩.

٦١- المصدر نفسه :١٠١.

٦٢- ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : د. محمد عبد المطلب :١٨٧.

٦٣- أسلوبية البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النص الإبداعي : د.رحمن غركان :٢٣١.

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب المطبوعة :

١- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: يوسف أبو العدوس , منشورات الأهلية , عمان ـ الأردن , الطبعة الأولى , ١٩٩٧م.

٢- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية : احمد الشايب , مكتبة النهضة المصرية , الطبعة الثامنة , ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : د.فتح الله أحمد سليمان , دار الآفاق العربية , القاهرة , الطبعة الأولى , ٢٠٠٨م.

٤- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها : د. موسى سامح ربابعة , دار الكندي للنشر والتوزيع ـ الأردن , الطبعة الأولى , ٢٠٠٣م.

٥- الأسلوبية والأسلوب: د.عبد السلام المسدي ,الدار العربية للكتاب ,الطبعة الثالثة, (د.ت).

٦- أسرار البلاغة: للشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ), قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر , مطبعة المدني بالقاهرة , دار المدني بجدة , ١٤١٢هـ ـ١٩٩١م.

٧- أسلوبية البيان العربي من أفق القواعد المعيارية إلى آفاق النص الإبداعي : د.رحمن غركان , دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر , دمشق ـ سوريا , الطبعة الأولى , ٢٠٠٨م.

٨- أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) , حققه وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر , مطبعة النعمان , النجف الأشرف , الطبعة الأولى , ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٩- آليات الشعرية بين التأصيل والتحديث»مقاربة تشريحية لرسائل ابن زيدون ت٤٦٣»: د.حميد حماموشي, عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع , إربد ـ الأردن ,الطبعة الأولى, ٢٠١٣م.

١٠- بلاغة الخطاب وعلم النص : د. صلاح فضل , سلسلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت , ١٩٩٢م.

١١- البلاغة العربية قراءة أخرى : د. محمد عبد المطلب , الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان , دار نوبار للطباعة , القاهرة , الطبعة الثانية , ٢٠٠٧م.

١٢- البلاغة والأسلوبية : د. محمد عبد المطلب , مكتبة لبنان ناشرون , الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان , الطبعة الأولى , ١٩٩٤م.

١٣- بنية اللغة الشعرية : جان كوهن , ترجمة : محمد الولي , محمد العمري , دار توبقال للنشر , المغرب , الطبعة الأولى , ١٩٨٦م.

١٤- التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية : د. ثائر سمير حسن الشمري , دار صفاء للنشر والتوزيع ـ عمان , ومؤسسة دار الصادق الثقافية ـ الحلة , الطبعة الأولى , ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

١٥- التقديم والتأخير في القرآن الكريم :حميد أحمد عيسى العامري , وزارة الثقافة والإعلام , دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) , بغداد ـ العراق , الطبعة الأولى , ١٩٩٦م.

١٦- خصائص الأسلوب في الشوقيات : محمد الهادي الطرابلسي , منشورات الجامعة التونسية , ١٩٨١م.

١٧- خصائص الأسلوب في شعر البحتري : د. وسن عبد المنعم ياسين الزبيدي , منشورات المجمع العلمي , ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

١٨- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث : د. أحمد درويش , دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٨م.
١٩- السيميائية وفلسفة اللغة : أمبرتو إيكو , ترجمة : د. أحمد الصمعي , المنظمة العربية للترجمة , بيروت , الطبعة الأولى , ٢٠٠٥م.
٢٠- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : د.صلاح فضل , دار الشروق , الطبعة الأولى , ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٢١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦هـ) , تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد , دار الجيل , بيروت ـ لبنان , الطبعة الخامسة , ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٢٢- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية : د. مسعود بودوخة , عالم الكتب الحديث , اربد ـ الأردن , الطبعة الأولى , ١٣٤٢هـ ـ ٢٠١١م.
٢٣- في الشعرية : كمال أبو ديب , مؤسسة الأبحاث العربية ش. م.م., بيروت ـ لبنان , الطبعة الأولى , ١٩٨٧م.
٢٤- لسان العرب :محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) , دار صادر , بيروت , الطبعة الأولى , (د.ت).
٢٥- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي تلازم التراث والمعاصرة : محمد رضا مبارك , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , الطبعة الأولى , ١٩٩٣م.
٢٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:ضياء الدين بن الأثير(ت٦٣٧هـ), تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد , مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده , القاهرة ـ مصر , ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.
٢٧- مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع : توفيق الزيدي , مطبعة النجاح الجديدة , الدار البيضاء , الطبعة الثانية , ١٩٨٧م.
٢٨- نسيم الصبا : ابن حبيب الحلبي (ت٧٧٩هـ) , حققه وعلّق عليه : محمود فاخوري , منشورات دار القلم العربي , سورية ـ حلب , ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٩- النص وإشكالية المعنى:عبد الله محمد العضيبي , منشورات الاختلاف , الطبعة الأولى , ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

ثانياً : الرسائل والاطاريح الجامعية :
١- التائية الكبرى لأبن الفارض (٦٣٢هـ) دراسة أسلوبية : هشيار زكي حسن أحمد , رسالة ماجستير , كلية الآداب ـ جامعة الموصل , ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢- خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف ـ مدة السبي ـ دراسة أسلوبية ,خنساء مهدي حمود ,رسالة ماجستير ,كلية الآداب ـ جامعة البصرة , ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
٣- الرسائل المشرقية الفنية في القرن الثامن للهجرة دراسة أسلوبية : كريمة نوماس محمد آل علي خان المدني , أطروحة دكتوراه , كلية التربية ـ جامعة كربلاء , ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٣م.

ثالثاً : المجلات والدوريات :
١- البنيات الأسلوبية للكناية في شعر البهاء زهير(ت٦٥٦هـ) ,علي كاظم علي , مجلة القادسية , كلية التربية , المجلد الثامن , العدد الثاني ,٢٠٠٩م.

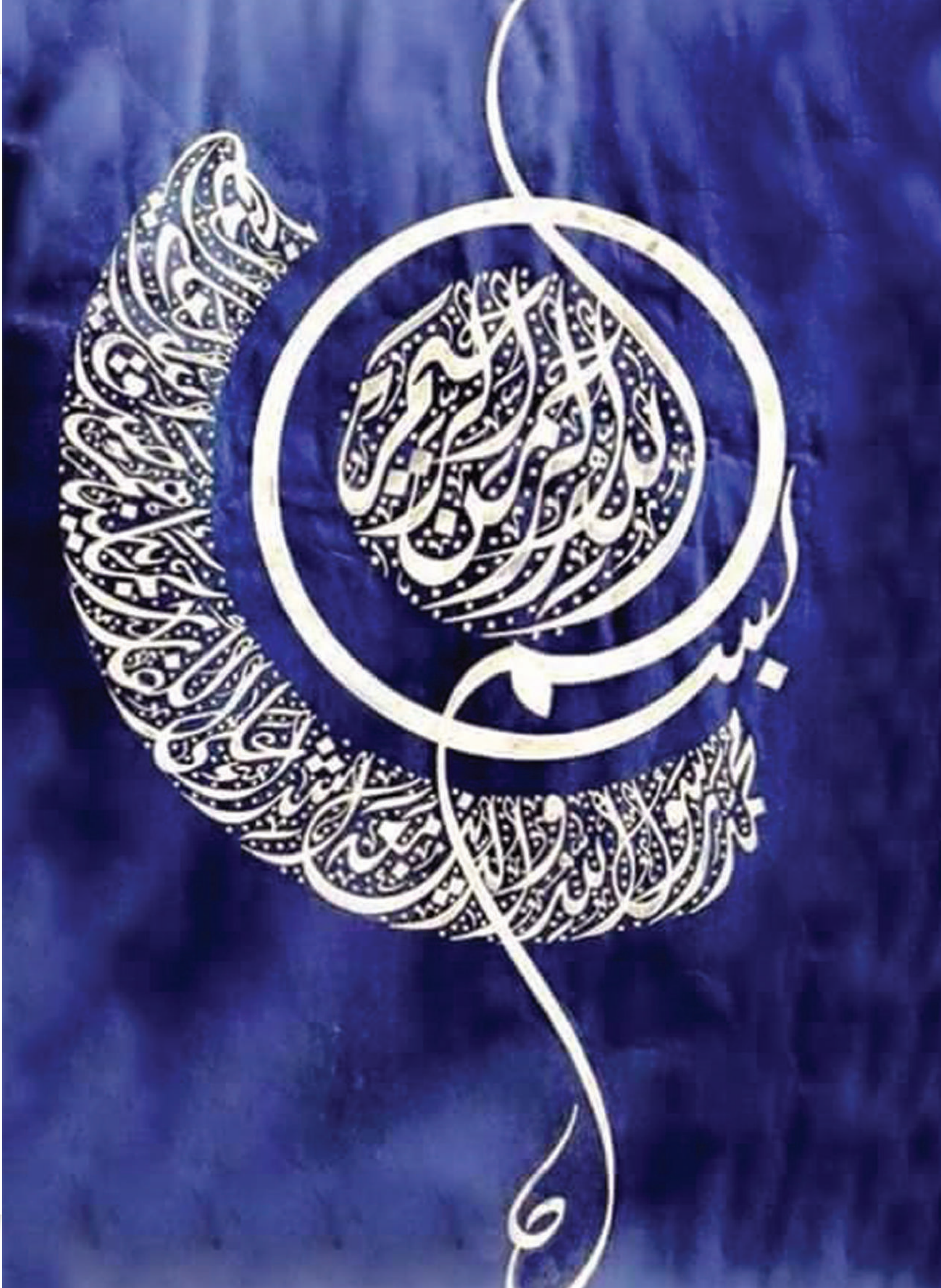
بسم الله الرحمن الرحيم

المتلقّي والنص الأدبي
بين التهميش والاهتمام

The Recipient and the Literary Text Between marginalization and attention.

م . فرقان محمد عزيز
كلية التربية الاساسية – جامعة المثنى

Mr. Furqan Mohammed Aziz.
College of Basic Education - Al-Muthanna University.

كلمات مفتاحية : المتلقّي/ العملية الإبداعية/ توليد الخطاب/ التلقي.

ملخص البحث

يعدّ المتلقّي أحد عناصر العملية الإبداعية ، وبوصفه الغاية التي يسعى إليها المبدع من نتاجه ذلك انه المقام الذي يُشكَّل على وفقه المؤلف أسلوبه في تكوين النص بهيأة من دون أخرى ، ذلك ان النصوص الإبداعية ذات بعدين للفعل الإبداعي : بعد ذاتي يتعلّق بالمبدع نفسه ؛ وبعد خارجي يتعلّق بالآخر وهو المتلقي ، وهذا يدل على ان اصل توليد الخطاب لمتلق اهتم به لمقصود اريد ايصال دلالته من خلال الألفاظ التي انتقيت لتكوينه له ، والتأثير فيه ؛ لتحقيق غاية ما ؛ فخلود النصوص الأدبية لا يتأتى من الاسباب التي أوجدتها , ولا من العوامل التي أدّت إلى انشائها , وهي لا تحظى به لأنها تصوّر أوضاعا اجتماعية , أو تعكس هياكل اقتصادية , وانّما يأتي لأنها تظل فاعلة في القارئ محرّكة له

Abstract

The recipient is one of the elements of the creative process, and as the goal that the creator seeks from his product, that is the place on which the author's jurisprudence is shaped by his method of composing the text in one form , or another, since the creative texts have two dimensions of the creative act: a subjective dimension related to the creator himself; And an external dimension that relates to the other, who is the recipient, and this indicates that the origin of the speech generation is for a recipient who cares about it for a purpose that I want to convey its significance through the words that chosen to form it for him and influence on it, to achieve an end.

The immortality of literary texts does not come from the reasons that created them, nor from the factors that led to their creation, and they do not enjoy it because they depict social conditions or reflect economic structures, but rather because they remain active in the reader as a motive for him.

تعددّتِ الدراسات التي تناولت المتلقي كأحد عناصر العملية الابداعية وبوصفه الغاية التي يسعى إليها المبدع من نتاجه؛ ذلك انّه المقام الذي يُشكَّل على وفقه المؤلف أسلوبه في تكوين النص بهيئة من دون أخرى، ((فالمتلقي شريك للمؤلف في تشكيل المعنى وهو شريك مشروع لان النص لم يكتب إلاّ من اجله))[١]؛ ذلك أن النصوص الإبداعية ذات بعدين للفعل الإبداعي: بعد ذاتي يتعّلق بالمبدع نفسه؛ وبعد خارجي يتعلّق بالآخر وهو المتلقّي [٢]

فالخطاب هو قناة للاتصال والتفاهم منذ القدم، فقد ((روي عن ابن الأنباري أنه قال: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له إني لأجد في كلام العرب حشواً ! فقال له أبو العباس في أي موضوع وجدت ذلك ؟ فقال: أجد العرب يقولون: « عبد الله قائم» ثم يقولون: «إن عبد الله قائم»، ثم يقولون: «إن عبد الله لقائم» فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس، بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم: «عبد الله قائم» إخبار عن قيامه وقولهم:«إن عبد الله قائم»جواب عن سؤال سائل وقوله:«إن عبد الله لقائم» جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرار المعاني)) [٣]

وهذا يدلّ على إن أصل توليد الخطاب لمتلقٍ اهتمّ به لمقصود أريد إيصال دلالته من خلال الألفاظ التي انتقيت لتكوينه له، والتأثير فيه لتحقيق غاية ما... إذ ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتىّ أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[٤] فالمطابقة لا تكون إلاّ بوجود المتلقي أو المستمع؛ فهو الذي يحددّ نوع الخطاب، ويجعله متفاوتاً في شرفه ودنوّه، وهو الذي يجعل المبدع ينسج خطابه على وفق متطلباته.

ومن وجوه الاهتمام بالمتلقي البحث عن أسرار الجمال البياني في الخطاب القرآني، وما يحدثه من أثر في نفس المتلقّي، وهذا ما جعل الذين كتبوا في الإعجاز يرون أن قدرة النظم تسهم في تمكين المعنى في النفوس، ويرى الخطابي أن ((في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب فيه الناس فلا يكاد يعرفه الاّ الشاذّ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور)) [٥].

إذ يبدو أن اثر القرآن في نفس المتلقي واضح فاللذة، والحلاوة، والروعة، والمهابة، والاستبشار، والانشراح كلها مفردات تدلّ على تأثّر المتلقي بالمعنى.

ذلك ان حسن العبارة تدعو المتلقي إلى الاستجابة وتكون على مراتب، وفي ذلك يقول الرماني: ((حسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاهما مرتبة، ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس

تقبّل البرد، وكي يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقّه من المرتبة)) [٦].

والمتلقّي عند الجرجاني هو الذي يكشف الستر، ويطلب المخبوء، مستدلّا بالإشارة، والايماء؛ يقول: ((ولم ازل منذ خدمت العلم انظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة، والبلاغة، والبيان، والبراعة؛ وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها، فاجد بعض ذلك كالرمز، والايماء، والاشارة في خفاء وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج)) [٧].

أمّا في مجال النقد فنجد في العصر الجاهلي العديد من الصور للممارسات الدالّة على مفهوم التلقّي حتى وان عُدَّ بسيطاً في جوهره، إلاّ أن العديد من نماذجه التطبيقية الشفاهية ذات دلالة عميقة على تفاعل الناقد والشاعر والجمهور مع النص، وهذا النوع من التلقّي تسمّيه بشرى موسى بالتلقّي الشفاهي، وتقول فيه: ((ان مصطلح التلقّي أشدّ دلالة على الحال السماعية للشعر من مصطلحات أخر كمصطلح القارئ والسامع بوصفه مصطلحاً شاملاً تنضوي تحته أنماط التلقي الشفاهية او السماعية، فضلاً عن القرائية)) [٨]، ومن هذه النماذج احتكام امرئ القيس وعلقمة الفحل إلى أم جندب، فعرض عليها علقمة قوله[٩]:

فأدركهن ثانياً من عنانه

يمر كمر الرائح المتحلب

وقال امرؤ القيس:

فللسوط الهوب وللساق درة

وللزجر منه وقع أهوج منعب

فغلبّت أم جندب علقمة، فقال لها زوجها امرؤ القيس: بأي شيء غلبته ؟ قالت: لأنك: ((جهدت فرسك بسوطك، ومريّته بساقك وزجرك، وأتعبته بجهدك)) [١٠]، امّا عن بيت علقمة فقالت: ((فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمره بساق، ولم يتعبه بزجر)) [١١]. وأم جندب في تفضيلها لعلقمة اعتمدت على التعليل المستمد من داخل النص، وهذا يؤكد دور المتلقي والنضج الذي تميّز به، فأصبح يتوقع ما يجب ان يتوقع، مقاييس الحكم عنده مبنية على معرفة ودراية وخبرة.

هذا وقد أفصح لنا التراث عن لون من المقطوعات الأدبية التي استجاب لها النقاد وأخذت في حركتها تتدفق نحو الأمام جيلاً بعد جيل، مستجلبة أذواق المتلقين، ومحفّزة آفاقهم للقراءة والتشكيل الفني الذي تنتجه، سواء أكانت هذه القراءة والتشكيل الفني من جهة بيان القيم، أم من جهة بيان المسالك الأسلوبية المتعدّدة، أو من جهة بيان التجربة المعاشة. ومن هذه النصوص قول الشاعر كُثير عزة:

ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا

ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطي الأباطحُ[١٢]

هذه الأبيات تمثّل ضربا من ضروب الشعر التي صنّفها ابن قتيبة يقول عنه: ((وضرب منه حسن لفظه وحلا، فاذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى))[١٣]،

وقد أعاد عبد القاهر الجرجاني تشكيل أبيات (كثير عزة) على وفق قراءة جديدة، ووجد في ألفاظها، ((حسن ترتيب كامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن)) [١٤]، وهذه دلالة جديدة أضافها الجرجاني للنص؛ قد تختلف في قليل أو كثير عن الدلالات السابقة، إلاّ ان هذه الدلالات تؤكد انفتاح النص أمام قرائه، وإعادة انتاجه برؤى جديدة قد تتفق أو تختلف.

والنقد الذي وجّهه النابغة إلى حسان بن ثابت يعدّ من النماذج التطبيقية للمتلقّي، وذلك في قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[١٥]

ويبدو أن النابغة والخنساء كانا يتوقعان من حسان قوة المعنى في تحقيق ما يصبو إليه، من خلال المفردات (الجفنات)،و(يلمعن)، و(الضحى)، و(يقطرن) فاقترحا عليه من مفردات أخرى تحقّق مقصده، وهذا يؤكّد التصاق المتلقّي المباشر بالنص، وفطنته وتحسّسه لما ينبغي أن يصدر من الشاعر:

((كان أبو الطيب المتنبي إذا سئل عن معنى قاله، أو توجيه إعراب، حصل فيه إغراب، دلّ عليه وقال: ((عليكم بالشيخ الأعور ابن جني فسلوه، فانه يقول ما أردت وما لم أرد)) [١٦]، وتوجيه أبي الطيب لسامعيه بسؤال ابن جني يؤكد انه يترك مساحة للمتلقي الحاذق وقدرته على التأويل وصولاً إلى المعاني المضمرة في النص، وقوله ((وما لم أرد)) دليل على مشاركة المتلقي في كشف خبايا النص، والغوص على معانيه، والوقوف على ما لا يخطر ببال منشئه.

وابو تمام في ردّه على أبي سعيد وأبي العميثل عندما سألاه مستنكرين عن الغموض في شعره؛ فقالا: ((لم لا تقول ما يفهم ؟، قال أبو تمام: لم لا تفهمان ما أقول ؟، وهنا تتضح مسؤولية القارئ، وأن العملية الإبداعية جهد مشترك، يجب أن يحمل عبئه المؤلف والمتلقي)) [١٧].

وتتضح صورة المتلقي في آراء النقاد، يقول الجاحظ: ((فان أردت أن تتكلف هذه الصناعة، وتنسب إلى هذا الأدب، فقرضت قصيدة، او حبرت خطبة، أو ألفت رسالة، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك، أو يدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدّعيه، لكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار أو خطب؛ فان رأيت الأسماع تصغي له، والعيون تحدج اليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله...فإذا عاودت أمثال ذلك مرارا، فوجدت الأسماع عنه منصرفة، والقلوب لاهية، فخذ في غير هذه الصناعة، واجعل رائدك الذي لا يكذّبك حرصهم عليه، أو زهدهم فيه)) [١٨].

فقد ركّز الجاحظ على العلاقة بين المؤلف والمتلقّي، فاستحسان المتلقّي أو نفوره من النص يؤكد أهمية المتلقي ووظيفته النقدية، ودوره في تقييم النص، والمتلقي أو القارئ عنده هو المحور الأهمّ والمقدّم في عملية التلقّي.

وربط ابن قتيبة القصيدة العربية بأوضاع المتلقين والرغبة في اجتذاب نفوسهم وأسماعهم ومراعاة أذواقهم وجعل الالتزام بها معيارا لإجادة

الشاعر ونجاحه الفني، فيرى أن الشاعر يبدأ قصيدته بالغزل والنسيب ((ليميل نحوه القلوب، ويصرف اليه الوجوه، وليستدعي به اصغاء إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، فاذا علم انه استوثق من الإصغاء اليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق)) [١٩]، ففي ذلك إشارة من ابن قتيبة إلى أن هذه المقدمات تثير انتباه المتلقين ومن ثم مشاركة عواطفهم مع عاطفة الشاعر؛ لأنها قريبة من النفوس، ويدلّ ذلك على تنبّه ابن قتيبة إلى المتلقي، إذ يربط بين النص الجيد والمتلقّي، الذي يستهويه ذكر الغزل والنسيب، والنص الجيد يجعل دائما متلهّفا لقراءته، مقبلاً عليه غير مدبر.

أمّا ابن طباطبا فقد استهدف جمالية التلقّي بذكره ما يجذب المتلقّي لقراءة النص أو سماعه، فالمعاني عنده ((قائمة في النفوس والعقول... فيبتهج السامع لما يرد ممّا قد عرفه طبعه، وقبله فهمه)) [٢٠]؛ ذ يساهم المتلقّي في عملية الإبداع الشعري مساهمة فاعلة من حيث مشاركته للمبدع في معرفة المعاني الجميلة التي يريدها، ويؤكد ذلك ابن طباطبا في وضعه معايير للشاعر تجعل شعره مقبولا لدى المتلقي، يقول: ((فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة، مجتلبة لمحبة السامع له والناظر بعقله اليه، مستدعيه لعشق المتأمل في محاسنه))[٢١].

هذا وقد اهتمّ حازم القرطاجني كثيرا بالمتلقّي، فقد ركّز على أثر الكلام أو القول في المتلقي، وجعل النفس هي المستقبل الأول لهذا الاثر، فيقول: ((وممّا تحسن به المبادئ أن يصدر بما يكون فيه تنبيه وايقاظ لنفس السامع، او أن يشرب ما يؤثّر فيها انفعالا، ويثير لها حالا من تعجّب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك))[٢٢]، ويقول: ((ولهذا نجد الإنسان قد يقوم المعنى بخاطره على جهة التذكر، فاذا تلقّاها في عبارة بديعة اهتز له وتحرّك لمقتضاه، كما أن العين والنفس تبتهج لاجتلاء ما له شعاع ولو من الأشربة)) [٢٣].

المتلقّي ومناهج النقد الحديثة

انشغلت المناهج النقدية عن القارئ أمدا غير، فقد انصرفت السياقية عنه إلى تمثّل السياقات الخارجية التاريخية والنفسية والاجتماعية، وايضا النسقية الشكلانية والبنيوية لاستغراقها في العناية بالأشكال والبنى، وعلى ذلك لم يحظ القارئ باعتناء كاف إلاّ في أكناف النقد ما بعد البنيوي، وقد بلغت العناية بالقارئ ذروتها في الدرس النقدي لمنظري جمالية التلقي والتفكيكيين.

فقد أدرك هؤلاء ان ((خلود الآثار الأدبية لا يأتيها من التي أوجدتها، أو من العوامل التي أثّرت في نشأتها، وهي لا تحظى به لأنها تصوّر أوضاعا اجتماعية، أتعكس هياكل اقتصادية، وانّما يأتيها الخلود وتحظى به لأنها تظل فاعلة في القارئ محركه له)) [٢٤]، ذلك أن القارئ هو ((الموقع الحقيقي على شهادة حياة النص، لأنه هو الذي يحكم على ما يتلقاه من أي أديب بانه أدب، فهو الذي يضفي عليه بالتالي السمة الإبداعية، أو قل هو الذي يقرّ له بها)) [٢٥].

ولعل آراء ادجار آلان بو حول بأهمية التفكير في نوع الأثر المراد أحداثه في القارئ قبل التفكير في

وسائل التعبير هي التي مثّلت أهمية مراعاة القارئ في أثناء الكتابة، فضلا عمّا تنبّه إليه بول فاليري في أن معاني الأشعار تحتمل أكثر من تصوّر، وتقبل على أكثر من وجه تبعا لمنظور القراءة، ومثلهما اهتم سارتر بعملية التواصل المنعقدة بين العمل الأدبي، ومن ينتظره من جمهور القراء، ويتطلّع إلى نشره [٢٦].

هذا ويعدّ نموذج الاتصال السداسي لجاكوبسون دليلا واضحا على الاهتمام بالمتلقي إذ ((يتكون من: ١- مرسل و ٢- مرسل إليه، ويتوسّط بينهما، ٣- رسالة، تتطلّب ٤- سياقا و٥- شفرة و٦- انتباهية)) [٢٧].

ويوسّع انحسار الوظيفة المرجعية في الخطاب الأدبي أمام هيمنة الوظيفة الشعرية من مساحة الغموض، وعندها تتضاعف الحاجة إلى مساهمة المرسل إليه (القارئ) لتجليه الرسالة (النص)، وإثرائها باجتهاداته التأويلية [٢٨].

فأسلوبية الإنزياح التي ينبغي أن تصل بين النص والقارئ لا تحقّق سمتها الإبداعية إلاّ إذا عمد النص إلى ((إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا غفل عنها شوّه النص، وإذا حلّلها وجد لها دلالات تمييزية خاصة)) [٢٩].

أمّا منظرو جمالية التلقي والتفكيكيون فيحتفون بالقارئ والقراءة أيما احتفاء لما ((وقر في تصوراتهم من الوجود بالقوة إلى حيّز الوجود بالفعل، ولكن القراءة لا تتمّ إلاّ مع الكتابة، أنها في آخر المطاف فعل مستحدث يستحدث النص المكتوب، إن النص نداء، وإن القراءة تلبية للنداء)) [٣٠].

لذلك أخذ ياوس بمفهوم ((أفق الانتظار)) و ((المسافة الجمالية))، كونه يرهن انتاج الدلالة بمساهمة القارئ في تمثّل النص اعتمادا على تراكمات خبراته الجمالية، وبذلك كان خرق أفق الانتظار، ومجانبة أطر التلقي السائدة علامة على تميّز الأثر الأدبي، وارتقائه إلى مستوى التأثير الفاعل من منطلق حفّز القارئ على ابتناء أفق قرائي جديد[٣١].

ويعتقد آيزر إن بناء المعنى لا يجد سبيلا إلى ارتقاء لبناته إلاّ بإرساء تفاعل جدلي بين النص بطاقاته الفنية، والقارئ بخبراته الجمالية، والدافع إلى ذلك يكمن في ((وجود فجوات في النص تمنع التناسق الكامل بين النص والقارئ، وعملية ملء هذه الفجوات أثناء عملية القراءة هي التي تبرز وتوجد الاتصال، إذ أن الفجوات وضرورة ملئها تعمل كحوافز ودوافع لفعل التكوين الفكري)) [٣٢].

فقد ربط آيزر و ياوس جهد القارئ وفسحة مشاركته في صنع الدلالة باستراتيجية النص، وما تؤديه سياقاته من تأثير، وعلى مذهبهما سار دريدا ضمن توجّهه التفكيكي في تثمين الفعل القرائي وتخويله الحق في إعادة بناء النص من جديد بعد هدمه وتفكيكه من خلال التموقع في مفاصله اللامتجانسة، وفضح شروخه المستترة، و ((إظهار الكيفية التي تشرع بها التعارضات التراتبية التي يتكئ عليها الخطاب في التآكل)) [٣٣]، ولأن الكتابة في منظوره قائمة على

انتشار الدلالة، وأن الحاجة إلى تحرير أثر النشاط القرائي تبقى مستمرة، اذ لا يمكن الوصول إلى قراءة نهائية فاصلة فكل قراءة تظّل خيارا صحيحا حتى تأتي قراءة أخرى وتنسخها؛ إذ لا سلطة للكاتب ((على ما كتب ونشر لأنه بذلك قد سلّمه للغرباء والمستقبل)) [٣٤].

وعلى ذلك النهج يرسي بارت مفهوم ((موت المؤلف)) ويصرف نظر الاحتفاء تجاه المتلقي بوصفه نبض النص.

ومن ذلك فان الدرس النقدي ما بعد البنيوي ثبت منحى العناية بالقارئ، وتثمين القراءة التي ((لم تعد فعالية سلبية لا تتجاوز التلقي الآلي من القارئ، وكأنما هو وعاء معدني لا دور له سوى استيعاب ما يصبّ فيه)) [٣٥]، فضلا عن ذلك فان القارئ ((لم يعد يقبل هذا الدور الآلي لنفسه، ولذلك فانه ليس مجرد متلقّ سلبي، ولكنه يمثّل حصيلة ثقافية واجتماعية ونفسية تتلاقى مع كاتب هو مثلها في مزاج تكوينه الحضاري الشمولي، والنص هو الملتقّى لهاتين الثقافتين)) [٣٦].

الخاتمة:

١- لعلّ أهمّ ما توصلت إليه الباحثة في محور المتلقي والنص الأدبي الآتي:

- المتلقّي شريك للمؤلف في تشكيل المعنى وهو شريك مشروع لأن النص لم يكتب إلاّ من أجله.
- إن الدرس النقدي ما بعد البنيوي رسخ بقوة منحى العناية بالقارئ، اذ لم تعد القراءة فعالية سلبية وكأنما هو وعاء معدني لا دور له سوى استيعاب ما يصبّ فيه وإنمّا أصبح للمتلقي دور كبير في ذلك.

الهوامش

١- القارئ في النص - نظرية التأثير والاتصال: نبيلة ابراهيم، مجلة فصول المصرية، مج٥، ع١، الهيئة العاملة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٩٨٤، ١٠١.

٢- ينظر: التفكير الجمالي حول نظرية التلقي عند ابن طباطبا العلوي: د. اسامة عبد العزيز جاب الله، كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ، ١.

٣- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ٢٠٦.

٤- المصدر نفسه، ١٥٣/١.

٥- ثلاث رسائل في اعجاز القران: ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (١٩٧٦م)، ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي،، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٧٠.

٦- المصدر نفسه، ١٠٧.

٧- دلائل الاعجاز: ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (١٩٨٤م)، تحقيق محمود محمد شاكر، ط مطبعة الخانجي، القاهرة مصر ' ٣٤.

٨- نظرية التلقي – اصول وتطبيقات، بشرى موسى الصالح (٢٠٠١م)، ٥٩.

٩- كتاب الاغاني: ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (١٩٣٥م)، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ٨/ ١٩٤ - ١٩٥.

١٠- كتاب الاغاني، ١٩٦.

١١- المصدر نفسه.

١٢- ديوان كثير عزة: كثير بن عبد الرحمن بن الاسود، جمعه وشرحه، احسان عباس،ط دار الثقافة، بيروت لبنان ٥٢٥.

١٣- الشعر والشعراء: ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (١٩٦٧)، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٦٦/١.

١٤- أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة،١٩٩١م، ٢٢.

١٥- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المزرباني (١٩٩٥م) تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٧٦.

١٦- الخصائص (مقدمة محمد علي النجار): أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٥٥، ٢١.

١٧- في الابداع والتلقي، الشعر بخاصة: عبد الرحمن القعود (١٩٩٧م)، مجلة عالم الفكر، مج٢، ع ٤، الكويت، ١٧٥.

١٨- في الابداع والتلقي، الشعر بخاصة: عبد الرحمن القعود، ٢٠٣.

١٩- الشعر والشعراء: ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (١٩٦٧م)، ١/، ٧٥.
٢٠- عيار الشعر: محمد بن احمد العلوي ابن طباطبا (٢٠٠٥م)، تحقيق / عباس عبد الساتر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٢٥.
٢١- المصدر نفسه، ١٢٦.
٢٢- منهاج البلغاء وسراج الادباء: القرطاجني ابو الحسن حازم ابن محمد الانصاري (١٩٨٦م)، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، ط دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان،٣١٠.
٢٣- المصدر نفسه، ١١٨.
٢٤- في مناهج الدراسات الادبية: حسين الواد، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥، ٦٦.
٢٥- في آليات النقد الادبي: عبد السلام المسدي، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٤،٣٩.
٢٦- ينظر: في مناهج الدراسات الادبية: حسين الواد، ٦٧- ٦٩.
٢٧- الشعرية والثقافة:حسن البنا عز الدين، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣، ٣٣.
٢٨- ينظر: في مناهج الدراسات الادبية: حسين الواد ، ٧٣.
٢٩- في آليات النقد الادبي: عبد السلام المسدي، ٤٢.
٣٠- في مناهج الدراسات الادبية: حسين الواد ، ٧٠.
٣١- في مناهج الدراسات الادبية: حسين الواد، ٧٧.
٣٢- دليل الناقد الأدبى اسم الكاتب: د. ميجان الرويلى وسعد البازعى الناشر: المركز الثقافي العربي - بيروت - الدار البيضاء، ١٩٥.
٣٣- التفكيك: جوناثان كالر، ترجمة: حسام نايل، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦ / ٢٠٠٥، ٨٩.
٣٤- البينوية وما بعدها من ليڤي شتراوس إلى دريدا تحرير: جون ستروك ترجمة:د.محمد عصفور كتاب عالم المعرفة - ٢٠٦ الناشر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.، ٢٣.
٣٥- البينوية وما بعدها من ليڤي شتراوس إلى دريدا تحرير: جون ستروك ترجمة:د.محمد عصفور كتاب عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ٨٧.
٣٦- المصدر نفسه: ٧٩.

المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة،١٩٩١م.

٢- البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا تحرير: جون ستروك ترجمة: د. محمد عصفور كتاب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

٣- البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٦٠.

٤- التفكير الجمالي حول نظرية التلقي عند ابن طباطبا العلوي: د. اسامة عبد العزيز جاب الله، كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ.

٥- التفكيك: جوناثان كالر، ترجمة: حسام نايل، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٦ / ٢٠٠٥.

٦- ثلاث رسائل في اعجاز القران: ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (١٩٧٦م)، ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي،، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر.

٧- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٥٥.

٨- دلائل الاعجاز: ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (١٩٨٤م)، تحقيق محمود محمد شاكر، ط مطبعة الخانجي، القاهرة مصر.

٩- دليل الناقد الأدبى اسم الكاتب: د. ميجان الرويلى وسعد البازعى الناشر: المركز الثقافي العربي - بيروت - الدار البيضاء.

١٠- ديوان كثير عزة: كثير بن عبد الرحمن بن الاسود، جمعه وشرحه، احسان عباس،ط دار الثقافة، بيروت لبنان.

١١- الشعر والشعراء: ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (١٩٦٧)، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر.

١٢- الشعرية والثقافة:حسن البنا عز الدين، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣.

١٣- عيار الشعر: محمد بن احمد العلوي ابن طباطبا (٢٠٠٥م)، تحقيق: عباس عبد الساتر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٤- في الابداع والتلقي، الشعر بخاصة: عبد الرحمن القعود (١٩٩٧م)، مجلة عالم الفكر، مج٢، ع ٤، الكويت.

١٥- في آليات النقد الادبي: عبد السلام المسدي، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٤.

١٦- في مناهج الدراسات الادبية: حسين الواد، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥.

١٧- القارئ في النص - نظرية التأثير والاتصال: نبيلة ابراهيم، مجلة فصول المصرية، مج٥، ع١، الهيئة العاملة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٩٨٤.

١٨- كتاب الاغاني: ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (١٩٣٥م)، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

١٩- معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

٢٠- منهاج البلغاء وسراج الادباء: القرطاجني ابو

الحسن حازم ابن محمد الانصاري (١٩٨٦م)، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، ط دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان.
٢١. الموشح في ماخذ العلماء على الشعراء: ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المزرباني (١٩٩٥م) تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٢٢. نظرية التلقي – اصول وتطبيقات، بشرى موسى الصالح (٢٠٠١م).

الحِجاجُ في قصيدة الفرزدق
هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وطأتهُ

Debate in Al Farazdaq's Poem.
(This is the one who knows AL:Betha'a Couragous)

م. د. جواد عودة سبهان
Dr. Jawad Odeh sabhan.

الكلمات المفتاحية : الفرزدق – الحجاج في ضوء المفهوم المعجمي والاصطلاحي – الحجة التعريفية – الحجاج القيمي – الحجاج البلاغي – الحجاج الاسلوبي – الصور الحجاجية .
Key words: the poem - debate in the light of the lexical and idiomatic concept - the definitional argument - the matronly debate - rhetorical - stylistic debate - stylistic debate - debate images.

ملخص البحث

تكونتْ هذه القصيدة من سبعة وعشرين بيتاً ، وهي على قصرها ثرّية من حيث معانيها ، ومن حيث بينتها الحِجاجية التي تستحقّ التوقف . فالقصائد لا توزن بعدد الأبيات ، وإنّما بما تحمله من معان ، وما تتضمّنه من ألفاظ ، تعكس العاطفة العقلية للشاعر .

من هنا صارت هذه (القصيدة) حاملةً مضامين قيمة عقلية ، وقوى إنجازية قولية ، وأبعاداً حِجاجية ، كل هذا تستطيع أن ننظر إليه من زاوية حِجاجية خالصة تعني بغاية الفرزدق الأساسية من نصه علّنا نتبّين للنص وحدة حِجاجية تجمع الأبيات وتؤلّف بينها .

Abstract

This poem consisted of twenty-seven verses, it is rich in terms of its meanings although it’s shortness and it’s argumentative structure,which deserves pause. The poems are not weighed by the number of verses, but rather by the meanings they carry and the words they contain, reflecting the poet’s mental emotion. From here this poem became carrying valuable mental content, anecdotal powers of achievement, and argumentative dimensions, all of this can be viewed from a purely argumentative angle concerned with the main purpose of Al-Farzdiq’s text. we hope to see an argumentative unit that collect the verses and harmonize them

المقدمة

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتهُ
والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كُلهم
هذا التقي النقيُ الطاهرُ العلمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلهُ
بجدهِ انبياء الله قد خُتموا
وليس قولك من هذا ؟ بضائرهِ
العُربُ تعرفُ من أنكرت والعجمُ
كلتا يديه غياثٌ عم نفعهما
يُستوكفان ، ولا يعروهما عدمُ
سهل الخليقة لا تُخشى بوادره
يزينه اثنان : حسنُ الخلقُ والشيمُ
حمَال أثقال أقوام إذا افتدحوا
حُلوُ الشمائل تحلو عنده نعمُ
ما قال لا قطُّ إلاّ في تشهدهِ
لولا التشهد كانت لاؤهُ نعمُ
عمّ البرية بالإحسان فانقشعت
عنها الغياهبُ والإملاقُ والعدمُ
إذا رأته قُريش قال قائلها :
إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يُغضي حياء ويغضي من مهابته
فما يُكّلم إلاّ حين يبتسمُ
بكفه خيزرانٌ ريحُهُ عبقٌ
مك كف أروع فر عرينيه شممُ
يكادُ يمسكهُ عرفان راحتهِ
رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
الله شرّفهُ قدماً ، وعظّمهُ
جرى بذاك لهُ في لوحه القلمُ
أي الخلائق ليست في رقابهمُ
لأولية هذا أوله نعمُ
من يشكر الله يشكر أولية ذا ،
فالدين من بيت هذا ناله الأممُ
يُنمى إلى ذروة الدين التي قصرت
عنها الأكفُ وعن إدراكها القدمُ
من جدهُ دان فضل الأنبياء لهُ
وفضل أمته دانت له الأممُ
مُشتقه من رسول الله نبعتهُ
طابت مغارسه والخيم والشيمُ
ينشقّ ثوب الدجى عن نور غرته
كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظلم
من معشر حُبهم دينٌ وبغضهمُ
كُفرٌ وقربهم منجى ومُتعصمُ
مُقدمٌ بعد ذكر الله ذكرُهمُ
في كل بدءٍ ، ومختوم به الكلمُ
إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمتهم
او قيل(من خير أهل الأرض؟) قيل :هم
لا يستطيع جوادٌ بعد جُودهم
ولا يُدانيهمُ قومٌ وإن كرُموا
همُ الغيوث ، إذا ما أزمةٌ أزمت
والأسدُ أسدُ الشرى والبأسُ محتدمُ
لا ينقصُ العُسر بسطاً من أكفهم
سيان ذلك : إن أثروا وإن عدموا
يُستدفعُ الشرُ والبلوى بحبُهم
ويُسترب به الإحسان والنعمُ[1]

الحِجاج في ضوء المفهوم المعجمي والاصطلاحي :
إنَّ البحث في تحليل الحجاج في قصيدة الفرزدق يتطلّب منا ضرورة تحديد مفهومين أساسيين في البحث عليهما يدور مداره ، هما : المعجمي والاصطلاحي .
المفهوم المعجمي : إن مطالعة المتون المعجمية للبحث

عن دلالة الكلمة المعجمية – للحجاج – ينشر أمامنا معاني متعدّدة لهذا المفهوم ، قال ابن منظور : ((الحُجة البُرهان وقيل الحُجة ما دُوفع به الخصم)) [٢] ، وقال الأزهري : ((الحُجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل مِحجاج أي جدل والتحاج التخاصم ... وحاجّه مُحاجة وحجاجاً نازعه الحُجة)) [٣] ، وقال الراغب الأصفهاني : ((والمحاجة أن يطلب كل واحد أن يبرد الآخر عن حجته ومحجته)) [٤].

ويفهم من الأصل اللغوي لمادة (حجج) أن الدلالة فيه على معنى القصد مرتبط بالتغلب على الخصم بما يعرض له من حجج ، وبهذا يكون الحجاج قائماً على المخاصمة والعدوان عن طريق طرفين وتقديم أحدهما الحجة (الدليل والبرهان) ليتحقّق الظفر على الخصم .

المفهوم الإصطلاحي : وحده ابو هلال العسكري بقوله : ((الحجاج هو ظهور الحجة)) [٥] ، ورأي الشريف الجرجاني أنَّ الحجاج هو : ((الحجة ما دلّ به على صحة الدعوى ، وقيل الحجة والدليل)) [٦] ، ولم يبتعد المفهوم كثيراً عند المحدثين ، فقد عدّه طه عبد الرحمن : ((كُل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها[٧] ، وبهذا المفهوم يكون الحجاج قائماً على عدم الغاء حق الآخر في التعبير عن رؤيته ، وهو عند غيره : ((تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثّل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ، وبعبارة أخرى يتمّثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية ، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها)) [٨] . ويمكن ان نجمل مفهوم الحجاج في الاصطلاح ليغدو أكبر آلية لغوية يستعملها المُرسل لاقناع المتلقي واستمالته والتأثير فيه .

فالحِجاج على وفق هذا المفهوم : هو الدليل المؤدي إلى نتيجة معينة ، ويتجسّد عبره انجاز متوازٍ من الأصول اللغوية .

اولاً : الحجة التعريفية :

وهي آلية حجاجية يسعى بها الشاعر إلى التعريف عن الشيء المراد إثبات أحقيّته ليكون حجّة على الآخر فهو ((وسيلة من وسائل إثبات الشيء ، إذ يجعل من حقيقته وماهيته دليلاً على الحكم الذي يريد إثباته لذلك الشيء)) [٩] . ونجد هذه الحجة واضحة في قول الفرزدق ، قال :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ
والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ [١٠]

فالفرزدق أراد أن يعرّف الإمام (عليه السلام) للسائل أو يذكره بأن هذا الرجل ليس بنكرة ، فهو معروف لدى مكة المكرمة كلها ومنها بيت الله الحرام ، ومواقع الحلّ ، ومواقع الإحرام ، التي تحمل في طياتها ملامح المكان الذي يستند إلى خاصية مقدسة ما لا يحلّ انتهاكه ، والذي يمثلّ حجّة قوية تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها ، فلا ينكرها العاقل ، ولا يسأل عنها الجاهلُ . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفرزدق تدرّج في أسلوب حجّة – التعريف - ، ففي البداية قال عنه بأنه مُعرّف والمُعرّف لا يعرف ، ثم انتقل إلى حجة التصريح ، فقال :

هذا أبنُ فاطمةٍ ، إن كنت جاهلهُ
بجده أنبياء الله قدْ خُتموا [١١]

فمن الملاحظ أن الفرزدق يعظّم من شأن الإمام (عليه السلام) بقوله : هذا ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين إن جهلته أيها السائل ، ولم تنتبه ، وابن محمد المصطفى وخاتم النبيين الذي ختم الله تعالى انبياءه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فتعريف الفرزدق للإمام بهذا النسب مثّلَ حجّة قوية على الخصم الذي لا

يعرف تلك الحقيقة .

ونلمح حُجة صريحة مقاربة للمعنى المتقدّم ، إذ قال :

من معشر حُبهم دينٌ ، وبُغضهمُ

كُفرُ ، وقربهم منّجى ومعتصمُ [١٢]

بنيت هذه الحجة على مقدمات هي :

١- أنّ الإمام زين العابدين – عليه السلام – من بيت من أحبهم فهو الدائن المطيع لله ولرسوله (صلى الله عليه واله)

٢- ومن أبغضهم فهو الجاحد لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه واله) الساتر لنعمهما ، الكافر بهما.

٣- ومن قُرب منهم وداداً وإتباعاً فهو الناجي الممتنع عن الآثام الكبار والصغار، والمُعتصم بعاصمِ عن الدمار .

٤- ومن بَعُد عنهم بغضاً وخلاقاً فهو الهالكُ بالذلّ والصغار الهاوي إلى النار وبئس القرار .

يسعى الفرزدق في هذه الحجة إلى بيان منزلة أهل البيت فهم سادة الأنام ، ومصابيح الظلام وكيفية الاعتصام ، وذروة الاختتام .

ثانياً : الحجاج القيمي :

اذا كانت الشيم والخصال المحببة كثيرة مشتركة بين الأجناس البشرية ، فإن لأهل البيت (عليهم السلام) تميزاً في خصال عُرفت عنهم خاصة ، لم تعرف لغيرهم ، ومن ذلك ما يتصل بالمُثل والقيم العليا التي ينتقيها المُحتج بدقة بحيث تلائم أهدافه الحجاجية . فالحِجاج اعتماداً على القيم يعني استدعاء الإحسان والتقوى والكرم والحياء والشكر واتخاذها مراجع في الحجاج إليها يستند القول وعليها يتأسس الرأي أو الموقف . لذا وظّف الفرزدق هذا النوع من الحُجج في قصيدته منها ما قاله في بيان :

أ - الكرم : الذي يُعد قيمة خلقية نبيلة تمثّل صورة الانسان المثالي وتشير إلى استعداد الانسان لبذل ما يملك ، وربما على الرغم من احتياجه إليه ، والمبادرة الى تحمّل الأعباء المادية والمعنوية التي قد يحتاج إليها الآخرون[١٣] . ومنها قوله :

إذا رأته قُريش قال قائلها

إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ[١٤]

يسعى الفرزدق في هذه الحجة – الكرم – إلى أن قريشاً هي أكرم العرب مآثر ومفاخر وفضائل فلم يُنافرها مُنافر ، ولم يفاخرها مُفاخر ، فهي مع جميع صفاتها الكمالية والمعنوية مع ذلك إذا رأت قريش هذا الذي أنكرته اعترفت له بالتقدّم والسبق والفضل ، وأقرّت له بأن مكارمه هي الأصل ، وقالت كل كرم موجود عند الناس فهو ينتهي إلى مكارمه الجبلية وسجاياه الطبيعية ، فقد بنيت حجة – الكرم – على الترجيح ، فرجّح الفرزدق كرم الإمام على كرم قريش التي هي أكرم العرب .

ب – حجة الحياء :

الحياء قيمة خلقية عليا ومن شأن الحياء ((أن يمنع المرء من فعل أي شيء لا يتفق مع الأخلاق الكريمة والسلوك الحميد)) [١٥] . وهذا يعني ان الحياء شعور داخل النفس يمنع الانسان من فعل القبيح ويبعث على ترك ما يُعاب عليه ويُلام . لذا اعتمد الفرزدق على هذه الحجة (الحياء) ليتخذ منها دليلاً وحجة في قوله :

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته

فما يُكلم إلاّ حين يبتسمُ[١٦]

يبني الفرزدق حجته على الجمع بين الحياء والعظمة ، فهو يُغضي ويُرخي أجفان عينيه حياءً من الحاضرين

، والحاضرون يغضّون ويُطرقون إلى الأرض عظمة له وهيبة منه ، وإصغاء اليه ، فيظلّ من أراد سؤاله حائراً بين دافع ارادة السؤال وبين مانع هيبة الجلال ، فاذا تبسّم في وجه الرجل أفرخ روعهُ ، وأسكن وجَله فيتكلم وهو لا يُكلم من الإعظام إلاّ عند الابتسام . فحجة الفرزدق قائمة على أساس الجمع بين الحياء والهيبة ، فإن الحياء لإيهاب وبالعكس الهيبة ..

ج – حجة التقوى :

وهي حجة قائمة على بُنية منطقية واضحة ، اذ يسعى المحتج إلى إقناع المتلقي بيان قوله كونها (التقوى) تُعدّ فضيلة أخلاقية إسلامية ، والمراد بها أن يتقي الانسان ما يغضب ربه وما فيه ضرر لنفسه او إضرار لغيره ، فالتقوى في أصل معناها جعل النفس في وقاية ، ولا تجعل النفس في وقاية إلاّ بالنسبة لما يخاف ، فخوف الله أصلها ، والخوف يستدعي العلم بالمخوف ، ومن هنا كان الذي يعلم الله هو الذي يخشاه وكان الذي يخشاه هو الذي يتقيه . ومن توظيف الفرزدق لهذه الحجة ما قاله : (هذا التقيُ) [١٧] . اذ جاء باسم الإشارة (هذا) وهو الاسم الذي يدلّ على القريب ، بخلاف ذلك وذاك وتلك ، فهي السماء إشارة للبعيد ، وذلك للدلالة على أن هذا الذي تسأل عنه هو التقي المحاذر عصيان الله في جميع أفعاله وأقواله حتى صار تُقاهُ خليقةً وسجية له من خير الخلائق ، أي لا يجده الله إلاّ طائعاً ، ولا يراه عاصياً ، بل هو على درجة عالية من التقوى ، وهو بهذا اتخذ من هذه الصفة حجة على السائل ودليلاً ملموساً .

د- حجة الإحسان :

يقوم هذا النوع من الحِجاج على مبدأ منطقي وهو أن شُكر صاحب الإحسان خُلق حسن يرتضيه العقل وتطمئن إليه النفس ، فهذه الحجة قائمة في جوهرها على التفضل والإنعام ؛ لأن الاحسان جامع لكل خير وقد وظّف الفرزدق ذلك للردّ على السائل ، قال:

عم البريّة بالإحسان فانقشعتْ

عنها الغياهبُ والأمِلاق والعدمُ [١٨]

سلّط الفرزدق الضوء على فكرة غاية في الأهمية وهي أن الإمام هنا ذو خير على البرية جمعاء ومن إحسانه انتشرت قيم العلم ، وتراجعت حالات الجهل (الغياهب) والفقر (الامِلاق) والتخلف (العدم) ، لذا جاءت حجته منطقية مستندة الى شمول الخلائق بمحاسن المعروف والاحسان ، والفضل والامتنان ، وكانوا على ثلاثة أقسام قسم يستتر من غُرمائهِ ، وقسم أتلف الدّهر ما عنده من نعمةٍ وشأن وعقار ونماء ، وقسم عديم المال لم يُعرف فقرهُ من غنائه ، وكُلهم في كرب مُدلهمّ وغشاوة من همّ وغمّ ، فلّما شملهم بالإنعام أزال عنهم ذلك كما تكشف الريحُ الغمام .

ثالثاً : الحِجاج البلاغي :

تُعدّ البلاغة وسيلة من وسائل الحجاج بسبب اعتمادها على استمالة المتلقي والتأثير فيه عن طريق توظيف الحجاج بالصور البيانية والأساليب الجمالية فتكون قادرة على الاضطلاع بدور حجاجّي هام ، ومنها :

أ – الاستعارة الحجاجية :

تمثّل الاستعارة وجهاً بلاغياً يشكّل نوعاً من الحجج المؤسسة لبنية الواقع[١٩] ، وبها يهدف المتكلم توجيه خطابه لتحقيق أهدافه الحجاجية ، فهي الاكثر تأثيراً من بين الوسائل اللغوية وعلة ذلك لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية[٢٠] . ومن أمثلتها قول الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتهُ
والبيت يعرفهُ والحلُّ والحرمُ [٢١]

فإثبات الحجة على الخصم جاء مبنياً بصورة فنية لافتة ، تتمثّل في الاستعارة المكنية التي تتمثّل في جعل الأرض والكعبة على هيئة بشر ذات معرفة وذاكرة ، التي تعرف (وطأة) الإمام -عليه السلام - ، وهي الجماد ، ولم يقل باللفظ من خارج مكة ؛ لانه من سكان المدينة المنورة ، والحرم يعرفه ايضاً لأنه ملتزم بشعائر الله ، فلا يدخل مكة إلاّ محرماً ، والبيت يعرفه أيضاً ؛ لأنه يأتي مكة المكرمة للتجارة مع الله جل وعلا ، لا لغرض آخر .

وحجّته الأخرى قوله :

يكاد يُمسكه عرفان راحتهِ
وركن الحطيم اذا ما جاء يستلمُ [٢٢]

فحجّة الفرزدق جاءت على وفق الاستعارة المكنية اذ استعار كلمة المسك (القبض) إركن الحطيم وهي من مختصّات البشر ، في حين وظّفها الفرزدق إلى حجر الكعبة أو جداره . وهنا حجة جميلة ، تكمن في العلاقة الحميمة بين الإمام (عليه السلام) والحجر الأسود ، هذا الحجر صار يملك عاطفة وشعوراً كبيراً بالمودة أو بالسعادة حينما يأتي الإمام (عليه السلام) لكي يستلم .

ب – الاستفهام الانكاري :

وهو من أنواع الاستفهام المجازي يوظّفه الشاعر لينكر على المتلقي إنكاره لأمر واضح لا شك فيه ، ويأتي ذلك عن طريق تنبيهه (حتى يرجع إلى نفسه ، فيخجل أو يرتدع عن فعل ما همّ به) [٢٣] . ومنه (التوبيخ) الذي يعدّ عملية إنكار فعل الآخر؛ لأنه لا ينبغي ان يصدر منه ، فيتمّ محاججته عن طريق لومه بشدة على فعله ومن ذلك ما قاله الفرزدق منكراً ، وموبخاً السائل :

وليس قولكَ من هذا ؟ بضائرهِ
العُربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ [٢٤]

فالإستفهام هنا جاء توبيخاً للسائل بأن قول : (منْ هذا) ، ليس سؤالاً استفهامياً ، بقدر ما هو سؤال استنكاري ، فإن هذا المسؤول عنه اذا كان معرفاً بهذه التعريفات السامية ، وبهذه الأوصاف الباهرة الزاهرة من كونه إبن خير الورى وابن فاطمة الزهراء ، وإنه معروف في مكة المكرمة وما والاها والبطحاء وما علاها معرفة دونها معرفة العلم ومعلوم ذلك لدى العرب والعجم في الحل والحرم فسؤالك عنه يكون نقصاً لك لا له ، ومعرفتك به تنفعك وترهصه ، وتزيده ثباتاً واستقراراً .

ومن ذلك ايضاً ما نتلمسه في قوله :

أي الخلائق ليستْ في رقابهمُ
لأولية هذا ، أولـهُ نِعمُ [٢٥]

لقد قدم الفرزدق لحته بمقدمة تمثلت في تعريف الإمام –عليه السلام- ، وبيان منزلته ، فإن هؤلاء المعشر ليس أحدٌ من الخلائق من الملائكة والإنس والجن وغيرهم من سائر من خلق الله تعالى إلاّ وفي رقبته نعمة بل نِعم جمّة وفضل جسيم لآباء هذا الإمام ، وبذلك حقّق عنصري المستجابة والإثارة في ذهن السائل ، فيجعله متشوّقاً إلى معرفة وجه الصواب في مكانته عن طريق تحوّل المعنى اللغوي للاستفهام إلى معنى مجازي يفيد (التعظيم والتفخيم) لفضائل الإمام –عليه السلام - ، وبيان منزلته الدينية على هذا النحو ندرك قدرة السؤال على الاضطلاع بدور حجاجّي في سياق ما مع تعويل السائل على الضمني المتخفي وهو ما يجعل السؤال المطروح غير بريء إنه يثير اشكالاً كما رأينا ويوجّه المتلقي إلى وجهة محدّدة يقصد إليها المتكلم قصداً[٢٦] .

ج – الجنـاس الناقص :

وسيلة مهمة من وسائل الحِجاج إذ يعاضد المعنى الذي

يقصده الأديب مّما يثير تصورات موحية في مخيلة المتلقي[٢٧] ، وقد عمد الفرزدق إلى هذا الأسلوب ؛ فقال :

يُغضي حياءً ويغضى من مهابتهِ

فما يُكلمُ إلاّ حين يبتسمُ [٢٨]

فالتجانس الناقص قد حصل بين (يُغضي ، ويُغضى) ، إذ تشابهت في عدد الحروف ، وهيأتها وترتيبها ، واختلفت في الحرف الأخير ، هذا من حيث المبنى ، أمّا المعنى فهناك اختلاف تام في دلالة كل منهما ، فأراد بـ (يُغضي) : أنه شديد الحياء ، وأنه قد أنكس رأسه للطرف الآخر ، أمّا (يُغضى) : فتعني ان الآخر هو الذي أغضى[٢٩] .

فقد ساعد هذا الجناس الفرزدق في تنويع مفرداته ، والتفنن في صياغة المعنى مّما زاد في التكثيف الحِجاجي في ذهن المتلقي وذلك عن طريق المفارقة التصويرية ، فهو يُغضي ويُغضى في آن واحد ، عدا أنّه حين يُغضي (حياءً) ليس من ضعف ، ويُغضى لهيبته ، وليس لتسلّط وجبروت .

د- التشبيـه :

وهو من الفنون البيانية المعتمدة في تكوين الصورة ، وذلك لما يحدثه من أثر بالغ في الحجّة عن طريق اخراجه الخفي إلىّ ، مّما يزيد المعنى رفعة ووضوحاً لتحقيق أهدافه الحجاجية . وهذا ما يُعطي الحُجة وفرة دلالية تقوم على صورة تشبيه يتوّخى الشاعر توصيلها للمتلقي لحمله على الإذعان لفعل ما وهذا ما تمثّل به الفرزدق في قوله :

كلتا يديه غياث عمّ نفعُهما

يستوكفان، ولا يعروهما عدمُ [٣٠]

يواصل الفرزدق عرض حجج أخر ، فيقول : كُل يدٍ من يدي الإمام (عليه السلام) غياثُ لمن استغاث بهما من العُسرى ، ونفعهما عام له ولغيره من الأنام فأنّهما لا يزالان يقطران ويمطران بالجود والإكرام ، كما يقطر السحاب ، ويمطر الغيث ، ولكن لا يعرض عليهما ما يعرض على الغمام من الفقدان والانعدام ولكي يُعضد هذه الحجج يأتي بحجة تمثيلية يستدلّ بها على كرم الإمام (عليه السلام) فيستعمل التشبيه البليغ حيث وصف يدي الإمام –عليه السلام- بانهما (مطر) فكلتا يديه غياث – مثل المطر ، الكل يطلب عطاءهما ، ومع ذلك لا يتوقف هذا العطاء ، فقد ذكر وجه التشبيه وهو عموم النفع و شمولية الطلب ، وعدم التوقّف عن العطاء . وبذلك ازدادت الصورة تأثيراً وتمّت طاقتها الحِجاجية فالتشبيه البليغ أقوى حِجاجياً من العادي . ويتمثّل التشبيه البليغ هذا أيضاً في قوله :

هُم الغيوث ، اذا ما أزمة أزمتْ

والأسُدُ أسدُ الشرى والبأسُ مُحتدمُ [٣١]

فالمراد من هذا التشبيه هو تبيان منزلة – هؤلاء المعشر- فهم كغيوثٍ تمطر في كل محل وقت المحل ، وقحط السنين ، وكالأسود يحذرها كل أحدٍ عند اشتداد الحرب بالقتل ، وجمع الفرزدق بين الكرم والشجاعة يُعدّ من محاسن الحجج التي يشكّلها النص للتأثير في المخاطبين ، سعياً إلى حملهم على الإذعان لدعواه مّما يوضّح المقصد ويجلي الغاية الحجاجية .

أمّا الأنموذج الثالث فتشبيه يلجأ إليه الفرزدق ، وهو أرقى وسائل الحجج البلاغية ؛ وذلك حين يشبه الامام –عليه السلام- بالشمس التي متى أضاءت تجلّت الظلمة لضوئها :

ينشقُ ثوبُ الدجى عن نور غرّتهِ

كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظّلمُ [٣٢]

إنه لتشبيه يقوم على اعتراض من يُنكر ؟ فوجه هذا

الامام –عليه السلام- منير الوسام ، ينزاح عنه الظلام ، فكأن إنشاق ثوب الظلام ، وانقطاعه منه انشقاق القتام ، وعن نور الشمس على الأنام ، اذا بزغت بعد الظلام .

ولعل أهمية الطاقة الإقناعية الكامنة في هذه النماذج هي التي تفسّر تواترها في الإمام –عليه السلام- وتبرز تفنّن الفرزدق في إجرائها على أنحاء شتى .

هـ - الحجة القائمة على الثنائية الضدية :

يقتضي مبدأ التضادّ قاعدة في التعامل مع المتضادين اذ (هي الجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة) [٣٣] . وهي علاقة منطقية خالصة والحجة فيها تستند الى أمرين متضادين وتقنية التضاد هذه جلية في قول الفرزدق :

مُقدمُ بعدَ ذكرِ الله ذكرُهمُ

في كل بدءٍ ومختوم به الكلمُ [٣٤]

فقد طابق الفرزدق ضمنياً في عجز البيت بين وضعيتين او بالأحرى بين علاقتين (بدءٍ – ومختوم) . علاقة الذكر المقدّم بعد ذكر الله سبحانه وعلاقة ختام الكلام وهي حجة مقنعة ؛ لانها تحتكم إلى مبدأ منطقي هو التضادية وبناء على هذا التضاد أصدر الفرزدق حكمه بأن هؤلاء المعشر لهم ذكر في المدح والحمد يقع تلو ذكر الله تعالى ، فذكرهم مُقدّم على ما سواه من الكلام في ما يبدأ به ، او يُختتم به ، او هو مختوم به ايضاً بعد ذكر الله سبحانه ، فإنك لا تجد مُتكلماً أو خطيباً أو كاتباً أو مصلياً إلاّ وذكر الله تعالى بما هو أهله ، وأردف ذكرهم عليهم السلام بما هم أهله ، كما وإنك لا تجد منتهياً لآخر فعله إلاّ وحمد الله تعالى على الإتمام وأعقب ذلك بالصلاة عليهم . وشبيه ما تقدم نجده في قوله :

لا يُنقص العُسر بسطاً من أكفهمُ

سيَان ذلك إنْ أثروا وإن عدموا [٣٥]

تعتمد هذه الحجة في واقع الأمر قواعد التضادّ فتشكّل خلفيتها التضادية طاقة حجاجية تُعدّ معيناً اقناعياً وهو أمر بيّنه الفرزدق في قوله (أثروا – عدموا) .

فقد احتكم إلى مبدأ منطقي هو التضادّ فإن هؤلاء المعشر تبسطوا أيديهم للعطاء في كل الأوقات ، في حالتي (الإعسار – الإيسار) فسواء عندهم الثروة والفقدان ، بحيث لا يستطيع فقدان الثروة أن يمسك الأيدي من ذلك البسط ولا يطيق ذلك ولا حاوله قط .وغير بعيد عن هذا يأتي بحجة أخرى تتمثّل في قوله :

منْ معشرٍ حُبهم دينٌ ، وبغضهمُ

كُفرُ، وقُربهم منجى ومُعتصمُ [٣٦]

فحجة الفرزدق قائمة على أساس العلاقة التضادية بين (الحُب – والبُغض) بمعنى – الوداد والكراهية – بوصفها أبرز آلية بلاغية يستعملها لإقناع المتلقي (السائل) واستمالته والتأثير فيه فالإمام –عليه السلام- من بيت من أحبّهم فهو الدائن المطيع لله تعالى ورسوله ، ومن أبغضهم فهو الجاحد لله تعالى ولرسوله ، ومن قرّب منهم وداداً واتباعاً فهو الناجي الممتع عن الآثام ، والمعتصم بعاصمٍ عن الزلل ، ومن بعد عنهم بغضاً وخلافاً فهو الهالك بالذل والقفار ، فها هنا لا يكتفي الفرزدق بالنظر إلى فعل إلقاء الحجة إلى السائل ، واقفاً عند حدود ما يوجب عليه من حجج ، بل يتعدّى ذلك الى النظر في فعل المُتلقي بوصفه هو نفسه أول متلقٍ لما يلقى ، فيبني حججه أيضاً على مقتضى ما يتعيّن على المستدلّ له أن يقوم به ، مستبقاً استفساراته واعتراضاته ، ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها ومستكشفاً إمكانات تقبّلها وإقناع المخاطب . وعليه فهي حجة – اشتمال – تقوم على مبدأ ما ينسحب على الكل ينسحب على الجزء من الكل[٣٧] .

و – الكنايـة :

وهي مبدأ حجاجي آخر يستثمره الفرزدق في كشفه عن حجاجية الخطاب ، لأنها حقيقة يستتر بها المجاز ولعل هذا ما جعل القزويني يعدّها أبلغ من الحقيقة[٣٨] . فالصور الكنائية حاملة للحجج ، ومحملة بطاقة إقناعية تبني في أغلب الأحيان على الضمني لا على المصرّح به ، من هنا ندرك أهمية الكناية من الناحية الحجاجية ولمّا كان الكلام إثارة الكناية او استدعاء لها فأنه يولّد بالضرورة نقاشاً ومن ثمة حجاجاً فاذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق واذا بالحجاج ماثل في كل نوع من أنواع الخطاب وذلك على نحو قوله :

بكفهِ خيزران ريُحهُ عبقُ

من كفّ أروع في عرنينه شممُ [٣٩]

فصورة الأروع – هنا- جاءت لتخبرنا أن من روعه حسنه ، وبهائه ، وهيبته ، فقد يكون كناية عن الرفعة والإباء والتعظيم والتفخيم ، فمن دواعي الكناية التعظيم والتفخيم[٤٠]. والإتيان بهذه الصورة كان مقصوداً ولعل السبب هو تصوير المكانة التي يكون عليها الامام –عليه السلام- . ومن الحجج الكنائية التي لا يُبعد فيها المعنى الحقيقي عن المعنى الكنائي ولا العكس ما جاء في قوله :

لا يستطيعُ جوادُ بعد جُودهمُ

ولا يُدنيهم قوم وإنْ كُرمُوا [٤١]

فهنا نلحظ الفرزدق يرسم صورتين . فالصورة الاولى (جواد بعد جودهم) . وبذا تكون صورة البُعدية قد وظّفت توظيفاً كنائياً عن تعسّر الوصول إلى الفائدة المقصودة . وهذه الثنائية هي أيضاً محقّقة في الصورة الثانية من قوله : (ولا يُدنيهم قومُ وإن كرمُوا) ، لأن هؤلاء المعشر قد بلغوا من الفضل أقصاه ، ومن الكرم منتهاه ، حتى لو أن الجواد أراد أن يُدرك بُعد جودهم لم يستطع ، ولو رام أحد من الناس أن يقاربهم في العلو والشرف لم يصل ويعود مُتعثراً . وهذه الحجج لم يمكن القول بتحقيقها لولا – الكنائية- ، فهي التي عملت عليها ووضعت أحد ثياتها .

رابعاً : الحجاج الأسلوبي :

لاحظنا – ونحن ندرس الحجاج في قصيدة الفرزدق – اضطلاع الأساليب بدور هامّ في العملية الحجاجية إذ كثيراً ما تبنى الحجة بأسلوب ما ، وكثيراً ما تعضد الأساليب حججاً قائمة على إثارة المشاعر لأن ؛ ((إثارة المشاعر ركيزة كثيراً ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي)) [٤٢] ، وأول تلك الأساليب ، أسلوب التعبير بالجملة الفعلية ، وقد غطّى هذا الأسلوب مساحة كبيرة من القصيدة إيماناً من الشاعر بأن اللغة ليست وسيلة تواصل فحسب ، بل إنها ايضاً أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع ، وهذا ما نلمحه في القصيدة ((تَعِرفُ – كنتَ – خُتمُوا – ليس – أنكرتَ – امتدِحُوا – تحلوا – قال – كانت – انقشعت – يُغضي – يكادُ – يُكلّمُ – جرى – يشكر – يُنمي – دانتْ – طابتْ – ينشقُ – قيل – يستطيعُ وغيرها)) [٤٣] . فهذه المجموعة من الجملة الفعلية أسهمت مجتمعة في رسم صورة حجاجية لذا تُعدّ طاقتها الحجاجية هامّة ؛ لانه ينجز حجاجاً خاصاً ويبني بالكلام عالماً متميزاً ، ومعلوم أن الفعل يفيد دلالة تجدّد الحدث[٤٤] ، وقد أفاد اختيار الأفعال هذه الدلالة ، وأحتجّ الفرزدق كذلك بالجملة الاسمية ، نحو قوله :

- هذا الذي ...
- هذا ابنُ خير ...
- هذا ابنُ فاطمة ...
- هُم الغيوث ...

لدلاتها على الثبوت والدوام[٤٥] ، وهو ما يحقّق الغرض

المقصود من هذه الابيات ، ولذلك لا نجانب الصواب حين نعدّ هذا الأسلوب مرتكز الفرزدق في الإقناع ؛ لأنه يهدف إلى توجّه المتلقي إلى معرفة معيّنة تحدّده أطروحاته ومبادئه . ويلجأ الفرزدق إلى استعمال الجملة الشرطية في التعبير عن الحجاج نحو قوله :

إنْ عُد أهلُ التقى كانوا أئمتهمْ

او قيل:من خيرُ أهل الأرض قيل هُمُ

لا يستطيعُ جوادُ بعد جودهم

ولا يدانيهم قومُ وإن كُرموا

لا ينقصُ العُسرُ بسطاً من أكفهمُ

سيّانِ ذلك إن أثروا وإن عدموا[٤٦]

وأهمية الجملة الشرطية في هذا الموضع تتأتى من قدرة أداة الشرط على الربط بين جملتين ، ربطاً بجعل معنى الجملة الثانية متصلاً بمعنى الجملة الاولى ، وتكون الأداة بمنزلة الرابط بين قولين او بين حجّتين ، وتستند لكل قول دوراً محدّداً داخل النص الحجاجي .

خامساً : الصور الحجاجية :

وسيلة المحتج في نقل أفكاره (الحجج) وأحاسيسه ، وتجربته الشعرية إلى المُتلقي عن طريق اللغة[٤٧] . فهي سمة من السمات المهمة في الخطاب الحجاجي ذات المنزع الاقناعي التي تسهم في بناء حجاجية النص ، كل هذا نستطيع ان ننظر اليه من زاوية (الصورة الشمية) ، في قوله :

بكفه خيزرانُ ريحُهُ عَبقُ

من كفّ أروع في عرنينه شممُ[٤٨]

تمكّن الفرزدق في هذا البيت من رسم صورة حسية حجاجية قائمة على توظيف حاسة الشمّ في بنائها ، فتولّدت معطياتها في الذهن عن طريق خلق علاقات جديدة بين الألفاظ ودلالاتها ، فـ (بكفه خيزران) ، و (ريحهُ عبق) شكّلا صورة شمية أراد من خلالها الإفصاح عن ما بكفّه خيزران ريحها طيب ، من كفّ أروع في الحسن والبهاء والهيبة ؛ لأن (العبق) [٤٩] : هو الذي تفوح منه رائحة الطيب ، وهو ما يدرك عن طريق حاسّة الشمّ لدى الانسان . على هذا النحو ندرك قدرة الصورة الشمية على الاضطلاع بدور حجاجي لما تحمله من طاقة اقناعية هائلة .

ومن الصور الحجاجية ، الصورة الذهنية التي تتشكّل عن طريق جُهد الذهن ، وصنعة العقل ، ومساعدة الخيال ، فيتمّ الانتقال فيها من المفهوم الحسّي إلى المفهوم التجريدي[٥٠] ، فلا يمكن إدراكها عن طريق إحدى الحواس ، وإنّما عن طريق العقل والتفكير . وقد أوصل الفرزدق هذه الفكرة بصورة فيه لافتة ، تشمل في قوله :

عمّ البرية بالإحسان فأنقشعت

عنها الغياهب والإملاق والعدمُ[٥١]

صاغ الفرزدق في هذا البث صورة ذهنية حجاجية اعتمد في بعض جزئياته على مظاهر حسية لا يمكن حملها على الظاهر ، وإنّما على التأويل الفعلي لمعانيها فـ (الإحسان ، الغياهب ، والإملاق ، والعدم) جميعها مدركات عقلية لا يمكن إدراك آثارها عن طريق الحواس ، وإنّما عن طريق العقل والخيال . فهي صورة مركّبة اعتمد الشاعر الموازنة في بناء أجزائها ، متوخياً الدقة في تصويرها ، والتأثير في دلالتها الحجاجية .

وبناء على ما تقدم نجد أن القصيدة قد حكمت منذ بداياتها بهاجس واحد او بغاية واحدة هي في مجموعها تحتوي على وحدة موضوعية تناولت سيرة الإمام علي بن الحسين زين العابدين –عليه السلام- ، وأكدت أن عظمته جاءت من عمق علاقته بالله –عزَّ وجَّل- اولاً ثم اشتقاق نبعته من نبعة رسول الله (صلى الله عليه واله) ،

وهي غاية وجهت كل أقسام القصيدة ومعانيها ، ولوّنت صورها وأساليبها على نحو يجيز لنا القول بوحدة حجاجية ، وترابط حجاجي وثيق حلّلناه في أكثر من موضع ، بل إن القدرة الحجاجية جليّة إذ مكّنت الفرزدق من رسم صورة حجاجية معيّنة بها يتقدّم وعليها يسير .

سادساً :

١- توظيف التكرار في الحجاج :

يُعدّ رافداً أساسياً من روافد الحجج التي يقدّمها المتكلم من أجل تأكيد أطروحته التي ألقاها ، بمعنى أنه يوفّر لها طاقة مضافة تحدث أثراً جليلاً في المتلقي وتساعد على نحو فعّال في إقناعه او حمله على الإذعان[٥٢] ، وهذا ما بيّنه الفرزدق في قوله :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتهُ
والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كُلهمُ
هذا التقي النقيُ الطاهرُ العلمُ
هذا ابن فاطمةِ ان كنت جاهلهُ
بجدهِ أنبياء الله قد خُتموا
وليس قولك من هذا ؟ بضائرهِ
العُربُ تعرفُ من أنكرت والعجمُ
إذا رأته قريشُ قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
أي الخلائق ليستْ في رقابهُمُ
لأولية هذا ، أولهُ نعمُ[٥٣]

حينما ابتدأ الفرزدق بمدح الإمام ، جاء بتكرار اسم الإشارة (هذا) وهو الاسم الذي يدلّ على القريب ، بخلاف ذلك ، وذاك وتلك فهي أسماء إشارة للبعيد ، وذلك للدلالة على أن الإمام (عليه السلام) قريب من الناس ، وكأن الفرزدق أراد الإشارة إلى جهل السائل ، أو تعمّده الجهل ، بدليل انه لم يعرف هذا الإمام –عليه السلام- الذي هو ابن خير عباد الله كلهم ، أي ابن رسول الله ، فضلاً عمّا يحدثه التكرار من قيم حجاجية بليغة تخرجه من أبعاده الدلالية المحددة إلى تأدية دلالات حجاجية جديدة لا تؤديها اللغة بمفردها من غير هذا التركيب التكراري للدلالة على تعظيم الإمام ، وزيادة التنبيه والتأكيد عليه ، ولتطرية السامع[٥٤] ، فالتكرار جاء لتأكيد حجج الفرزدق وإقرارها في النفس . على أننا نظفر بهذا التكرار اللفظي في سياقات أخر منها سياق التعظيم على نحو قوله : (عباد الله) ، (أنبياء الله) ، (من يشكر الله) ، (رسول الله) ، (ذكر الله) ، (الله شرّفهُ) ، والثاني سياق التعريف والفضل : (تعرف البطحاء) ، (العُربُ تعرف) ، (فضل الأنبياء) ، (فضلُ أمته) ، (أو قيل من خير أهل الارض قيل هُمُ) [٥٥] .

نلحظ أن للتكرار بهذه الأشكال المختلفة وقعا في القلوب وأثرا بليغا في الأسماع والأذهان مّما يجعله رافداً مهمّاً للحجاج يؤثّر إيجاباً في طاقة الكلام الحجاجية .

٢- توظيف الترصيع في الحِجاج [٥٦]

يعمل الترصيع على تكرار نفحة لحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر ، بل ان توظيفه يقوّي كل حجة بالحجة الأخرى . وقد وظّفه الفرزدق في الاحتجاج على من لم يعرف حق الإمام –عليه السلام- ومنزلته ، قال :

من معشر حُبهم دينُ ، وبغضُهم
كُفرُ، وقرْبهم منجى ومُعتصم [٥٧]

فالترصيع عمل على ربط مجموعة من الحجج وهي :

- من معشرِ حُبهم دينُ
- وبعضهم كُفرُ
- وقربهم منجى

فالألفاظ (حُبهم ، وبغضهم ، وقُربهم) تتشابه في الحرف الأخير منها ، فتولّد عن ذلك تنغيما موسيقيا يتكرّر إيقاعه في أذن المتلقي في مُدد زمنية متساوية (فإذا ردّد المحتجّ لفكرة حجة ما أدركت مراميها وبانت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقي) [٥٨] .

وبناءً على ما تقدّم نجد أن كلها حجج تؤدّي إلى نتيجة واحدة ، وهي ان منزلة أهل البيت عند الله كبيرة ، وهم مخصوصون بالطاعة والولاية فمن أحبّهم فهو الدائن ، ومن أبغضهم فهو الجاحد لله تعالى ولرسوله .

الخاتمة

١- وظّف الفرزدق الحجج التعريفية ، والقيمية ، والبلاغية ، والأساليب الحجاجية ، والصور الحجاجية ، التي تقوم على تطوّر الطاقة الاقناعية في الكلام ، وبذلك الغاية المبتغاة من الحجاج .

٢- استعمل الفرزدق الاستدلال العقلي في تحريك الذهن وتشويقه نحو معرفة الغاية الأساسية من حججه ، لذا نجد أن إقحامه لخصمه وإقراره بتلك الحجج ما هو إلاّ دليل واضح على عدم مقدرته نكران ما استند إلى العقل والمنطق .

٣- كشفت الدراسة عن أن قصدية الفرزدق من تلك الحجج إخراج السائل من دائرة النكران الحاصل إلى دائرة المعرفة ، التي تضفي على النص بُعداً حجاجياً من حيث الكشف عن حقيقة المغالطات القولية ، وهو ممّا يؤثّر إيجاباً في طاقة الكلام الحجاجية .

٤- لم يقتصر الفرزدق في حجاجه على غاية محدّدة ، وانّما جاءت حججه لغايات عدة ، فتارة تكون تعريفية ، القصد منها أن يعرّف السائل بالإمام –عليه السلام- بأنه مُعرّف والمُعرّف لا يُعرّف ، وأخرى قيمية قصده منها تحقيق دلالات قيمية تؤدي وظيفتها الحجاجية ، وتدعو لتحريك وجدان الإنسان لملامسة عالم الفضيلة .

٥- سعى الفرزدق جاهداً على تحقيق التعادل بين وسائل الاقناع وآليات التأثير ، وجعل من الأولى الجوهر الأساس ومن الثانية العرض المعين والمدعم للأولى .

٦- أكد الفرزدق على ضرورة قيام الحجاج على مبدأي المعقولية والاقناع مرتبطة لديه بغاية إنسانية أسمى وهي تحقيق الحرية الإنسانية .

٧- إنّ طبيعة التوظيف الحجاجي لآليات الاقناع مثلّت مرتكزاً قامت عليه دفوعات الفرزدق عن الإشكالات المبثوثة تجاه بعض الأسئلة .

الهوامش

١- الديوان / ٣٦٣ ــ ٣٦٥ .
٢- لسان العرب ، ابن منظور : مادة (حجج) ، وينظر: العين : خليل بن احمد : مادة (حجج) .
٣- م. ن : مادة (حجج) ، ٢٥٩ .
٤- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني : ١٥٥ .
٥- الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري : ١٢٢/١ .
٦- كتاب التعريفات ، الشريف الجرجاني : ٨٢/١ .
٧- اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن : ٢٢٦ .
٨- اللغة والحِجاج ، ابو بكر العزاوي : ٢١ .
٩- الحجاج في النص القرآني ، سورة الانبياء إنموذجاً ، إيمان درنوني : ١٤٣ .
١٠- الديوان : ٣٦٣ .
١١- م. ن : ٣٦٣ .
١٢- م. ن : ٣٦٤ .
١٣- ينظر: القيم الاخلاقية في الشعر العربي ، د. توفيق الفيل ، مجلة العربي : ٦٤ .
١٤- الديوان : ٣٦٤ .
١٥- قيم منسية : د. محمود زقزوق : ٢ .
١٦- الديوان : ٣٦٤ .
١٧- م . ن : ٣٦٣ .
١٨- م . ن : ٣٦٤ .
١٩- ينظر: اللغة والحجاج ، د. ابو بكر العزاوي : ١٠٨ .
٢٠- ينظر: المحاسن والاضداء ، الجاحظ : ٨١ .
٢١- الديوان : ٣٦٣ .
٢٢- م . ن : ٣٦٤ .
٢٣- المحسن والأضداد : ٨١ .
٢٤- الديوان : ٣٦٣ .
٢٥- م . ن : ٣٦٤ .
٢٦- ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، د. سامية الدريدي : ١٤٥.
٢٧- ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : ٢٨٤ .
٢٨- الديوان : ٣٦٤ .
٢٩- لسان العرب : مادة (غضض)
٣٠- الديوان : ٣٦٣ .
٣١- م .ن : ٣٦٤ .
٣٢- م. ن : ٣٦٤ .
٣٣- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع : ٣٤٨ .
٣٤- الديوان : ٣٦٤ .
٣٥- م. ن : ٣٦٥ .

٣٦- ينظر: قصيدة الفرزدق شرحها وتخاميسها ، سلوان علي الصابري ، ٦٣ .
٣٧- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع : ٣٤٨ .
٣٨- ينظر: في البلاغة العربية علم البيان ، د. حسن البنداري : ١٦٧ .
٣٩- الديوان : ٣٦٤ .
٤٠- ينظر: في البلاغة العربية علم البيان ، د. حسن البنداري : ١٦٩ .
٤١- الديوان : ٣٦٤ .
٤٢- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ١٤٠ .
٤٣- الديوان : ٣٦٣ ، وينظر : ٣٦٤ ــ ٣٦٥ .
٤٤- ينظر: معاني الابنية في العربية ، د. فاضل السامرائي : ٩
٤٥- م . ن : ٩
٤٦- الديوان ٣٦٤ ــ ٣٦٥
٤٧- ينظر: الصورة الأدبية في القرآن الكريم : د. صلاح الدين عبد التواب : ١٨ .
٤٨- الديوان ٣٦٤ .
٤٩- لسان العرب : مادة (عبق) .
٥٠- ينظر: دلالة الألفاظ ، د. ابراهيم أنيس : ١٠٢ .
٥١- الديوان ٣٦٣ .
٥٢ ينظر: اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن : ٢٢٦ .
٥٣- الديوان : ٣٦٣ ــ ٣٦٤ .
٥٤- ينظر: الصاحبي (كتاب في فقه اللغة) ، لأبي الحسن احمد بن فارس : ٣٥١ .
٥٥- الديوان : ٣٦٣ - ٣٦٤ .
٥٦- هو : ان يكون حشو البت مسجوعاً ، ينظر: البديع في نقد الشعر :١١٦ .
٥٧- الديوان :٦٤ .
٥٨- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ٦٨ .

المصادر والمراجع

اولاً :

١- البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) ، تحقيق : د. أحمد أحمد بدوي ، ود. حامد عبد المجيد ، مراجعة : ابراهيم مصطفى ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، الإدارة العامة للثقافة ، الجمهورية العربية المتحدة ، د. ت .

٢- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، أبو عبد الله جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٥.

٣- جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي هلال ، ط١ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٤- الحِجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠١١م .

٥- دلالة الألفاظ ، د. ابراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الإنجلو المصرية ، مصر ، ١٩٨٤.

٦- ديوان الفرزدق ، كرم البستاني ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

٧- الصاحبي (كتاب في فقه اللغة) لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٥٩٣هـ) تحقيق : الشيخ أحمد صقر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م

٨- الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، د. صلاح الدين عبد التواب ، ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

٩- العين ، الخليل بن أحمد ، تحقيق : مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي ، مؤسسة الميلاد ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

١٠- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٣م

١١- في البلاغة العربية علم البيان ، د. حسن البنداري ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٩م .

١٢- قصيدة الفرزدق شرحها وتخاميسها ، سلطان علي الصابري ، منشورات مدين ، ط١ ، ايران ، ١٤٣٠هـ .

١٣- كتاب التعريفات ، الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣ .

١٤- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

١٥- اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ١٩٩٨م

١٦- اللغة والحجاج ، د. ابو بكر العزاوي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

١٧- المحاسن والأضداد ، الجاحظ ، تحقيق :فوزي عطوي ، دار صعب ، ط١ ، ١٩٦٩.

١٨- معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل السامرائي ، ط١ ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ونشره ، بغداد ، ١٩٨١م .

١٩- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ) ، اعده محمد أحمد خلف الله ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧٠م .

ثانياً : الاطاريح والرسائل والجامعية :

١- الحِجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً ، ايمان درنوني ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، ٢٠١٣م .

ثالثاً : الدوريـات :

١- القيم الاخلاقية في الشعر العربي ، د. توفيق القيبل ، مجلة البيان ، الكويت ، العدد : ١٨٧ ، ١٩٨١م .

٢- قيم منسية ، د. محمود زقزوق ، ملحق جريدة الاهرام ، مصر ، العدد : ١٣ ، ٢٠٠١م

علاقةُ علم الصرف بعلم الصوت، دراسة وتطبيقات

Relationship of morphology to phonology, study and applications.

م.د. نوال كمال حسين

Dr. Nawal Kamal Hussein

كلية العلوم الانسانية / قسم اللغة العربية /جامعة كربلاء

College of Humanities / department of Arabic language / Karbala University.

كلمات مفتاحية : الصوت / الدرس اللغوي/ الصرف /المورفولوجيا / الإبدال

ملخص البحث

سلط هذا البحث الضوء على ماهية العلاقة بين علمي الصرف وعلم الصوت اذ يعرّف علماء اللغة علم الصرف بأنه (العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية ، وأحوال هذه الأبنية التي ليست اعراباً ولا بناءً) والمقصود بالأبنية هنا هيئة الكلمة ، ومعنى ذلك ان العرب القدماء فهموا الصرف على أنه دراسة (البنية الكلمة) ، وهو فهم صحيح في الاطار العام للدرس اللغوي.

غير ان المحدثين يرون (ان كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد اجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة أو – بعبارة بعضهم- تؤدي إلى اختلاف المعاني النموذجية كل دراسة من هذا القبيل هي صرف). ومن هذا نجد أن علم الصرف يفهم من خلال الترتيب الآتي:

١- علم الاصوات اللغوية : يدرس (العنصر) الأول الذي تتكوّن منه اللغة ، أي يدرس الصوت المفرد في ذاته أو في علاقته مع غيره.

٢- علم الصرف يدرس (الكلمة) .

٣- علم النحو يدرس الجملة.

ومن هذا الترتيب نستطيع أن ندرك ان كثيراً من مسائل الصرف لا يمكن فهمه دون دراسة للأصوات وبخاصة في موضوعي كالإعلال والإبدال والله من وراء القصد

Abstract

This research sheds light on the nature of the relationship between the two sciences of morphology and phonology, as linguists define morphology as (the science by which you know how to formulate Arab buildings, and the conditions of these buildings that are neither syntactic nor constructive). Morphology is the study of (word structure), which is a correct understanding in the general framework of the linguistic lesson.

However, the modernists believe (that every study related to the word or one of its parts and leads to the service of the phrase and the sentence or - in the words of some of them - leads to a difference in the typical meanings, each such study is pure).

From this we find that the science of morphology is understood through the following order:

1- Linguistic phonology: it studies the first (element) that makes up a language, means it studies the singular phoneme in itself or in its relationship with others.

2- Morphology studies (the word).

3- Grammar studies the sentence.

From this arrangement, we can realize that many issues of exchange cannot be understood without studying the sounds, especially on my subject.

المقدمة

الدرسُ اللغويُّ ميدان فسيح وبحر يصعب غوره وجلّ مباحثه تدور في جوهرها حول نظام اللغة . ويعدّ علم الصرف من أدقّ أبواب علم اللغة وأهمّها ، لأنه علم هيئات الكلمات قبل دخولها في التراكيب ، وربما كانت التعقيدات التي عرفها هذا العلم من أكبر التعقيدات التي تعرّض للباحث نظرا لتشعّبها وافتراض الدراية بالأصول . ونظرا لوسع اللغة العربية وصعوبتها .

ولكن طبيعة الكلام صوتية ، أنه عبارة عن الذبذبات التيٍ تؤدي المعنى . أي أنه أصوات مجتمعة تقولب المعنى المجرّد وتوصله إلى المتلقّي .

الذي لاشك فيه أن الصرف لا غنى عنه في الدرس اللغوي ، وفي الدرس العربي على وجه الخصوص . . وإذا كان الدرس النحوي يقتضي دروس الصرف ، فإن الصرف لا يمكن فهمه فهما صحيحا دون معرفة القوانين التي يجري عليها علم الأصوات ، وهذا ما نحتاجه أثناء تدريسنا لعلم الصرف ، لذلك جاء هذا البحث مشتملا على الموضوعات الآتية : أولا التمهيد ويحتوي على تعريف الصرف لغة واصطلاحا والصوت وكذلك مّما يؤكد العلاقة بينهما عند القدماء والمحدثين . وعلى عدة مباحث : الأول منها يتحدث عن العلاقة الصرفية الصوتية عند الأقدمين كالخليل وسيبويه وابن جني. ومبحث آخر عن هذه العلاقة وكيفية نشأتها عند القراء ، ثم مبحث ثالث يتحدث عن العلاقة الصوتية الصرفية عند المحدثين ، وتتويجا لكل تلك المباحث كان لابد لي من أن أقيم مبحثا رابعا عن الموضوعات الصرفية التي لها علاقة وثيقة بالصوت ودراستها دراسة تطبيقية فشملت الاشتقاق ، والإعلال ، والإبدال ، والنقل والمماثلة والتنوين . وبهذا أكون قد بيّنت بأن دارس الصرف لابد له من معرفة الصوت ، ولا يمكن له أن يدرسه من دون دراسة الصوت ومعرفة أصوله .

وبهذا أتمنّى أن أكون مستوفية للموضوع حقه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التمهيدُ

الصرف والصوت لغة واصطلاحا :

الصرف في اللغة مصدر صرف من باب ضرب ، ومعناه في الغالب التبديل والتغيير[١]، وقد ذكر الخليل في (العين) : الصرف فضل الدرهم في القيمة ، وجودة الفضة ، وبيع الذهب بالفضة ومنه الصيرفي لتصريفه أحدهما بالآخر[٢] وفي اللسان : يقال صرف الدراهم بالدنانير وبين الدرهمين صرف أي فضل لجودة فضة أحدهما[٣] .

أمّا التصريف في اللغة فلا يختلف في معناه عن معنى الصرف فمعناه أيضا التغيير والتقليب من حالة إلى أخرى وهو مصدر (صرف) للمبالغة والكثرة ؛ أي جعله يتقلّب في جهات ونواح كثيرة[٤] . قال تعالى : [[انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ]] [٥] .

أمّا التصريف اصطلاحا : فهو العلم الذي يتناول دراسة أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء ، بمعنى آخر ، هو العلم الذي يتناول دراسة أبنية الكلمة وما يكون لحروفها من أصالة أو زيادة أو صحة أو إعلال أو إبدال أو حذف أو قلب أو إدغام ، وما يعرض لآخرها ممّا ليس بإعراب ولا بناء كالوقف والإدغام والتقاء الساكنين[٦] ، وبذلك فإن التعليل الصرفي يفيد ببيان العلل والأسباب الموجبة للتغيرات التي

تنال البنية اللفظية جرّاء الإبدال أو الحذف أو الزيادة والنقصان ، وما إلى ذلك مما يثري اللغة العربية من حيث تنوّع الصيغ وزيادة الألفاظ[٧] . بيد أن الصرف يعني إلى جانب دراسة أحوال الكلمة وما يعتريها من تغيرات وتبدلات بدراسة المستوى الصوتي ، فالسوابق واللواحق ما هي إلاّ مورفيمات لها دلالاتها الخاصة ، وما ظواهر الإعلال بالنقل مثلا أو الحذف أو القلب المكاني إلاّ دليل واضح كل الوضوح على أثر تغير الأصوات في البنية الصرفية ، وما التحوّل الداخلي إلاّ أثر من آثار تبديل المصوتات ذوات القيمة الوظيفية[٨] .

أمّا الصوت : فهو ذبذبة تنشأ من اندفاع الهواء في الرئتين ونحو الخارج ، ملامسا وتري الحنجرة ، والحلق ، واللسان ، والشفتين ، وهو المادة الوحيدة التي تتكوّن منها اللغات البشرية على اختلافها ، بعد تآلف الذبذبات في صور شتى ، وأبسط أنواع التآلف بين هذه الذبذبات هي المقاطع ، التي يتكوّن كل مقطع منها من صوتين : صوت ساكن ، وصوت لين . فلا يكاد يوجد في لغة من اللغات صوت بسيط مستقلّ ، وإنما يوجد مع غيره في صورة مقطع بسيط ، مكوّن من ذينك الصوتين[٩] . فإذن الأصوات اللغوية هي حروف الهجاء وهي الأصول التي تتكّون منها الكلمات[١٠] .

المبحث الأول

العلاقة الصرفية الصوتية عند الأقدمين

الخليل بن أحمد الفراهيدي :

عني النحاة الأوائل بالقضايا الصوتية والصرفية ، وكان أولهم الخليل بن أحمد الذي أحسّ بضرورة الدراسة الصوتية لفهم أسرار اللغة العربية ، وأقواله فيما أملاه على سيبويه ، وعلى الليث بن المظفر ، وما نقله اللغويون عنه ، كالأزهري في كتاب « تهذيب اللغة « وابن دريد في « كتاب الجمهرة « تدلّ على اهتمامه بدراسة الصوت ولكن لم يتهيأ لها من عمل على إتمامها ، إلاّ ابن جني في الخصائص وفي سرّ صناعة الإعراب ، وفي كلام السكاكي وغيرهما ، من محاولات كانت تهدف إلى توسيع ما بدأه الخليل[١١] . قال برجستراسر : «

لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلاّ قومان من أقوام الشرق ، وهما أهل الهند . . . والعرب ، وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب : الخليل بن أحمد « [١٢] .

وقد كان اليونان أولا يعنون قبل كل شيء بالظواهر الصوتية من ناحية السماع ولم يعنوا بمخارج الأصوات وأعضاء النطق ، ثم الهنود رغبة في ترتيل الكتاب المقدس (فيد) فاستكملوا بدراسة مخارج الحروف وبذلك أسسّوا (لعلم الأصوات الوصفي) بالمصطلح الحديث[١٣] .

لقد قسّم الخليل الحروف إلى طوائف ، كل طائفة تنتهي إلى مخرج من المخارج ، ثم عرض صفاتها وحالاتها المختلفة حين تتمازج ، ونبّه على ما يتألف مع غيره وما لا يتألف ، وهو الذي كان يقول في كلمة (الهعخع) : « سمعنا كلمة شنعاء فأنكرنا تأليفها «[١٤] لأن الهاء والعين لا تأتلفان في كلام العرب والهاء فيه قبل العين ، ولم يفصلهما فاصل ، وكان يقول : « القاف والكاف تأليفهما معقوم لقرب مخرجيهما « [١٥] إلى غير ذلك من الأقوال التي تدلّ على أهمية دراسة الأصوات .

سيبويه :

لقد ضمّ الكتاب أبواباً قيمة في الدراسات الصرفية فضلا عن الصوتية ، ولم يجعل الأبواب الصرفية والصوتية في أول الكتاب كما يفعل المحدثون إنّما جعل الدراسة الصوتية في آخر أبواب الدراسة الصرفية .

وإذا كان البحث الصوتي عند الخليل مفتاح العمل المعجمي فإن البحث الصوتي عند سيبويه وسيلة من وسائل التحليل الصرفي في المقام الأول . وقد لاحظ سيبويه صيغا صرفية كثيرة لا يمكن تفسيرها إلاّ في ضوء المعايير الصوتية[١٦] .

يحتوي كتاب سيبويه على علوم العربية من صرف وصوت وقراءات ، وحتى جوانب بلاغية ، وهي مكمّلة لبعضها البعض ومرتبطة ارتباطا وثيقا[١٧] .

وفي ما يعرف بعلم الصرف معلومات صوتية تجدها في كتاب سيبويه وهي محاولة وصف ما يطرأ على بنية الكلمة العربية المعربّة من تغييرات[١٨] .

وقد كان سيبويه على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدّمة لابد منها لدراسة اللغة ، وأن النظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النظام الصرفي[١٩] لذلك فإننا نجد فصولا ختامية في الدراسات الصوتية في كتابه ، وكتاب المقتضب والشافية وشرحها لرضي الدين الاستراباذي والممتع في التصريف لابن عصفور ، وكتب حديثة لها نفس الحذو ممّا سنبيّنه في المبحث التالي .

وهكذا فإن علم الأصوات في التراث التقليدي جزء من علم الصرف الذي قامت بعض أبوابه على المنهج الصوتي ، ممّا يعني أن مباحث الصرف التقليدية أفادت إلى حدّ بعيد من الدراسات الصوتية .

العلاقة الصوتية الصرفية في نظر المحدثين :

المخزومي :

كل دراسة لغوية لا تبدأ بالدراسة الصوتية باطلة ، ذلك لأن الأصوات اللغوية هي الأصول للمفردات ، ويعبّر عنها بحروف الهجاء . هذا ما أكدّه الدكتور المخزومي في

كتابه : (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) [٢٠] .

كما أن أهمية الصوت تكمن في كونه مقدمة للصرف كما أن الصرف مقدّمة للنحو . هذا ما أكدّه كمال محمد بشر في كتابه علم اللغة العام من خلال ذكره لمقولة (فيرث) بأنه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات «[٢١] .

فاللغة عبارة عن أنظمة من الصوت والصرف والنحو[٢٢] وأن علم الصرف هو ما يسمّى عند المحدثين (المورفولوجيا) والوحدة الصرفية هي (المورفيم) وهي تعني عنصرا أصواتيا (صوتا ، مقطعا) أو عدة مقاطع تدلّ على العلاقات بين الأفكار في الجملة وهذه المورفيمات تتمثّل في الصيغ الصرفية والسوابق واللواحق والحركات ، فالدلالة الصرفية عند المحدثين هي التي تستمدّ من الصيغ الصرفية وبنيتها مثل : انفعل التي تدلّ على المطاوعة واستفعل التي تدلّ على الطلب وفعول التي تدلّ على المبالغة ، وهي تشمل عند المحدثين الحركات الداخلية التي تؤدي إلى تغير المعنى ، فكل تشكيل صوتي (مورفيم) سواء أكان حرفا أم حركة يضاف أو يحذف من الجملة يؤدي إلى اختلاف المعنى مثل : نار وأنار[٢٣] .

ويشير البكوش : إلى أن كتب الصرف عامة والمدرسية

خاصة أهملت التغيرات الثواني والثوالث ذات الأثر البنائي بينما ركّزوا على النوع الأول من التغيرات ذات الأثر المعنوي ، وهو يعتقد أن الثاني والثالث لا يقلاّن أهمية عن الأول لأنه يدلّ على متانة وقوة العلاقة بين نظام اللغة الصرفي ونظامها الصوتي . وقد مهّد الدكتور البكوش لكتابه أن ما يقدّمه من مبادئ علم الأصوات يعدّها ضرورية لفهم كثير من مشاكل الصرف العربي ، فهما علميا حديثا وهو مع ذلك لم يذكر من الصوتيات إلاّ ما عدّه ضروريا لفهم دراسة الأبنية الصرفية اعتقادا منه أنه لا سبيل إلى فهم روح الصرف العربي فهما عصريا عميقا بدون هذه المعطيات الأساسية من علم الأصوات[٢٤] .

قال فيرث : « لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات »[٢٥] . ذلك لأن مباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرّره الأصوات من حقائق وما يرسمه من حدود ، أن كل دراسة صرفية تهمل هذا المنهج لابد ان يكون مصيرها الإخفاق والفشل .

إن آراء هنري فليش وعبد الصبور شاهين هي أن ينظر إلى الصرف العربي على ضوء علم الأصوات أي دراسة الكلمة من نطقها[٢٦]. مثلا همزة الوصل في العربية ظاهرة صوتية صرفية معا فمن الناحية الصوتية ليس أكثر من تحريك خفيف أو صوت لجأ إليه المتكلم في بداية الكلمة حيث تمنع طبيعة التركيب المقطعي لهذه اللغة البدء بصوت صامت غير متلوّ بحركة . ولكن هذه الظاهرة الصوتية مرتبطة بصيغ صرفية لا تتعدّاها ، ولا تتجاوز حدودها ، وهذه الصيغ الصرفية ذاتها أصبحت تمتاز عن غيرها بهذه الخاصية الصوتية التي أصبحت جزءا من تركيبها الصوتي . والتنوين كذلك [٢٧] .

وقد صنّف باحثون معاصرون أبحاثا صرفية أقاموها على أساس علم الأصوات ، ومن هؤلاء د. إبراهيم أنيس في كتابيه (الأصوات اللغوية) ، و (في اللهجات العربية) ، والدكتور تمام حسان في كتابيه : (اللغة العربية معناها ومبناها) و (مناهج البحث في اللغة) والدكتور كمال بشر في كتابيه : (دراسة في علم اللغة) و (علم اللغة العام) والدكتور عبد الصبور شاهين في كتابيه (المنهج الصوتي للبنية العربية) و الدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه (أصوات اللغة) ، والدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (فصول في فقه العربية) ، والدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (دراسة الصوت اللغوي) والدكتور محمود السعران في كتابه (علم اللغة) ، و د. عبد العزيز مطر في كتابيه (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) ، والدكتور فهمي حجازي في كتابه (مدخل إلى علم اللغة) ، والدكتور عبده الراجحي في كتابه (اللهجات العربية في القراءات القرآنية) .

أن علم الصرف لا يمكن الإلمام بقواعده دون المعرفة بعلم الأصوات وبالكتابة الصوتية الحديثة ومعرفة قوانين المماثلة والمخالفة وخاصة في موضوعي الإبدال والإعلال ، فنحن يجب علينا الإلمام بعلمي الصرف والأصوات فهما مقدّمان على علم النحو ، لأن النحو يبحث في صفة المركب .

الإعلال والإبدال :

« تتكون اللغات - في أساسها - من مجموعة من الأصوات ، وهي التي يسميّها العرب حروفا ، وهذه الأصوات تنقسم إلى أصوات صامتة وأصوات صائتة والحركات العربية (الفتحة والكسرة والضمة)

صوائت قصيرة ، والألف والياء الواو صوائت طويلة ، وهذه الأخيرة يسميّها القدماء حروف علة ، أو حروف لين ، أو حروف مدّ « [٢٨] .

إن علماءنا القدماء عرفوا أن لكل صوت صفات خاصة ، كأن يكون مجهورا أو مهموسا أو مفخّما أو رقيقا وغير ذلك ، كما أنهم عرفوا قانون تأثر الأصوات بعضها في بعض حين تتجاور داخل الكلام ، مثل قراءتنا للآية الكريمة [[اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ]] فننطق (الصراط) بالصاد على الرغم من أن الحرف هو السين وأصلها (السراط) ، غير أن السين تأثّرت بالراء التي بعدها وهو حرف مكرّر كما تأثّرت بالطاء التي هي حرف مطبق ، فانقلبت السين صادا [٢٩] .

إن ذلك التأثر يكون وفق قوانين صوتية مدروسة ، يدرسها المحدثون في علم الأصوات اللغوية تحت عنوان (الصوت في الكلام) . وكان علماؤنا العرب القدامى درسوا هذا الباب الذي يسمّونه (الإعلال والإبدال) ، وهو يحتاج إلى دراسة مفصلة إذ يتوقف عليهم فهم كثير من القضايا الصوتية التي شرحها القدماء[٣٠] .

الإعلال : هو تغير في حرف العلة تغييرا معيّنا ، قد يكون بقلبه إلى حرف آخر ، أو بحذف حركته أي بتسكينه ، أو بحذفه كله ؛ أي أن الإعلال يكون بالقلب أو بالتسكين أو بالحذف ، ومعنى ذلك أنه مقصود على حروف العلة التي يحدّدها العرب بأنها الألف والواو والياء ، ثم يلحقون بها الهمزة [٣١]، والإعلال في معظمه يخضع للقياس .

أمّا الإبدال : فيعرّفونه بأنه وضع حرف مكان حرف آخر دون اشتراط أن يكون حرف علة أو غيره ، ويحكمه السماع .

١- الإعلال بقلب الواو والياء همزة :

يقلب الواو والياء في مواضيع معيّنة إلى همزة ، وهذه المواضع خمسة وهي :

أ- إذا تطرّفت الواو أو الياء ، بعد ألف زائدة ، أي إذا وقعت آخر الكلمة بشرط وجود ألف زائدة قبلها وذلك مثل : سماء - بناء ، وذلك لأن أصلها سماو - بناي - الأولى على وزن (فعال) ، والثانية على وزن (فعال) ؛ لأن الألف زائدة ، ومن ثم قلبت الواو والياء همزة [٣٢]. وتنطبق هذه القاعدة على حرف الألف ، أي إذا وقعت في آخر الكلمة بعد ألف زائدة فأنها تقلب همزة . فهم يقولون أن كلمة (حمراء) أصلها : حمرا ، ثم مدّت الألف أي زيدت ألفا أخرى ، فكأن الصورة هي حمرا ، فوقعت الألف متطرّفة بعد ألف زائدة فتقلب همزة لتصير حمراء[٣٣] .

ب- أن تقع الواو أو الياء عينا لاسم فاعل ، بشرط أن يكون الفعل أجوف ، وكانت عينة قد أعلّت أي قلبت إلى حرف آخر ، وذلك مثل : قال ← أصلها قول . انقلبت الواو في الفعل إلى ألف تبعا للقواعد الآتية : قاول فوقعت عينا لاسم الفاعل ، وكانت هذه قد أعلّت في الفعل ؛ ولذلك فإنه تقلب هنا همزة ، فتصير : قائل[٣٤] . وكذلك في باع ← أصلها : بيع ، قلبت الياء ألفا ، وعند اسم الفاعل نقول : بايع ، فنقلب الياء همزة لتصير : بائع[٣٥] .

ج- أن تقع الواو أو الياء بعد ألف (مفاعيل) أو ما يشبه هذا الوزن في عدد الحروف ونوع الحركات ، على شرط أن تكون الواو أو الياء مدة ، ثالثة في المفرد وذلك مثل : صحيفة ، الياء فيه زائدة لأنها على وزن فعيلة ، وهي حرف مد ، كما أنها الحرف الثالث في

الكلمة ، فإذا جمعناها قلنا : صحايف فتقع الياء بعد ألف مفاعل أو شبهه ، إذ الوزن هنا (فعايل) ، فتقلب الياء همزة لتصير : صحائف . وكذلك في عجوز = عجائز ، طريقة = طرائق[٣٦] . وهذه القاعدة تنطبق أيضا على الألف ، مثل : قلادة - قلائد [٣٧].

د- أن تقع الواو أو الياء بعد حرف علة ، شرط أن يفصل بينهما ألف (مفاعل) أو ما يشبهه في الحروف ونوع الحركات ، وذلك مثل : كلمة (نيف) ، الياء فيها مشدّدة ، أي أنها مكونة من ياءين فإذا جمعها صارت : (نيايف) ، فوقعت الياء بعد ألف مفاعل أو شبهه، وقبلها ياء فتقلب الياء همزة فتصير نيائف « [٣٨]، « وكذلك كلمة (أول) ، تجمع على (اواول) ثم تقلب الواو همزة ، فتصير : أوائل . وكذلك كلمة (سيد) ؛ إذ أصلها (سيود) ، تجمع على (سياود) ، ثم تقلب الواو همزة ، فتصير : سيائد « [٣٩] .

هـ- أن تجتمع واوان في أول الكلمة ، بشرط أن تكون الثانية واوا غير منقلبة عن حرف آخر. مثلا : إذا أردنا جمع كلمة (قاعدة) جمع تكسير ، فإننا نقول : (قواعد) على وزن (فواعل) [٤٠] .

عند النسب إلى كلمة (غاية) أو (راية) تصير الكلمة غايي ورايي ؛ فتجتمع ثلاث

ياءات : الياء الأولى وياء النسب المشددة (فتقلب الياء الأول همزة - جوازا - لتصير غائي ورائي[٤١] .

٢- الإعلال بقلب الهمزة واوا أو ياء :

أمّا الموضع التي تنقلب فيها الهمزة واوا أو ياء ، ويحدث ذلك في حالتين :

الحالة الأولى : وذلك بالشروط الآتية :

أ- أن تقع الهمزة بعد ألف (مفاعل) أو يشبهه .

ب- أن تكون الهمزة عارضة غير أصلية .

ج- أن تكون لام المفرد أمّا همزة أصلية ، وأمّا حرف علة أصليا ؛ واوا أو ياء مثل = خطيئة ← خطايا ، قضية ← قضايا ، مطية ← مطايا [٤٢] .

د- كلمة لامها واو وذلك مثل : هراوة ← هراوى [٤٣]

أو أن تجتمع همزتان في كلمة واحدة مثل آمن ← إيمان[٤٤] أو سأل – سئال .

٣- قلب الألف ياء :

أ- تقلب الألف ياء ، بعد كسرة إذا أردت أن تجمع الكلمة جمع تكسير مثل مفتاح - مفاتيح، وأثناء التصغير ← مفيتيح[٤٥].

ب- أن تقع بعد ياء التصغير في مثل : كتاب ← كتيب [٤٦].

٤- قلب الواو ياء :

أ- أن تقع الواو متطرّفة بعد كسرة ، مثل رضي ← راضي .

ب- أن تقع الواو عينا لمصدر ، بشرط أن تكون معلة في الفعل ، وبشرط أن يكون قبلها في المصدر كسرة وبعدها ألف ، وذلك : صام ← صيام .

ج- أن تقع الواو عينا لجمع تكسير ، صحيح اللام ، وقبلها كسرة ، وبشرط أن تكون معلّة في المفرد وذلك مثل : دار ← ديار .

د- أن تقع الواو عينا لجمع تكسير ، صحيح اللام ، وقبله كسرة ، بشرط أن تكون ساكنة في المفرد ، مثل : سوط ← سياط [٤٧] .

هـ- أن تفتح الواو آخر فعل ماض ، بشرط أن تكون رابعة أو أكثر بعد فتحة ، وبشرط أن تكون انقلبت ياء في المضارع وذلك مثل : أعطيت وزكيت ، أصلهما : أعطوت وزكوت[٤٨].

و- أن تقع الواو ساكنة غير مشدّدة قبلها كسرة ، وذلك مثل : وزان ← ميزان [٤٩] .

ز- أن تقع الواو لاما لصفة على وزن (فعلى) وذلك مثل : دنيا وعليا أصلهما (دنوى وعلوى) [٥٠] .

ح- أن تجتمع الواو والياء في كلمة واحدة بشروط :

أولا : ألاّ يفصل بينهما فاصل .

ثانيا : أن تكون الأولى منهما أصيلة أي غير متقلبة عن حرف آخر .

ثالثا : أن تكون الأولى ساكنة سكونا أصليا . . . وذلك مثل : سيود ← سيد ، ميوت ← ميت ، طوي ← طي ، كوي ← كي [٥١].

ط- أن تقع الواو لاما لجمع تكسير على وزن (فعول) وذلك مثل : عصا ← تجمع

عصو ← عصي ، دلو ← دلو ← دلي [٥٢].

٥- قلب الألف واوا : تقلب الألف واوا في حالة واحدة ، وهي أن تقع بعد ضمة ، وذلك مثل تصغير لاعب ← لويعب ، بقلب الألف واوا ، وفي بناء الأفعال الآتية للمجهول : كاتب ← كوتب [٥٣].

٦- قلب الياء واوا :

أ- وشروطها أن تقع الياء ساكنة ، بعد ضمة ، وألاّ تكون مشدّدة ، وغير دالّة على الجمع مثل : أيقن ← ييقن ← ميقن ← يوقن ← موقن .

ب- أن تقع الياء لا لفعل ، ثم حوّل الفعل إلى صيغة (فعل) التي يقصد بها التعجب ، وذلك مثل نهى ← رمى ← نهو ← رموا .

ج- أن تقع الياء لاما لاسم على وزن فعلى ، مثل : تقوى ، وفتوى ، أصلهما تقيا وفتيا .

د- أن تقع الياء عينا لاسم على وزن فعلى ، مثل : طوبى - أصلي طيي (لأن الفعل طاب يطيب) [٥٤] .

٧- قلب الواو والياء ألفا : الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبت ألفا ، ولكن بشروط هي [٥٥]:

أ- أن تكون الواو والياء متحركتين ، بالضمة أو الفتحة أو الكسرة .

ب- أن تكون حركتهما أصلية ، لذلك لا تقلب في قوله (ولا تنسوا الفضل بينكم) لأن واو الجماعة ساكنة عارضة .

ج- أن يكون ما قبل الواو والياء مفتوحا ولذلك لا تقلبان في مثل : دول - حيل ، لعدم انفتاح ما قبلهما .

د- أن تكون الفتحة التي قبلها متصلة بها في كلمة واحدة ، ولذلك لا تقلب الياء مثل : كتب يزيد ، لأن الفتحة التي قبل ياء يزيد ليست في نفس الكلمة ، وإنّما في كلمة مستقلة .

هـ- إن كانت الواو والياء في غير موضع اللام ، أي في موضع الفاء أو العين فلا تقلبان ألفا إلا إذا كان ما بعدهما متحرّكا ، ولذلك لا تقلبان مثل توالى ، وتيامن ، لأن الواو والياء بعدهما ألف ساكنة ، وهنا شروط أخر لو ذكرناها سيطول المقام بنا كثيرا [٥٦].

الإبدال :

أمّا مواضع الإبدال وهي التي يتمّ فيها حرف مكان حرف آخر مثل :

١- إبدال الواو والياء تاء مثل : وصف ← أو تصف ← اتصف[٥٧] .

٢- إبدال تاء الافتعال طاء : هناك حروف في العربية تسمّى حروف الأطباق وهي : الصاد - الضاد - الطاء – الظاء . فإن كانت فاء الكلمة حرفا من حروف الأطباق وكانت الكلمة مزيدة بتاء الافتعال ، فأنها تقلب طاء ، وذلك مثل :

طرد ← اطرد ← اطرد .

ظلم ← إظلم . ويمكن قلب الطاء ظاء وإدغامها فيما قبلها لتصير : أظّلم (٥٨).

٣- إبدال تاء الافتعال دالا :

إذا كانت فاء الكلمة دالا ، أو ذالا ، أو و زايا ، ووقعت بعدها تاء الافتعال فإنها تقلب دالا ، وذلك مثل : دحر ← ادتحر ← ادّحر .

الإعلال بالنقل :

وهو يصيب حرف العلة ، ومعناه نقل الحركة من حرف علة متحرّك إلى حرف صحيح ساكن قبله ، وهو لا يحدث إلاّ في الواو والياء ، أي لا يحدث في الألف لأنها لا تتحرك مطلقا مثال :

قال ← قول ← يقول ← يقول .

باع ← بيع ← يبيع ← يبيع [٥٩].

الإعلال بالحذف :

وهو تأثير يصيب الحرف في حالات معيّنة يؤدي إلى حذفه من الكلمة . ويوجد في الحالات التالية :

١- الفعل الماضي المزيد بالهمزة الذي على وزن (أفعل) ، فتحذف هذه الهمزة في المضارع ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، مثل أكرم : مضارعه يؤكرم = تحذف الهمزة ليصير يكرم ← مكرم = مكرم .

٢- الفعل المثال الثلاثي بشرط أن تكون فاؤه واوا ، وبشرط أن تكون في المضارع والأمر ، مثل : وعد ← (يوعد) فتحذف الواو ليصير الفعل (يعد) والأمر (عد) .

الإدغام :

وهو ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة وهو لا يكون إلاّ في نوعين من الأصوات:

١) أن يكون الصوتان مثلين كإدغام الكاف في الكاف في مثل سككر = سكّر .

٢) أن يكون الصوتان متقاربين كإدغام اللام في الراء من : قلْ رَبّ وتنطق (قُرَّب) [٦٠] .

ومعنى الإدغام : إنك تنطق بحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة بحيث يصيران حرفا مشددا ، بدافع التخفيف .

قال ابن جني : « والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى أنك في قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة ، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو أدغمته في الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلّفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشّمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها ، كقولك : قططع وسككر ، وهذا إنّما تحكمه المشافهة به ، فإن أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأولى خلطته بالثاني ، فكان قربه منه وإدغامه فيه أشدّ لجذبه إليه وإلحاقه به » [٦١].

والألف نحو الواو ، وهذا ملحوظ في اللهجة المصرية مثل : (فوق ، نوع ، شوط) ، وقد ذكر ابن جني مثل هذا النوع من الإمالة في قوله : (وأمّا ألف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عالم وخاتم ، وأمّا ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف والواو نحو قولهم : سلام عليه ، وقام زيد . . . وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو ، لأن الألف مالت نحو الواو) [٦٢].

أو (البطح) أو (الكسر) :

« وقد تنبّه القدماء إلى أن إمالة الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء [٦٣]، إنّما تحدث لأسباب صوتية معيّنة سنعرض لها بعد قليل ، بحيث تؤدي إلى الانسجام بين الأصوات في الكلام ، فقالوا إن (الغرض منها تناسب الأصوات وتقاربها لأن النطق بالياء والكسرة هو انحدار وتسفل وبالفتحة والألف تصعد واستعلاء ، وبالإمالة تصير من نمط واحد في الشغل والانحدار) [٦٤] ومن أمثلتها :

١) إمالة الفتحة نحو الكسرة مثل : من الكبر ، تمال فتحة الباء لأنها وقعت قبل راء مكسورة في الطرف .

٢) إمالة الألف نحو الياء مثل : هدى وفتى ، تمال الألف نحو الياء لأنها وقعت متطرفة .

وفي الآية الكريمة [[وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . .]] فكلمة (الضحى) منتهية بألف تمال تناسبا مع إمالة كلمتي (سجى وقلى) [٦٥].

لقد ركّز القدماء على إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الباء ، وذكر بعضهم إمالة أخرى وهي إمالة الفتحة نحو الضمة .

الفتح والإمالة :

هناك تأثير يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة ، ويقسم المحدثون تأثّر الأصوات إلى نوعين :

١) تأثّر رجعي وفيه يتأثّر الصوت الأول بالثاني.

٢) تأثّر تقدّمي وفيه يتأثّر الصوت الثاني بالأول [٦٦].

والفتح والإمالة صوتان صائتان (Vowels) . فالفتح هو النطق بالصوت مع فتح الفم ، وهو إمّا صائت قصير (Short Vowel) أي فتحة (a) وإمّا صائت طويل (Long Vowel) أي ألف (aa) . والإمالة هي أن تتجه بالفتحة نحو الكسرة (e) وبالألف نحو الياء (ـه) ، ومعنى ذلك أن الإمالة هي متحوّلة عن الفتح ، ولذلك اهتمّ القدماء [٦٧] - وبعض المحدثين [٦٨]وذهب الأكثرون إلى أن الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه وهي منتشرة في لهجات عربية قديمة ، وهي تمثّل مستوى من اللغة الفصحى ، ويقرأ بها القرآن ، وهي الآن منتشرة في بعض اللهجات العربية العامية ، وبخاصة في لبنان [٦٩].

ويطلق القدماء على (الفتح) أكثر من اسم ، فيسمّونه التفخيم مرة ، وأخرى النصب ، ويسمّون (الإمالة) (الأضجاع) .

الخاتمـــــة

يعرّف علماء اللغة علم الصرف بأنه (العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الابنية العربية ، وأحوال هذه الابنية التي ليست اعراباً ولا بناءً) والمقصود بالأبنية هنا هيئة الكلمة ، ومعنى ذلك ان العرب القدماء فهموا الصرف على انه دراسة (البنية الكلمة) ، وهو فهم صحيح في الاطار العام للدرس اللغوي.

غير ان المحدثين يرون (ان كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد اجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة أو – بعبارة بعضهم- تؤدي إلى اختلاف المعاني النموذجية كل دراسة من هذا القبيل هي صرف).

ومن هذا نجد أن علم الصرف يفهم من خلال الترتيب الآتي:

علم الأصوات اللغوية : يدرس (العنصر) الأول الذي تتكوّن منه اللغة ، أي يدرس الصوت المفرد في ذاته

أو في علاقته مع غيره.

١- علم الصرف يدرس (الكلمة) .

٢- علم النحو يدرس الجملة.

ومن هذا الترتيب نستطيع أن ندرك أن كثيراً من مسائل الصرف لا يمكن فهمه دون دراسة للأصوات وبخاصة في موضوعي كالإعلال والابدال.

الهوامش

١- ينظر الصرف الواضح ١٩ ، والدراسات الصرفية عند ابن جني عبد الجبار النايلة ، ٤٧ .
٢- ينظر العين ، ٧ / ١٠٩ .
٣- ينظر لسان العرب مادة (صرف) ، ٩ / ١٩٠ ، مختار الصحاح ، مادة (صرف) .
٤- ينظر الدراسات الصرفية عند ابن جني / ٤٨ .
٥- الأنعام / الآية (٦) .
٦- التعليل الصرفي والصوتي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رعد هاشم عبود / ١٥ .
٧- نفسه / ٢٧ .
٨- ينظر التعليل الصرفي والصوتي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رعد هاشم عبود / ٢٧ .
٩- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د. مهدي المخزومي ، ص١٦٦ .
١٠- ينظر نفسه / ١٦٧ .
١١- ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص١٦٨ .
١٢- نفسه ، وينظر التطور النحوي للغة العربية ، ص٥ .
١٣- ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص١٦٨ .
١٤- ينظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ص١٦٩ .
١٥- نفسه ، وينظر لسان العرب ، حرف القاف .
١٦- ينظر البحث اللغوي ، د. محمود فهمي حجازي ، ص١٦ .
١٧- ينظر كتاب الشاهد وأصول النحو ، د. خديجة الحديثي ، ص١٨٠ .
١٨- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعرات ، ص٩٥ .
١٩- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، ص٥٠ .
٢٠- ينظر ص١٦٧ .
٢١- ينظر ص١٨٤-١٨٥ .
٢٢- ينظر علم الدلالة أحمد مختار عمر ، ص١٣ .
٢٣- المصدر نفسه .
٢٤- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، د. الطيب البكوش ، ص٣٠ .
٢٥- الأصوات العربية ، كمال محمد شبر ، ص١٨٤-١٨٥ .
٢٦- ينظر الصرف وعلم الأصوات ، د. ديزيره شقال .
٢٧- الأصوات العربية ، كمال محمد شبر ، ١/١٦ .
٢٨- التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٣٧ .
٢٩- ينظر نفسه .
٣٠- ينظر نفسه .
٣١- ينظر نفسه .
٣٢- ينظر التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٣٩ .

٣٣- نفسه .
٣٤- نفسه .
٣٥- نفسه .
٣٦- نفسه ، ص١٤٠ .
٣٧- نفسه ، ص١٤٠ .
٣٨- التطبيق الصرفي ، ص١٤٠ .
٣٩- نفسه .
٤٠- ينظر نفسه ، ص١٤١ .
٤١- نفسه .
٤٢- نفسه ، ص١٤٢-١٤٣ .
٤٣- ينظر التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٤٣ .
٤٤- نفسه ، ص١٤٤ .
٤٥- نفسه ، ص١٤٤ .
٤٦- ينظر التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٤٥ .
٤٧- نفسه ، ص١٤٥ .
٤٨- نفسه ، ص١٤٦ .
٤٩- نفسه .
٥٠- نفسه .
٥١- نفسه ، ص١٤٦ .
٥٢- ينظر نفسه .
٥٣- ينظر التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٤٦ .
٥٤- نفسه ، ص١٤٧ .
٥٥- نفسه ، ص١٤٨ .
٥٦- ينظر التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٤٨-١٤٩ .
٥٧- التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٥٠ .
٥٨- ينظر المصدر نفسه ، ص١٥١ .
٥٩- ينظرالتطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٥٢ .
٦٠- التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٦٨ ، وينظر الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل ، ص٢٩٩ .
٦١- الخصائص ، ٢ / ١٤٠ .
٦٢- سر صناعة الأعراب ، ١ / ٥٨ .
٦٣- ينظر منهج الدرس الصوتي عند العرب ، علي خليف حسين ، ص١٧٢ .

٦٤- التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٥٥ .
٦٥- ينظر نفسه ، ص١٦٢ .
٦٦- التطبيق الصرفي ، د. عبده الراجحي ، ص١٥٥ .
٦٧- شرح المفصل ، ابن يعيش ، ١٦٤/٤ .
٦٨- ينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، ٣٩ ، ودراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر والوجيز ، محمد الأنطاكي ، ص٢٥٤ .
٦٩- التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي ، ص١٥٥ .

المصادر والمراجع

١- أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا (ت ٤٢٨) ، أبو علي الحسين بن عبد الله ، مطبعة المؤيد ، دمشق - سوريا ، ١٣٢٢هـ .

٢- أصوات العربية بين التحوّل والثبات ، د. حسام النعيمي ، دار الكتب ، جامعة الموصل.

٣- الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل ، دار الصفاء ، عمان - الأردن ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٤- البحث اللغوي ، د. محمود فهمي حجازي ، القاهرة ، مكتبة غريب .

٥- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، الطيب البكوش ، تونس ، ط١ ، ١٩٧٣م .

٦- التطبيق الصرفي ، د. عبدة الراجحي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م .

٧- التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الأعراب ، د. هنري فليش ، ترجمة : د. عبد الصبور شاهين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج٢٣ ، ١٩٦٨م .

٨- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري الحمد ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٩- دراسات في علم اللغة ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

١٠- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، حسام النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ .

١١- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، سجل الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

١٢- علم الأصوات العام ، د. كمال بشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٩ .

١٣- علم اللغة ، مقدمة للقاري العربي د. محمود السعران ، مصر ، ١٩٦٢ .

١٤- في الدراسات القرآنية واللغوية ، الإمالة في القراءات واللهجات ، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٥٢ .

١٥- في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٢ .

١٦- اللغة فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٠م .

١٧- اللغة العربية ، معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٧٩ .

١٨- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٥ ، ١٩٧٥ .

١٩- مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، مكتب الأنجلو المصرية ، ١٩٥٥ .

٢٠- المنهج الصوتي للبنية العربية ، د. عبد الصبور شاهين ، بيروت ، دار الرسالة ، ١٩٨٠م .

٢١- الإعلال في كتاب سيبويه في هدي الدراسات الصوتية الحديثة ، عبد الحق أحمد محمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، بغداد ، ١٩٨٣ .

٢٢- التعليل الصرفي والصوتي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رعد هاشم عبود ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٦م .

٢٣- الدراسات الصرفية عند ابن جني ، د. عبد الجبار النايلة ، أطروحة دكتوراه ، آداب بغداد ، ٢٠٠١ .

٢٤- القلب والإبدال في اللغة ، الدكتور عادل أحمد زيدان ، أطروحة دكتوراه ، آداب بغداد ، ١٩٧٨م .

٢٥- منهج الدرس الصوتي عند العرب ، علي خليف حسين ، دكتوراه ، كلية الآداب ، بغداد ، ٢٠٠٢ .

٢٦- الإدغام بين النحاة والقراء ، د. إسماعيل حمد الطمان ، الشريعة قطر ، ١٩٨٥م .

التاءُ دراسة في مستويات اللغة

The (T) Sound
Study in language levels.

أ.م.د مؤيد جاسم محمّد حسين
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية /
قسم اللغة العربية

باسم شعلان خضير

Dr. Muayad Jassim Muhammad Hussain.
University of Karbala / College of Islamic Sciences / Department of Arabic language.
Mr. Basem Shaalan Khudair

كلمات مفتاحية : الأصوات الشديدة/ الصوامت المهموسة/ المستوى الدلالي /البنية اللغوية/ الأصوات اللغوية

ملخص البحث

تعدُّ الأصواتُ اللغوية اللبنات الأساسية ، أو المادة الخام التي تتشكّل منها اللغة ، فتبنى منها الكلمات أو العبارات أو النصوص ، فما اللغة إلاّ سلسلة من الأصوات المتتابعة أو المتجمّعة في وحدات أكبر . وعلى هذا فإنَّ أي دراسة تفصيلية للغةٍ ما ، تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية ، وفي بحثنا هذا سلّطنا الضوء على صوت من أصوات العربية ألا وهو صوت (التاء) فبيّنا منزلته بين الأصوات ودلالته وفق مستويات الدرس اللغوي . فعلى المستوى الصوتي بيّنا مخرجه وصفاته ، وعلى المستوى الصرفي درسنا إبداله ومواضع زيادته والوقف عليه ، أمّا على المستوى التركيبي فدرسنا دخوله على التراكيب الاسمية والفعلية والحرفية .

Abstract

Linguistic sounds are the basic building blocks, or the raw material from which a language is formed, so words, phrases, or texts are built from them, so language is a series of consecutive or combined sounds in larger units. Accordingly, any detailed study of a language requires an analytical study of its basic material, and in our research we shed light on an Arabic phoneme, which is the (T) sound, so we showed its position between the sounds and its connotations according to the levels of the linguistic lesson. On the phonemic level, we explained its director and its attributes, and at the morphological level we studied its substitution, places of increase and stopping on it, but on the compositional level, we studied its entry on nominal, verbal and literal compositions.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد المصطفى، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

لا يخفى على أحد أنَّ علوم العربية وحدة واحدة، فكل منها مفتقر إلى الآخر ويؤدّي إليه، والفصل بينها إنّما هو للدراسة فحسب ، فالصوت والصرف والتركيب والدلالة منظومة واحدة تشكّل كلا منظّما لا يمكن تمزيقه.

وهذا البحث - على بساطته -يسلّط بعض الضوء على صوت من أصوات العربية ويدرسه في إطار البنية اللغوية الذي لا أدّعي الإحاطة به، بل العكس، إذ لو تقصّينا التاء في العربية تقصيّاً دقيقاً لخرجنا بمئات الصفحات .

وقد انتظمت دراستنا على ثلاثة مباحث فضلاً عن مقدمة وتمهيد وخاتمة شملت أهمّ النتائج التي توصّل البحث إليها.

درسنا في المبحث الأول المستوى الصوتي، ودرسنا في الثاني المستوى الصرفي، أمّا الثالث فجعلناه لدراسة المستوى التركيبي، ولم نخصّ المستوى الدلالي بمبحث لتناثره بين طيات المباحث السابقة.

التمهيد : منزلة التاء بين أصوات العربية :

يُعدّ صوت التاء الصوت الثالث، من أصوات الهجاء في العربية، والثاني والعشرين من حيث الترتيب الأبجدي العربي، أمّا قيمته العددية فيساوي العدد(٤٠٠)في حساب الجمل[١] .

ويأتي صوت التاء في ترتيبها القديم عند الخليل بالمرتبة السادسة عشرة[٢].

أمّا عند المحدثين فيأتي ترتيبه في المرتبة الرابعة[٣] .

ودراسة العربية على مختلف مستوياتها حسب الأصوات بأي ترتيب - الأبجدي أو الألف بائي أو حسب عملها- منهج قديم اتبعه علماء العربية العظام في تأليفهم وموسوعاتهم الصوتية والصرفية والنحوية وفي المؤلفات الدلالية - أعني المعاجم هو المنهج الأغلب.

فقد وصلت لنا أسفار ضخمة أُلّفت على وفق هذا المنهج مثل سرّ صناعة الإعراب لابن جني (ت٣٩٢ هـ) ، وجواهر الأدب لعلاء الدين الأربلي (د.ت) ، ومغني اللبيب لابن هشام (ت٧٦١ هـ) ، وغيرها .

وعند النظر في معجم الصحاح نرى أنّ التاء، قد وردت في (٣٧٩)جذراً ثلاثياً ورباعياً، وفي الترتيب الثالث العشرين بيّن الجذور[٤] .

أمّا في العصر الحديث فقد أُلّفت الموسوعات الكبيرة وفق هذا المنهج ليسره وشموله.

ومن هنا كانت هذه الدراسة اليسيرة عن هذا الصوت العربي في مستويات اللغة.

المبحث الأول

المستوى الصوتي :

التاء صوت (أسناني - لثوي) انفجاري مهموس[٥]، وإليك تفسير ذلك

أ- مخرج التاء:

يتكوّن هذا الصوت بأن توّقف مجرى الهواء وقفا تاماً، وذلك بأن يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحنك اللين فلا يمرّ الهواء إلى الأنف، ويضغط الهواء مدة من الزمن، ثم ينفصل العضوان

انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجارياً[٦].

وكان الخليل بن أحمد(ت١٧٥ هـ) قد وصف الأصوات الثلاثة بأنها نطعيّة لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى[٧].

قال سيبويه (ت١٨٠ هـ) « وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء «[٨]

وأطلق عليها ابن يعيش(بالنطع)إذ إنّها تخرج من حيّز واحد مابين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وذلك لأنَّ مبدأها من نطع الغار الأعلى وهو وسطه يظهر فيه كالتحزيز[٩]

ووفق النظرية القائلة بأن أصوات المخرج الواحد تتمايز في موضعها تبعًا للجهر والهمس والأطباق والانفتاح فإن هذا المخرج ، (من طرف اللسان وأصول الثنايا)، ينقسم على ثلاثة مواضع : فمما يلي اللثة منها ، يخرج منه الطاء ، وبُعَيدَه الدال ، وبُعَيدَه التاء[١٠].

وظاهر كلام العلماء يقتضي نفي أن يكون مبدؤها، أي التاء نطع الغار الأعلى لأنها تتكون من نقطة تتحدد بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا، وأصول الثنايا بعيدة من نطع الغار الأعلى[١١] .

أمّا رأي المحدثين في مخرج التاء إضافة إلى مخرج الصوتين الآخرين، فيتراوح بين المحافظة على عبارة سيبويه «التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا[١٢] ،أو القول بأنها تخرج « عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة[١٣] .

وقال بعضهم : «بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها»[١٤]، وأنت ترى أن مؤدّى ما ذهب إليه المحدثون لا يختلف عمّا أخذ به متقدمو علماء العربية وعلماء التجويد[١٥] .

ب.صفة صوت التاء

١- همس صوت التاء :

التاء صوت مهموس[١٦]،ومعنى الهمس جري النفس عند النطق بالصوت لضعف الاعتماد عليه عند خروجه ، فهو أضعف من الصوت المجهور[١٧] .

فملاحظة الأقدمين لضعف الأصوات المهموسة مبني على ضعف الاعتماد عليها في مخارجها، وقولهم بذلك لعدم تيسر السبب الفسيولوجي في إنتاج هذه الأصوات.

والهمس من وجهة نظر المحدثين هو أن لا يهتزّ الوتران الصوتيان مع الصوت حين النطق به، ولا يسمع لهما رنين ، وليس معنى ذلك أن ليس للنفس معه ذبذبات مطلقا، وإلاّ لم تدركه الأذن ولكن المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين الصوتيين معه[١٨] .

وصفة الجهر والهمس تميّز بين الأصوات التي تخرج من مخرج واحد، فلولا الجهر في الدال ، والهمس في التاء لكانا صوتا واحدا. وكذلك الحال في الغين والخاء ، والسين والزاي...[١٩] .

وقد أشرنا سابقاً إلى أنَّ الوترين الصوتيين لا يهتزّان في حالة نطق الصوت المهموس، ولكن هذا لا يعني عدم بذل جهد في نطقه، بل أن الصوامت المهموسة يحتاج في نطقها إلى قوة من الزفير (إخراج النفس) أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة .

ويمكن أن نلمس هذا الفارق في قوة النفس إذا بسطنا الكف أمام الفم ونحن ننطق التاء ، والدال[٢٠] .

ونظير التاء من الأصوات المجهورة هو الدال، فهما

من مخرج واحد. أحدهما مجهور والآخر مهموس[٢١].

ومع أن التاء صوت مهموس، لكنها قد تسحب بشيء من الإجهار في بعض السياقات في ما إذا جاءت ساكنة متلوّة بصوت مجهور كما في نحو: « إنعت داود»[٢٢] .

٢- التاء صوت انفجاري (شديد):

الأصوات الشديدة عند القدماء هي ثمانية أحرف يجمعونها في عبارة (أجدت طبقك)[٢٣]، أمّا المحدثون فقد اصطلحوا عليها بالأصوات الانفجارية[٢٤].

ومعنى الصوت الشديد أنه اشتدّ لزومه لموضعه وقوي فيه، حتى منع الصوت أن يجري معه عند النطق به، والشدة من علامات قوة الصوت[٢٥]

فعندما يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكمة، فلا يسمح بمرور الهواء لحظة قصيرة من الزمن بعدها ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة ويحدث صوتا انفجاريا هو الذي ترمز إليه بالدال أو التاء[٢٦]

وأصوات العربية تنقسم باعتماد درجة انفتاح مخرج الصوت أثناء مرور الهواء على ثلاثة أقسام :

١ – الصوت الرخو، ويسمّيه المحدثون الاحتكاكي.

٢- الصوت الشديد، ويسميه المحدثون الانفجاري.

٣- الصوت المتوسط[٢٧] .

وكما أن الدال هو النظير المجهور للتاء، فإن الطاء هو النظير المفخّم له . فصوت الطاء صوت مفخّم مطبق أمّا التاء فصوت مرقّق وهما من مخرج واحد[٢٨].

كما يلاحظ أن التاء قد تصحب بنوع من الاحتكاك Friction إذا وليها كسر، كما في نحو: (أختي) ويظهر ذلك بخاصة في نطق الشواب من النساء وأضرابهن. وهو نطق خطأ؛ إذ قد تصير صوتا مركبّا أو ما يشبه أن يكون كذلك. ومن ثمة لا نعجب إذا عدّها بعض القدماء من أصوات القلقلة حماية لها من الاحتكاك، وتحقيقا للانفجار المكمّل لنطقها الصحيح[٢٩].

ومن الجدير بالذكر أن سيبويه قد أدرك هذا الاحتمال - احتمال إصابة نطق التاء بشيء من الاحتكاك أي الرخاوة[٣٠] .

قال ابن الجزري : « التاء يتحفّظ بما فيها من الشدة لئلا تصير رخوة كما ينطق بها بعض الناس»[٣١] .

المبحث الثاني

المستوى الصرفي :

أ- إبدال التاء

تبدل التاء من خمسة أصوات هي ، الواو ، والياء ، والدال ، والسين ، والباء ، واليك تفصيل ذلك :

١- إبدالها من الواو:

فأمّا إبدالها من الواو ففي نحو: تجاه ، وتراث ، وتخمة ، والأصل وراث ، ووجاه ، ووخمة : تجاه من الوجه، وتراث من ورثت ،وتخمة من الوخم[٣٢] .

وإنّما أبدلت منها التاء في هذه المواضع؛ لأن الواو في نفسها ثقيلة ، والابتداء بها مستثقل ، والضمّ عليها يزيدها ثقلا[٣٣] .

وتبدل منها في : أتلج ، والأصل : أولج . وفي تولج وهو فوعل من الولوج[٣٤]

وممّا تبدّل منها - من الواو- «في القسم في:تالله. وإنمّا أبدلوها في هذا الموضع، لأنهم أرادوا صوتا يختصّ بالتعجّب في القسم. ولذلك ألزموها اسما واحدا،

وهو لفظ الجلالة»[٣٥] .

«وأبدلت في لام الكلمة في أخت ، وبنت ، وهنت. وإنما أبدلوا التاء من الواو في هذه المواضع ، لأن التاء صوت جلد، قوي ، لا يتغيّر بتغيّر أحوال ما قبله »[٣٦] .

ومن العرب من أهل الحجاز من يجري ذلك على الأصل من غير، إبدال ، ويحتمل من التغير ما يتجنّبه الآخرون ، فيقول : إيتعد ، وإيتزن ، فهو: موعد ، وموتزن[٣٧].

٢- إبدال التاء من الياء :

في افتعل إذا كان فاء الفعل منه ياء ، نحو: افتعل، من يبس ، تقول : إتبس . ومن يئس تقول : اتّأس . والعلة في هذا كالعلة في إبداله من إتعد. لأنه لو تركت الياء قلت في الماضي : إيتأس إيتئاساً ، وفي المستقبل : يأتنس . وفي اسم الفاعل مؤتنس... فلما لم تلزم طريقة واحدة أبدلت كما أبدلوا الواو[٣٨]

وتبدّل التاء من الواو سماعا في نحو : أسنتوا . أي دخلوا السنة ،أي القحط. والأصل أسنيوا ، مبدلا من أسنووا ، بدليل سنوات[٣٩].

٣- إبدال التاء من الدال والسين .

وأمّا إبدالها من الدال والسين ، ففي : ست ، وستة . والأصل سدس ، وسدسة، والدليل أنك تقول في التصغير: سديسة ، والتصغير يرد الأشياء إلى أصولها[٤٠] .

فلما اجتمعت الدال والتاء وبينهما تقارب في المخرج: أبدلوا الدال تاءً لتوافقها، ثم أدغموا التائين فقالوا : ست . وليس هذا واجبا، بل هو شاذ.ولكنه لما جاء أحتجّ به[٤١] .

ب - مواضع زيادة التاء :

تأتي التاء زائدة في بنية الكلمة في :

١-أول حرف المضارعة ، نحو : تدرس ، تدحرج. وزيدت التاء على (تفعلة) ، قالوا : قدمه - تقدمة وكرمه - تكرمة.

والتفعال نحو : التقتال ، والتضراب ، وما أشبههما من نحو: التلعاب . والزيادة في هذا غير مطردة[٤٢] .

٢-وتزاد التاء في جمع المؤنث السالم وقبلها ألف نحو : ضاربات، وجوازات ، جفنات[٤٣] .

٣- قد ترد التاء زائدة في صيغة : تفعّل ، وتَفاعَلَ، وتَفَوعَلَ، وتَفَيعلَ ، للمطاوعة ، وأصلها الرباعيّ نحو : دحْرَجْتُهُ فَتَدَحْرَجَ[٤٤]

٤- تأتي زائدة في أوائل بعض الكلمات، نحو تمثال ، وتبيان ، وتمساح. وزيدت في اول الكلمة ، وآخرها في (ترنموت) وهو صوت ترنم القوس عند الانقباض[٤٥].

٥- وتأتي التاء في صيغة(افتَعَلَ) في : اقتطع، واجترح وفي صيغة(استَفْعَلَ) في : استخرج، واستقدم[٤٦] .

ج- الوقف على التاء:

يرى الكوفيون أن التاء هاء في الأصل؛ لأن الوقف عليها هاء. وليس ذلك بصحيح، لأن الوقف عارض، واللفظة تاء وهو الأصل، ولا يعدل عن الأصل إلاّ بدليل قاطع.

والعرب قد وقفت على هذه التاء على الأصل من غير بدل إلى الهاء قال الشاعر كثير عزّة :

بل جوز تيهاء كظهر الجحفت[٤٧]

كما قد جعلوا التاء المذكورة هاء إجراءً للوصل مجرى الوقف في العدد فقالوا ثلاثة أربعة. وليس في

ذلك حجّة للكوفيين لقلته. وقد تسكن تلك التاء كقول الشاعر أبو النجم العِجْليّ :

الله نجاك بكفي مسلمت

من بعد ما وبعد ما وبعد مت[٤٨]

المبحث الثالث

المستوى التركيبي :

١- التاء الداخلة على الحرف :-

لم تدخل التاء شيئا من الأصوات الاّ ثلاثة أصوت، هي (ثم)، و(رب)، و (لا) النافية الجنسية؛ فسكنوا التاء في الأولين ،أي: ثَمت ورَبّت ، وأبقوا فتحة ما قبلها ، وفتحوها في الثالثة (لاتَ) لسكون الألف قبلها ، لكونها أخفّ الحركات ورووا جواز لحاقها بعض لغات (ربَّ) قياسا عليها .

كما قال أبو زبيد الطائي :

طلبوا صلحنا ولات أوان

فاجبنا أن ليس حين أوان[٤٩]

٢- التاء الداخلة على الفعل:

ذكر ابن هشام أنّ التاء المحرّكة في آخر الأفعال هي ضمير نحو قمتُ، قمتَ، قمتِ، وانتقد قول ابن خروف الذي قال في النسب: كنتي، بالياء، جاعلاً من التاء هنا علامة كالواو في لغة (أكلوني البراغيث) ،ولم يثبت في كلام أهل هذه اللغة أنّ هذه التاء تكون علامة[٥٠] .

وأوضح ابن هشام أنّه من غريب التاء الاسمية أنّها قد جرّدت عن الخطاب حتى التزم فيها لفظ التذكير والإفراد في :أريتكما، وأريتكم، وأريتكَ، وأريتكِ، وأريتكنّ[٥١] .

٣- تاء التأنيث الساكنة :

وأمّا تاء التأنيث ، فهي حرف يلحق الفعل دلالة على تأنيث فاعله ، لزوماً في مواضع ؛ وجوازا في مواضع [٥٢] ، ولا محلّ لها من الإعراب ، وإنّما جاز إلحاق علامة التأنيث بالمسند مع أن المؤنث هو المسند إليه دون المسند ، للاتصال الذي بين الفعل وهو الأصل في الإسناد وبين الفاعل ، وذلك الاتصال من جهة احتياجه إلى الفاعل وكون الفاعل جزءاً من أجزاء الفعل، فتأنيث الفعل لتأنيث فاعله ، مثل تثنية الفاعل و جمعه لأجل الفعل مرتين أو أكثر كقول الحجاج : يا حرسي اضربا عنقه ؛ أي اضرب اضرب[٥٣] .

وإنّما سكّنت بخلاف تاء الاسم ؛ لأن أصله الأعراب وأصل الفعل البناء فنبّه سكون التاء على بناء ما لحقته لأنها كالصوت الأخير ممّا تلحقه[٥٤] .

ومن الباحثين المحدثين[٥٥] ، من يرى أن تاء التأنيث ضمير كتاء الفاعلين ، وليس هذا بدعا منه ؛ فقد قال باسميّتها الجلولي على ما نقله ابن هشام في المغني[٥٦] .

وخلاصة ما ذهب إليه هؤلاء، من عدّ تاء التأنيث ضميرا ، أنها لا تختلف عن التاءات الأخر في شمول تعريف الضمير لها ، وأنه يمكن تخريج ورود الفاعل بعدها ، بأنه بدل ، أو عطف بيان ، أو مبتدأ ، خبره الجملة قبله[٥٧] .

والقول بأن هذه التاء مشمولة بحدّ الضمير، يمكن أن يردّ عليه بمثل ما قيل في الكلام على الزوائد في أول المضارع. وجواب آخر أن تعريف الضمير لا يشمل تاء التأنيث ؛ لأن التعريف يقول : ان الضمير اسم يدلّ على متكلم ، أو مخاطب ، أو غيرهما. ولم تثبت اسميّة

التاء؛ بل ثبت العكس؛ فسقط الاستدلال[٥٨].

٤- التاء التي هي ضمير:

والتاء تنوبُ عن الاسم الظاهر كضمير فاعل للمذكر و المؤنث ، ويبني على الضمّ ، أو الفتح ، أو الكسر، إذ ذكر المالقي هذه النوع من التاء الداخلة على الضمير قائلاً : والمحرّك في أواخرها حرف خطاب نحو: أنتَ، وأنتِ[٥٩].

ومن مواضيع التاء أن تكون للخطاب خاصة مجردة من الاسمية وذلك في أنت وأنت وأنتما وأنتم وأنتن ، وإنّما حكمنا عليها أنها للخطاب خاصّة لأنه قد ثبت أصلها وهو (أنا) ضميرا للمتكلم مذكّرا كان أو مؤنثا ، فلّما صرنا إلى الخطاب وقع الالتباس بينه وبين المتكلم فجعلت التاء لذلك ، أمّا الميم في : أنتما وأنتم ، والنون في: أنتن ،فزائدتان على التاء[٦٠] .

٥- تاء القسم :

فإما تاء القسم : فتعدّ من حروف الجر ولا تدخل إلاَّ على اسم الله وذلك قوله تعالى:{قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ}[يوسف :٨٥]،ونقل عن الأخفش دخولها على ربّ ،قالوا : ترب الكعبة، وخصّ بعضهم دخولها على الرّبّ، بأن يضاف إلى الكعبة[٦١] .

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين)]الأنبياء: ٥٧[. قلت : إنَّ الباء هي الأصل ، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وإنَّ التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه ؛ لأنَّ ذلك كان أمرًا مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره»[٦٢] .

الخاتمة

وفي نهاية المطاف نخرج في بحثنا هذا بنتائج عديدة منها :-

١- أن التاء صوت مهموس منفتح ، شديد ، أسناني - لثوي . وبهذه الصفات تميّز صوت التاء عن بقية الأصوات التي هي معه في مخرج واحد. ولم يختلف القدماء والمحدثون حول التاء؛ إذ كان رأي القدماء صائبا، في وصفهم لمخرج وصفات هذا الصوت.

٢- في المستوى الصرفي تبدّل التاء من مجموعة من الأصوات في العربية ولذلك كثر ورودها في صيغ العربية وأبنيتها. وهذه التاء في زيادتها وإبدالها من أصوات أخرى غالبا ما تكون دالّة على معان جديدة بمفردها أو مع أصوات أخر فالقاعدة (زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني) مطردة في التاء. .

٣- طبيعة صوت التاء المهموس الشديد اختصها بالإبدال من أصوات أخر، من بين بقية أصوات العربية لأسباب مسطورة في علم الأصوات اللغوية وعلم الصرف، فهي تبدل-مثلا- من السين الصوت المهموس الاحتكاكي، وذلك غاية الضعف في الصوت، أي اجتماع الهمس والرخاوة ؛ فأبدل بالتاء الشديدة تمكينا للصوت في النطق.

٤- في المستوى التركيبي كان للتاء دلالات مهمة في التركيب، فهي ضمير يدلّ على الفاعل، وصوت يدلّ على المضارعة، وعلى التأنيث. وهي مع دلالتها على التأنيث تدلّ على معاني فرعية، مثل الدلالة على الكثرة، والتمييز بين المفرد والجمع، والتمييز بين الواحد من الجنس، وتدلّ على المبالغة، وعلى التعجب فضلا عن دلالتها الأساسية في القسم.

٥. حاول بعض العلماء المحدثين - في إطار الدعوة إلى التيسير في النحو العربي - عدّ الزوائد في أول المضارع، وتاء التأنيث الساكنة ضمائر، كحال الضمائر الأخرى؛ وقد تبيّن من خلال البحث رد العلماء والباحثين هذه الآراء.

هذا مجمل لنتائج البحث والحمد لله أولاً وآخراً.

الهوامش

١- ينظر : نظريات في اللغة، د. انيس فريحه، ٩٠
٢- ينظر : العين ، ١٦/١
٣- ينظر : دراسة الصوت اللغوي ،د. احمد مختار عمر،٣١٦
٤- ينظر :استخدامات الحروف العربية،ص٣١
٥- ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها .
٦- ينظر: علم الأصوات ،د. كمال بشر ،٢٤٩
٧- ينظر : العين :١٦/١
٨- ينظر علم اللغة، ص١٥٤-١٥٥
٩- المفصل :١٢٥/١٠
١٠- الدراسات الصوتية :١٧٩
١١- المصدر نفسه: ١٨٠
١٢- الكتاب، ١٣٣/٤
١٣- علم الأصوات :٢٤٩
١٤- دروس في علم أصوات العربية: جان كانتينو،٢٣
١٥- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص١٨٠.
١٦- سر صناعة الإعراب :١٤٥/١
١٧- الرعاية : ١١٦
١٨- الأصوات اللغوية : ٢٢
١٩- أبحاث في علم التجويد : د. غانم قدوري الحمد،٩٣
٢٠- ينظر : علم اللغة : ٢٥٢
٢١- علم الأصوات :٢٥١
٢٢- المصدر نفسه :٢٤٩
٢٣- سر صناعة الأعراب :٦١/١
٢٤- ينظر : الأصوات اللغوية : ٢٤
٢٥- ينظر : المصدر نفسه ،٦١
٢٦- الأصوات اللغوية : ٢٤
٢٧- ينظر :الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٢٢
٢٨- علم الأصوات : ٢٥٠
٢٩- المصدر نفسه ،٢٤٩
٣٠- المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
٣١- النشر : ٢١٧/١
٣٢- كتاب الإبدال : لأبي الطيب اللغوي، ١٤٩
٣٣- التبصرة والتذكرة : الصيمري، ٨٤٨

٣٤- المصدر نفسه، ٨٤٩
٣٥- المصدر نفسه، والصفحة نفسها
٣٦- شرح المفصل : ١٠/ ٣٩
٣٧- المصدر نفسه: ١٠/ ٣٧
٣٨- التبصرة والتذكرة : ٨٥٠
٣٩- المصدر نفسه، والصفحة نفسها
٤٠- المصدر نفسه، ٨٥١
٤١- المصدر نفسه ،٨٥٢
٤٢- شرح المفصل : ٩/ ١٥٦
٤٣- شرح الملوكي : ١٨٨
٤٤- المصدر نفسه ،١٩٢
٤٥- شرح المفصل : ١٥٧/٩
٤٦- شر الملوكي : ابن جني، ١٩٥
٤٧- رصف المباني : للمالقي،٢٣٨
٤٨- المصدر نفسه : ٢٣٩
٤٩- رصف المباني : ٢٤٤
٥٠- مغني اللبيب :١٢٣/١
٥١- المصدر نفسه، ١٢٤/١
٥٢- جنى الداني :٥٧
٥٣- شرح الرضي علي الكافية : ١٤٣٤/٢
٥٤- المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
٥٥- تحقيقات نحوية : ٤٤
٥٦- مغني اللبيب : ١٢٤/١
٥٧- تحقيقات نحوية : ٤٤
٥٨- المصدر نفسه : ٤٧
٥٩- رصف المباني : ٢٤٥
٦٠- المصدر نفسه، والصفحة نفسها
٦١- المصدر نفسه: ٤٥٤
٦٢- مغني اللبيب : ١٢٣/١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- أبنية الصرف في كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ)،د. خديجة الحديثي ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ط أولى، ٢٠٠٣م.

٢- استخدامات الأصوات العربية ، سليمان فياض ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م .

٣- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، القاهرة ، الأنجلو، ط أولى،٢٠٠٧م.

٤- التبصرة والتذكرة، علي بن اسحاق الصيمري، (ت٥٤١هـ)،تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين ، الرياض ، دار التراث الإسلامي ، ط أولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١م .

٥- تحقيقات نحوية ، د. فاضل صالح السامرائي ، عمان ، دار الفكر، ط ثانية ، ٢٠٠٧م.

٦- ترتيب كتاب العين، للخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي،قم، مطبعة أسوة ، ط ثالثة ،١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .

٧- الجنى الداني من أصوات المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي(ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط أولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٨- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد ، عمان ، دار عمار ، ط أولى ، ٢٠٠٩م.

٩- رصيف المباني ، أحمد بن عبد النور المالقي، (ت ٧٠٢ هـ)؛ تحقيق أحمد محمد الخراط ، دمشق ، دار القلم ، ط أولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

١٠-الرعاية، مكي بن أبي طالب القيسي،(ت ٤٣٧ هـ) تحقيق د. أحمد فرحات ، عمان ، دار عمار ، ط أولى، ١٩٩٩م.

١١- سر صناعة الإعراب.، أبو الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٧ هـ)، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط أولى ، ٢٠٠٧م .

١٢- شرح الرضى على الشافية، رضي الدين الاسترآبادي،(ت ٦٨٦ هـ) تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، الخانجي ، ط الثالثة ، ١٩٨٥م .

١٣- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاسترآبادي ، تحقيق د.بشير مصري، الرياض ، وزارة التعليم العالي ، ط أولى ، ١٩٩٦م.

١٤- شرح المفصل ، يعيش بن أبي بعيش النحوي(ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق السيد احمد السيد، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ،ط أولى ، ١٤٢٠هـ.

١٥- علم الأصوات ، د. كمال بشر، القاهرة ، الأنجلو ، ط أولى ،١٩٩٥م.

١٦- علم التجويد ، غانم قدوري الحمد ، عمان ، دار عمار، ط أولى ،٢٠٠٥م.

١٧- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، القاهرة مكتبة النهضة ١٩٩٥م.

١٨- عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين علي بن محمد القوشجي،(ت٨٧٩هـ) تحقيق د. أحمد عفيفي، القاهرة ، مكتبة دار الكتب المصرية ، ط أولى ٢٠٠١م.

١٩- كتاب سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه،(ت ١٨٠هـ) تحقيق محمد عبد السلام هارون ، القاهرة ، الخانجي ، ط ثالثة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- الكشاف ، جارالله محمود الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق محمد القبلاوي، بيروت ، دار المنار، ط اولى ١٩٨٧م.

٢١- رصف المباني في شرح حروف المعاني، احمد بن عبد النور المالقي(٧٠٢هـ)تحقيق: د. احمد محمد الخراط، ط٣، دار القلم، دمشق ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٢- شرح الملوكي في التصريف ، ابن يعيش، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، سوريا/ ط١/ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٢٣- كتاب الإبدال / أبو الطيب اللغوي الحلبي،(ت٣٥١هـ)تحقيق: عز الدين التنوخي ،

١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م .
٢٤- دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، مركز الدراسات والبحوث_ الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.
٢٥- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر، مكتبة عالم الكتب_ مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٢٦- نظريات في اللغة، أنيس فريحة ، دار الكتب اللبناني، بيروت،ط١٩٨١،٢م .
٢٧- المساعد على تسهيل الفوائد ،بهاءالدين بن عقيل(ت ٧٦٩ هـ)،تحقيق محمد كامل بركات ، دمشق ، دار الفكر ، ط أولى، ١٩٨٢م.
٢٨- المنصف ، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق : إبراهيم مصطفى، القاهرة، وزارة المعارف ، ط أولى، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٢م .
٢٩- موسوعة الحروف في العربية ، د. امين بديع يعقوب، بيروت، دار الجيل ، ط اولي، ٢٠٠٠م.
٣٠- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، (ت هـ)، تصحيح محمد الضباع، بيروت، دار الكتاب العالمية، ط أولى، ٢٠٠٣م.
٣١- النظام النحوي، د. عبد الوهاب حسن، عمان، دار الصفاء، ط أولى، ٢٠١١م.

الفِعْلُ الكلاميُّ في النَّحْوِ العَرَبيّ (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) اختيارًا
(قِرَاءَةٌ تَداوُلِيَّةٌ)

The Verbal verb in Arabic grammar (Mosa struck Issa) voluntarily (Conceptual Reading)

أ.م. د. حُسَين عليّ حُسَين الفَتْليّ
تربيةُ بابل / الكُليةُ التَّربَويَّة

أ . د رَحِيم كَرِيم عَلِيّ الشَّريفيّ
جامعةُ بابِل / كليَّة العُلُوم الإسلاميّة

Dr. Hussein Ali Hussain Al-Fettli.
Babylon Education Directorate/ Educational College.

Dr. Rahim Karim Ali Al Sharifi
Babylon University / College of Islamic Sciences.

كلمات مفتاحية : التواصل اللّغوي / اللّغة العربية/ الاستماع الجيد/ المهارات اللّغوية

key words: (Mosa struck Issa, verbal verb, intent of the speaker, case of parsing).

ملخص البحث

لا جَرَمَ أنَّ مهمةَ القراءةِ النَّقديّة للجُملة العربيّة تَتبُّع كيفيّةِ الظَّفرِ بالدِّلالة المرادةِ التي يَرومُها الْمُتَكَلِّمُ أو القاصِدُ أو الناسِجُ للخِطابِ ، فِي ضَوءِ إدراكِ كيفيّةِ قيامِها بوظائِفها ، وهي قراءةٌ تُوصَفُ أحيانًا بأنّها أَلسنيّةٌ أو لغويّةٌ ، لكنّها في حقيقة الأمرِ تتجاوزُ المدى اللّغويّ ، إذْ تُحاوِلُ احتضانَ النصِّ في ظلِّ النفاذِ إلى بعضِ مظاهرِهِ الإشاريّةِ أو الرَّمزيّةِ في بُعْدٍ خاصٍّ .

من هذا الفَهْم سنختبرُ في بحثِنا هذا جُمْلَةَ (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى)، إذْ طالما رَدَّدَها النَّحويونَ على كَوْنِ الحركةِ الاعرابيّةِ تُمثِّلُ إرهاصًا قارًّا في قضيةِ الإعرابِ ، إذْ لها سُهْمةٌ في توضيحِ المعاني (الفاعليّةِ والمفعوليّةِ والإضافيّةِ ...) ، موضّحين أنَّ غيابَ الحركةِ الإعرابيّةِ في الاسمين (مُوْسَى) ، و (عِيْسَى) ، لا يعني حدوثُ اللّبسِ ، و سعينا إلى بيانِ ذلكَ مِنْ وجهةِ نظرٍ تداوُليةٍ للوصولِ إلى الغاياتِ والمقاصدِ الّتي أُنجزت فيها ، إذْ إنَّ قصديّةَ الْمُتَكَلِّمِ ، وإرادتهِ ، والعواملَ السياقيّةَ لها أَثرٌ واضحٌ فِي تفسيرِ المُتلقّي للخِطابِ والرِّسالةِ اللّغويّة .

الكلماتُ المفتاحيّةُ: (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى، الفِعْلُ الكلاميُّ ، قصديّةُ الْمُتَكَلِّمِ ، قَضيةُ الإعراب)

.

Abstract

No offense to critical reading important Arab sentence track how nail the desired give indications that speaker wanted or the intent or the weaver of the speech, in the light of the perception how it functions, which read sometimes described as linguistic, but in fact beyond the linguistic term, as they try to embrace the text In light of penetrating some of its indicative or symbolic aspects in a special dimension.

From this understanding, we will test in our research this sentence (Musa struck Issa), since grammarians have long echoed it on the fact that the Syntactic movement represents a constant accentuation in the issue of syntacte. It has a participation in clarify the meanings (effectiveness, efficacy,and additive) .They showed that the absence of the syntactic movement in the names (Musa) and (Issa) do not mean the occurrence of confusion, and we sought to clarify this from a deliberative point of view to reach the goals and purposes in which they were accomplished. So the intend of the speaker and his will and the contextual factors have a clear effect in recipient explanation for the linguistic speech and letter.

المقدمة

الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين ، وصَلّى اللهُ على أَميرِ البيانِ ، وسَيّدِ الخِطابِ مُحَمَّدِ الخَيْرِ والبَرَكةِ والرَّحْمَة ، وعَلى آلِهِ مَعَارجِ البَيَانِ ، وذَخيرةِ العِلْمِ .أَمَّا بعدُ:

فلا جَرَمَ أنَّ قصديّةَ الْمُتَكَلِّمِ ، وإرادتَهِ ، والعواملَ السياقيّةَ لها أثرٌ واضحٌ في تفسير المتلقّي للخطابِ ، والرسالة اللّغويّة ، وفي استجابةِ المُتلقّي لَها لَمْ تَكُنْ غائبةً عنهُ – مِنْ قبلُ- فِي الدّراسات اللّسانيّة والبلاغيّة القديمة ؛ لكنَّها لم تَحْظَ بدراسةٍ مُتخصصةٍ وشامِلةٍ تنهضُ بمَشْغَلةِ تحديدِ الهويّةِ العلميّة لمثلِ هذا الحقلِ اللّسانيّ المُهِم ، وطبيعةِ الإجراءاتِ المنهجيّةِ فيهِ ، فالنَّص لا يقتصرُ فقط على كونِهِ بِنْيَة تركِيبية لَهَا ظاهِرٌ وباطِنٌ ، وإنَّما هُوَ آلةٌ للتواصلِ بين فردٍ وآخر ، أَو بينَ فردٍ وعدّة أَفرادٍ ، لذا يتحتمُ أنْ يدخلَ ضِمْنَ عناصِر تحديدِ النَّصِّ شيءٌ آخر غير بِنْيَتِه التَّركيبيّة ، فالنَّصُّ وإنْ كانَ في ذاتِهِ صياغة ، فإنّه إلى جانبِ ذلكَ بنيةٌ أدائيةٌ حتَّى إنَّ قيمتهِ الأَدبية كثيرًا ما تكون رهينة المَقامِ الّذي يسلك فيهِ ، وهذهِ هي البِنْيَة الإفضائية الّتي تتوالجُ مَعَ الْبِنْيَةِ التَّرْكِيبِية ، ومِنْ ثَمَّ فالنَّصُّ تركيبٌ وأَداءٌ أَو هُوَ لفظٌ وتلفّظٌ واستقبالٌ [1] .

إنَّ التَّحليلَ الحديثَ لا يُعْنى باللّغةِ مِنْ حيثُ هِي نظامٌ من العَلاقاتِ ، والحركاتُ الإعرابيةُ قائِمٌ بذاتِهِ متكئ على منطقِهِ الداخليّ كما هُوَ الحالُ في البِنْيويّةِ السُّوسوريّة ، إذِ التركيزُ على اللّغة كبنيةٍ مجردّةٍ .

حقًّا وصِدْقًا ، إنَّ عُلماءَ العربيّةِ بمختلفِ اتّجاهاتِهم، واختصاصاتِهِم قَدِ ابتكروا قواعدَ وجُمَلًا موجزةً ومختزلةً ومقتصدةً؛ مِنْ أَجل التَّعبيرِ عن أحكامٍ عامّةً، ومسائِلَ، فراحوا يذكرون هذه المختصرات الجُمَليّة ، والموجزات التعبيريّة ، والمختزلات الأُسلوبيّة ؛ غايتهم في ذلك الهدفُ التعليميّ من جانبٍ ، وسهولة الحفظِ وعدمُ نسيانِ المسألَةِ المُرادِ الحديث عنها مِنْ جانبٍ آخر.

والّذي يَهُمّنا ما ذكرَهُ النَّحويون مِنْ مسائلَ وقضايا نَّحويةٍ مِنْ نَحْو : المَسألَةُ الزُّنبوريّة ، والمسألَةُ الكُحُلِيّة ، ومسألةُ أَكَلُونِي البَرَاغِيثُ ، والمَسْأَلَةُ الّتي نَحنُ بصددِهَا : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى، والّتي ستكونُ محطّ البَحث فِي تكشيفِ حقيقة أَنَّ نَفْيَ الحركات الإعرابيّة لا يؤدي إلى اللّبْسِ والتعمية في تعيين الفاعل والمفعول به ، وإنْ تنزّلنا فإنَّ الحركاتِ الإعرابية لا يمكن الاقتصارُ عليها فِي تحديدِ الفاعليّةِ والمفعوليّةِ والإضافة ومَا إلى ذلكَ ، فَلا بُدَّ من الالتفاتِ إلى قضيةِ الفِعْلِ الكَلاميّ التَّداوُليّ الّذي يقصدُهُ الْمُتَكَلِّم ، والأحداث الكلاميّة والكُلّيّة التي يحدثها الفِعْل الكلاميّ ، إذْ لها أثرٌ جَلِيٌّ في تحديدِ الفاعليّةِ والمفعوليّةِ والنسبةِ والإضافيّةِ بمعاينةِ السياقِ ، وقرائن الأحوالِ .

لا يَخْفَى أنَّ الارتكازَ عَلى الحَركاتِ الإعرابيّة – وحَدَهَا – لا يَقُوْدُ إلى الظَّفَرِ بالدَّلالةِ المُرادَةِ مِنْ جهةٍ، وتَحْدِيد (الفَاعليةِ أَو المَفْعُوليّةِ أَو الإضافيّة وغيرها) من جهةٍ أُخْرَى .

وَبَدَا لَنَا أنْ يكونَ البَحثُ فِي ظلّ فرشِ مادةِ المَضْمونِ الظَّاهرِ فِي تمهيدٍ و ثلاثةِ مطالبَ مترابطةٍ ، هي ، الأُوّلُ : قراءةٌ في قضيةِ الإعرابِ ، والثَّانِي : قصديّةُ الْمُتَكَلِّمِ وإرادتهِ ، والثّالثُ : الفِعْلُ الكلاميُّ ووظيفتُهُ في الخِطابِ النَّحويّ .

التَمْهيدُ: الفِعْل الكلاميُّ بينَ الإنجازيةِ والتأثيرية

أَولًا : الفِعْلُ الكلاميّ مُؤشِرٌ تعريفيٌّ

سَلَكَ جمهورُ النَّحويينَ ولاسيَّما الوظيفيونَ منهم منهجًا تداوُليًا في تحليلِ الظواهرِ التّركيبيّةِ وأَبدوا اهتمامًا كبيرًا بالارتباطِ بينَ الأُسلوب وبينَ معناهُ التَّواصُليّ الإبلاغيّ ووظيفته التَّداوُلية، واعتنوا بالمعانيّ والأَغراضِ الإبلاغية المُتوخاة من الخِطابِ، وفَطَنوا إلى أنَّ البُنى التّركيبيّةَ تابعةٌ للوظيفةِ التَّواصُليّةِ وليس العَكْس ، فظواهِرُ التَقديمِ والتَأْخير ، والإِثْبَات والنَّفْي ، والتَّعْيين ،... لا تعدو أنْ تكونَ أَغراضًا وغاياتٍ تواصُليّة يسعى الْمُتَكَلِّمُ إلى تحقيقِهَا ، وَهِي بلغةُ المُعاصرين تُسَمّى (أَفْعالًا كَلاميّةً) .

لذا فإنَّ الفِعْل الكَلاميّ قائمٌ عَلى فِعْليةِ إيقاع التّكليمِ ، وإنجازاتهِ ، وهذا مَا صرَّح بهِ أَبو هلالٍ العَسْكريّ (ت ٣٩٥هـ) ، قال :« إنَّ التَّكليمَ تَعْليقُ الكلامِ بالمخاطَبِ فَهُوَ أخصُّ مِنَ الكَلامِ ؛ وذلك أنّهُ ليس كلُّ كلامٍ خِطابًا للغيرِ» [٢] .

والجديرُ بالذِّكر أنَّ أَولَ مَنْ وَضعَ أُسس هذه النظرية هو الفيلسوفُ (أُوستين) ، وبعدَ ذلكَ طَوَرَها تلميذهُ (سَيْرل) ، ولهذهِ النَّظريّة مجموعةٌ مِن المَفاهيمِ والأَفكارِ الّتي جاءَ بِها (أُوستن) ، ومِنْ أَهمِّ هذهِ الأَفكار : كلُ قولٍ عبارةٌ عَنْ فِعْلٍ فِي حدِّ ذاتِهِ ، واللّغةُ ليست مجرد وسيلةِ تبليغٍ وتواصلٍ ، بَلْ هِي أداةٌ يستعملُها المُتكلمونَ للتأْثيرِ في الخِطابِ .

والفِعْلُ الكلاميّ بحسبِ تعريفِ مسعود صحراوي يعني : التَّصرُف أَو العمل الاجتماعيّ أَو المؤسساتي الّذي ينجزهُ الإنسانُ بالكلامِ (، وتعرّفُهُ فرانسواز أرمينكو بأنّه :« أَفعالٌ ينجزُها الإنسانُ بمجردِ التَّلَفُّظِ في سياقٍ مناسبٍ ، فليسَ التَّلَفُّظ بالخِطاب فعلًا تصويتيًا بَلْ هُوَ فِعْلٌ لُغَويٌّ فهناكَ أَعمالٌ لا يمكنُ إ نجازُهَا إلّا مِنْ خِلالِ اللّغةِ »[٣] .

وبمعنى آخر فإنّ الفِعْلَ الكَلاميّ هُوَ : كُلّ مَلفوظٍ ينهضُ على نظامٍ شكليّ دِلاليّ إنجازيّ تأثيريّ ؛ وَفَضْلًا عَنْ أنّه يُعَدُّ نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسلُ بأفعالٍ قوليةٍ إلى تحقيقِ أغراضٍ إنجازية كـ(الطَلَب والأَمْر والوَعْد والوَعِيد ...) ، وغايات تأثيرية تخصّ ردود فِعْلِ المُتلقِي (كالرَّفضِ والقَبُولِ) ومِنْ ثُمَّ فَهُوَ فِعْلٌ يطمحُ إلى أَنْ يكونَ ذَا تأثيرٍ فِي المُخاطَبِ اجتماعيًا أَوْ مؤسساتيًا ، ومِنْ ثمَّ إنجاز شيء مَا [٤] .

ولَا يَخْفَى أنَّ للفِعْل الكلاميّ أثرًا واضِحًا فِي عمليةِ التّواصُل الخِطابيّ ، فاللّغة تمثّلُ حدثًا كلاميًّا في التَّواصُل الإنسانيّ ، فهي تبحثُ فِي المَعْنى الفِعْليّ للكلامِ حينما تُستعملُ في سياقٍ معينٍ [٥] ، وقد وُصِفَ الفِعْلُ الكلاميّ بمعاينةِ قوتهِ الإنجازيَّة والتأثيريَّة بأَوصافٍ ، منها : الفِعْلُ اللّغوي القَوْليّ ، الفِعْلُ الإنسانيّ ، الفِعْلُ القَصْديّ ، الفِعْلُ المُوجّه ، الفِعْلُ المقيّد ، الفِعْلُ الخاضِعُ للمواضعةِ والتَّعاقدِ ، فِعْلٌ لهُ طبيعةٌ سياقيّةٌ ، فِعْلٌ لَهُ طبيعةٌ إضافيّةٌ [٦] .

ثانيًا: قوةُ الفِعْل الكَلاميّ.

قسَّم أُوستين الفَعْلَ الكَلاميّ على ثلاثةِ أَقسامٍ ، وقدَّم بديلًا مقبولًا لتمييزِ الخَبَرِ مِن الإنشاءِ وعلى النَّحو الآتي :

١.**الفِعلُ القَوْلِي (اللَّفظيّ) :** وَهُوَ فِعْلُ القَوْلِ ويتمثّل

بالنّطقِ بأَصواتٍ لغويّةٍ ينتظمُهَا تركيب نحويّ صحيحٌ ينتجُ عنهُ معنًى محددٌ هُوَ المَعْنَى الحَرْفِي ، و يتشكّلُ مِنْ ثلاثةِ أَقوالٍ ، الفِعْلُ الصوتيّ ، والفِعْلُ التركيبيّ ، والفِعْلُ الدّلاليّ .

٢.**الفِعْلُ الإنجازيّ :** وهو الفِعْلُ الّذي يُنْجَزُ بوساطةِ القَوْلِ ، مِثل : السُّؤَالُ ، وَالوَعْدُ ، والتَّحْذِيرُ والتَّأكيدُ ، والأَمْرُ ... أَيْ أنَّ الْمُتَكَلِّمَ يقومُ بهِ أثناء تلفظهِ ، لينجز بهِ مَعْنَى قَصْدِيًا .

٣.الفِعْلُ التأثيري : وَيُقْصَدُ بهِ الأَثر الّذي يحدثهُ الفِعْل الإنجازي بالسامِعِ أو المخاطَبِ ؛ فيتسبّبُ في نشوءِ تأثير في المشاعرِ والأفكارِ كالإقناعِ ، والتَّضْليلِ والإرشادِ والتَّخويف [٧].

وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فإنَّ أُوستين صنَّف الأَفْعَالَ الكَلاميّة بحسبِ قوتِها الإنْجَازيّة إلى : الحُكميّات (أَفْعَالُ القَرارات التَّشريعيّة) ، والتَّنفيذيات (أَفْعَالُ المُمَارساتِ التَّشريعيّةِ) ، وَالوَعْديّات (الأَفْعَال الإلزاميّة) ، والسُلوكيّات مثلُ: الشُّكْر ، والاِعْتِذَار، والتَّهانيّ ...، والتّبيينات (الأَفْعَال التّفسيريَّة) مثل : شَرَحَ ، اعترَضَ ، وَصَفَ ... [٨] .

واستطاعَ سِيرلْ أنْ يُميِّزَ بينَ الأَفعالِ الإنجازيّة المُبَاشِرة والأَفْعَال الإنجازيّة غَيْر المُبَاشِرة استنادًا إلى قوتِها ، فالأَفْعَالُ المُبَاشِرةُ لديهِ هي الأَفْعَالُ الّتي تُطابِقُ قوتِها الإنجازيّة قَصْدَ الْمُتَكَلِّمِ أمّا الأَفْعَالُ الإنجازيّة غير المُبَاشِرة فَهِيَ الّتي تُخَالِفُ قوتها الإنْجَازيّة قَصْدَ الْمُتَكَلِّمِ وهذهِ الأَفعالُ لا تدّلُ صورتُها التّركيبيّة على زيادةٍ في المَعْنَى الحرفيّ الإنجازيّ ، وإنَّما الزِّيادةُ متأتيّة من مَعْنَى الْمُتَكَلِّمِ [٩] .

المَطْلبُ الأَوّلُ : قراءةٌ فِي قَضيةِ الإعرابِ

لَعَلَّ مِن بَدَهِي القَوْل : إنَّ علماءَ العربيّة جَعَلُوا مِنْ قضيّة الإعرابِ مُحْتَكمًا رئيسًا فِي الإبانةِ عن المعانِي ، وشاهدًا أَمينًا على المَقاصِدِ والغَاياتِ ، ولاسيَّما بعدَ أنْ صَارَ الإعرابُ فنًّا نشأَ معَ علمِ النَّحْوِ ، إذِ استعانَ بهِ المفسّرونَ في توضيحِ الآياتِ في كُتُبِهم المفسّرةِ ، ولذلك كانَ تعلّمُ الضَّبْطِ الإعرابيّ ، وقواعد النَّحْوِ أمرًا لازمًا في فَهْمِ القُرآنِ الكريمِ ، والحديثِ النَّبويّ الشَّريفِ ، والتُّراثِ العربيّ من شعرٍ ومَثَلٍ وحكمةٍ .

ولا بُدّ – قبلًا – من الإلماحِ إلى تَكشيفِ وظيفةِ الإعرابِ عند القُدَامَى ، إذْ تتجلّى لهُ وظيفتانِ ، الأُولَى : أنَّ هذهِ الحركاتِ لا تدلُّ على معانٍ ،إذْ لَمْ يعربُ الكَلامُ للدّلالةِ على المَعانيّ والفَرْق بين بعضِها وبعضٍ ، وهذا مذهبُ محمّد بن المستنير المُلقّب بقُطرُب « وإنّما أَعْرَبَتِ العربُ كَلامَها ؛ لأنَّ الاسمَ في حالِ الوقفِ يَلْزَمُهُ السكونُ لِلوَقفِ ، فَلَوْ جَعَلَوا وَصْلَهُ بالسِّكُونِ أيضًا ، لكانَ يَلْزَمُهُ الإسكانُ في الوَقْفِ والوَصْلِ ، وكانوا يُبْطِئون عند الإدْراج ، فَلَمَّا وَصَلُوا وأمْكَنَهُمُ التَّحريكُ ، جَعَلُوا التَّحرِيْكَ مُعاقِبًا ، للإسكانِ ليعتدلَ الكلامُ »[١٠] ، فالحركاتُ – عندهُ- آليةٌ لاعتدالِ الكَلَامِ ، ولِتَسْهيلِ النُّطقِ بالسَّواكنِ ؛ لذلك جاءَ كلامُ العربِ من متحرّك وساكنٍ ، ولم يَجمعوا بينَ ساكنينِ في حَشْوِ الكلمةِ [١١].

وممّنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ قُطربٍ من المُحَدثين الدّكتور إبراهيم أَنيس ، إذْ يرى أنّه : « ليسَ للحركاتِ الإعرابيّةِ مدلولٌ ، وأنّ الحركاتِ لَمْ تكنْ تُحَدِدُ

المَعانيّ فِي أَذهانِ العَربِ الأَقدمين ، وَهِي لا تَعْدو أنْ تكونَ حركاتٍ يُحتاجُ إليها في كثيرٍ من الأَحيانِ لوصلِ الكلماتِ ببعضِها » [١٢] أَي : إنَّ حركاتِ الإعرابِ للوَصْلِ في دَرْجِ الكلامِ ، ولَيْستْ ذات قيمةٍ دِلاليّة مطّردة .

الثانيّة : أنّها تُمَثّلُ دَوالًا على المَعَانِي ، وَهُوَ مذهبُ جمهورِ النَّحويينَ القُدماءِ ، إذْ لَمْ يختلفوا فِي إعرابِ الأَسْماءِ عَلى معانٍ ، فجاءَتْ مصنّفاتُهم على أَساسِ دراسةِ المُرفوعاتِ والمَنْصُوباتِ والمَجْروراتِ ، قالَ ابنُ قُتيبة (ت ٢٧٦هـ) راصِدًا مَا تودّيه العَلاماتُ الإعرابيّةُ من أدوارٍ وظيفيّةٍ في الإبانةِ عن المَعَانِي النَّحويّة: « وَلَها الإعرابُ الذي جعلَهُ اللهُ وَشيًا لكلامِها ، وحِلْيَةً لِنظامِها ، وفارقًا في بعضِ الأحوالِ بَيْنَ الكلامينِ المتكافِئينِ ، والمعنيينِ المختلفينِ كالفاعِلِ والمَفْعُولِ لا يَفْرُقُ بينهما إذا تساوتْ حالاهُما في إمكانِ الفِعْلِ أنْ يكونَ لكلِّ واحدٍ منها إلّا بالإعراب »[١٣]، ويبدو أنّ الزَّجاجيَّ كانَ أكثر تصريحًا بوظيفةِ الحركاتِ الإعرابيّة ، قَالَ : « إنَّ الأسماءَ لمّا كانتْ تَعْتَورُها المَعانِي فتكون فاعِلةً ، ومفعولَةً ومضافَةً ، ومضافًا إليها ، ولم تكنْ أدلّةً على هذهِ المَعاني ، بلْ كانتْ مشتركةً ، جُعلِتْ حركاتُ الإعرابِ فِيها تنبئ عَنْ هذِهِ المعانيّ » [١٤]، ولم يكتفِ بذلك فذكر أنّه لَوْ التبسَ على المَرْءِ معنًى من المَعانِي ، وأَرادَ إيضاحَهُ لم يُمْكنه ذلك بغير معرفةِ الإعراب ، فبالإعراب تتميّز المَعَانِي وبهِ يُوقَفُ عَلى أَغراضِ المُتكلمينَ [١٥].

وقد أَلمَحْنا – مِن قبلُ- أنَّ عبدَ القاهرِ الجُرجانيّ (ت٤٧١هـ) قد جَعَلَ الحركاتَ الإعرابيّة العَتَبَة الرَّئيسةَ فِي استكشافِ الدِّلالة ، ويَرَى أَيضًا أنَّ عِلْمَ الإعرابِ هُوَ « مشترَكٌ بينَ العَربِ كلِّهم ، ولَيْسَ هُوَ مِمّا يُسْتنبَطُ بالفكرِ ، ويُسْتعانُ عليهِ بالرَّويّةِ ، فليسَ أَحدهم ، بأنَّ إعرابَ الفاعِلِ الرفعُ ، أَو المفعولِ النَّصبُ ، والمضاف إليهِ الجَرُّ بأعْلَم مِن غَيرهِ ، ولا ذاكَ المَفْعُولُ بهِ مِمّا يَحْتاجونَ فيهِ إلى حِدَّةِ ذهنٍ ، وقوةِ خاطرٍ» [١٦].

وَلَم يقتصرْ القُدامَى على هذا الفَهْم البيانيّ للحركاتِ الإعرابيّة من وُجْهةِ أَنَّها تُميّز المَعاني ، وأَنَّها تُسَهّل النّطقَ ، بل ثمّة آراءٌ تنبئ أنَّ الحركاتِ الإعرابيةَ طريقٌ مثلى للتفاهُم ، إذْ « إنَّ واضع اللّغة حكيمٌ، ومِن حكمتهِ أنْ يضعَ الكَلام للتفاهُم ، ولا يتمُّ التفاهم إلّا بالإعرابِ ، فوجبَ أنْ يكونَ مُقَارنًا للكلامِ ؛ لتحصلَ فائدة الوَضْعِ ، وأمّا البناء ، فلا يُعرف المَعْنَى فيهِ مِن اللّفظِ ، وإنّما يعرف بجهةٍ أُخرى ، ألا تَرَى أنَّك إذا قُلْتَ : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى ، لَمْ يُفْهم من اللّفظ الفاعِل من المفعولِ ، وإنّما مَيَّزوا بينهُمَا بأَنْ أَلزَمُوا الفاعِلَ التَّقديم » [١٧] .

وحسبُنا بَعْدَ هذا المتقدِّم القَوْل : إنَّ جملةَ (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) أصْبَحَتِ العِكّاز الّذي يتوكأ عليهِ مَنْ قالَ : إنَّ الحركاتِ الإعرابيّة دَوالٌ عَلى المَعَانِي ، إذْ يتعيّن – بحسبِ صنيعِهم- أنْ يكونَ (مُوْسَى) فاعلًا ، و(عِيْسَى) مفعولًا ، إذْ « يَمْتَنعُ هنا تقديم المَفْعُولِ عَلى الفاعِلِ خَشيةَ التباس أحدهما بالآخَر»[١٨] .

وَفِي جَوازِ تقديمِ المُفْعُولِ عَلى الفاعِلِ اعْتِمَادًا عَلى القَرينةِ المَعنويةِ ، قَدَّم ابنُ جنيّ أمثلةً تعتمدُ

في بعضِها على دلالةِ المفردات المختارة فِي الجُملةِ وإمكان علاقتها النّحويّة ، يقول : « فإنْ كانَتْ هناكَ دِلالةٌ أُخرى مِنْ قبلِ المَعْنى وقعَ التَّصرفُ فيهِ بالتقديمِ والتأخيرِ نَحْوُ : أَكَلَ يَحْيَى كُمَّثْرَى: لَكَ أَنْ تُقَدِّمَ وأَنْ تُؤخِّر كيفَ شئتَ وكذلكَ ضَرَبَتْ هَذَا هذِهِ وكلَّمَ هذهِ هَذا»[١٩] ويقولُ الرَّضيّ: « والمعنويّةُ نحو: أَكل الكُمَّثْرَى مُوْسَى واستَخْلَفَ المُرْتَضَى المُصْطَفَى » [٢٠] .

فِي المثالِ الأوّل (أَكَلَ الكُمَّثْرَى مُوْسَى) القرينةُ المعنويةُ حاكمةٌ أنَّ (مُوْسَى) فاعِلٌ وإنْ تأَخَرَ رُتبَةً، وَ (الكُمَّثْرَى) مفعولٌ وإنْ تقدَّمَ ، إذْ إنَّ العَلاقةَ بينَ الأَكلِ و الكُمَّثْرَى لَا يُمْكِنُ أنْ تكونَ هي عَلاقَةُ الفاعليةِ، بَلْ عَلاقَةُ المفعوليّةِ ، لِذَا جَازَ أنْ يتقدَّمَ الفاعِلُ أَو يتأخرَ مَعَ فقدانِ العَلامَة الإعرابيّة الكاشِفَة عَنْهَا .

فالإعرابُ ليسَ الوحيد في تعيينِ الفاعليةِ والمَفْعُوليّةِ والإضافيّةِ إذْ لَوْ كانَ (عِيْسَى) فِي مَسْأَلةِ (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) أَميرًا أَوْ قائِدًا أَوْ أَبًا أو مُعَلِّمًا يُعْرَبُ فاعِلًا بِلا منازِعٍ ، وإنْ تأَخَرَ رُتْبَةً ، والحَالُ نفسُهُ فِي المثالِ الثّانِيّ (اسْتَخْلَفَ المُرْتَضَى المُصْطَفَى) ، فالقَرينَةُ المَعْنويّةُ حاكِمَةٌ أنَّ المُصْطَفَى فاعِلٌ ، وإنْ تأَخَرَ رُتْبَةً إذْ لَا بُدَّ أنْ يكونَ المُتلقيّ عارِفًا بأنَّ لقبَ المُصْطَفَى خاصٌ بالرَّسولِ (صَلّى اللهُ عليهِ وآلهِ) ، وبأنَّ لقبَ المُرْتَضَى خاصٌ بالإمامِ عليٍّ (عليهِ السَّلامِ) ، وَلَمْ تعرف الأُمَةُ آنذاكَ مُسمى بـ(المُرْتَضَى) غيرَ عليّ بن أَبي طالب(عليه السلام) -كَمَا فِي الفِقْهِ الأَكبرِ لأَبي حنيفة النُّعمان (رحمهُ الله تَعالى) [٢١]- ثمَّ صارَ عَلَمًا عليهِ لكَثْرةِ الاسْتِعمالِ[٢٢].

وقال ابنُ الحاجِب (ت٦٤٦هـ) فِي بابِ الكَلامِ فِي تقديمِ الفاعِلِ وتأخيرِهِ على سبيلِ الوُجوبِ : « في وجوبِ التَّقديم وإذا انتفى الإعرابُ لفظًا فبهما والقَرينة ، مثل : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى ، أو كانَ يعني الفاعِل مُضْمَرًا مُتصِلًا مثل : ضَرَبْتُ ، أَوْ وَقَعَ مفعوله ، يعني مفعول الفاعِل بعد (إلّا) أو مَعْنَاهَا ، وَجَبَ تَقْدِيمُهُ » [٢٣].

والحقُّ أنَّ ابنَ الحاجِبِ بوصْفِهِ نَحْوِيًّا وأُصوليًا قد تَبَدّى لهُ أمرٌ مُهِمٌ في مباحثَتِهِ البَيَانيّةِ ، وهِيَ القَرينةُ الّتي تُعَدُّ مِنْ لَوَازِمِ السياقِ اللَّفْظِيّ ، إذْ غَدَتْ علامَةً ذات لُحْمَة وُثْقى في تعيينِ الفاعِلِ والمَفْعُولِ فِي جُمْلَةِ : (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) تُضَافُ إلى مَا سنذهَبُ إليهِ فِي توظيفِ قصديّةِ الْمُتَكَلِّمِ وإرادتِهِ مِنْ وُجْهةٍ ، وفاعليةِ الفِعْلِ الكَلاميّ فِي الرِّسالةِ اللُّغويةِ مِنْ وَجهَةٍ أُخرى فِي التَّعيينِ .

وَيَقْصُر رضيّ الدّين الاسْتَرابَادِي (ت٦٨٦هـ) خَوْفَ اللّبسِ سببًا رئيسًا فِي وُجوبِ تقديمِ (مُوْسَى) في جملةِ : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى ، قال : « وإذا خِيفَ التباسُهُ بالآخَرِ ، وجبَ تقديمُهُ ، نَحْوُ : أَعْطَيْتُ زيدًا عَمْرًا ، فإنَّ هَذا فِي ذَا البابِ كَـ(ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) فِي بابِ الفاعِلِ» [٢٤].

ولعلّهُ يَحْسُنُ بَعْدَ هذا المتقدّم أنْ نتبصّرَ فِي مقولاتِ المُحْدَثين الّتي لا تكادُ تخرجُ عَنْ المقولاتِ آنفةِ الذِّكْرِ ، إذْ تَجَلَّى الفَهْمُ المَرْكُوز فِي كونِ الحَركاتِ الإعرابيّة هِيَ المَحَكّ الرئيس في تعيينِ المَعَانِي، وقد نَهَدَ إبراهيمُ مُصْطَفَى في كتابهِ (إحياء النَّحو

) إلى اسْتِجلاءِ وظيفةِ الإعرابِ ، ودلالةُ الحركاتِ الإعرابيّة ، فَذَهَبَ إلى أنَّ « الضّمّةَ عِلْمُ الإسنادِ دليلٌ أَنَّ الكلمةَ المرفوعة يُرادُ أنْ يسندَ إليها ويتحدّث عَنْهَا ، والكسرةَ عِلْمُ الإضافةِ وأَشارَ إلى ارتباطِ الكلمةِ بِمَا قبلها بأداةٍ أَو بغيرِ أَداةٍ ، ولا يخرجُ كلّ منهما عَنْ هَذا إلّا أنْ يكونَ فِي بناءٍ أَو إتباعٍ »[٢٥] .

وَقَدِ التفتَ الدكتورُ تمّامُ حَسّان فَضْلًا عَن العَلاماتِ الإعرابيّةِ فِي بيانِ المَعانِي إلى قرينةِ الرُّتْبَةِ بوصفِها « مِنَ القرائِنِ المُتضافرةِ على تعيينِ مَعْنى البابِ ، وقَدْ سَبَقَ فِي إعرابِ : (ضَرَبَ زيدٌ عَمْرًا) أنْ كانتِ الرّتْبَةُ فِعْلًا بين القرائنِ المُسْتَخْدمةِ فِي تعيينِ مَعْنى الفاعِلِ ؛ لأنّهُ بَعْدَ الفِعْلِ بحسبِ الرُّتْبَةِ ، بَلْ إنَّ الرُّتْبَةَ غيرَ المَحْفُوظةِ قَدْ تدعُو الحَال إلى حفظِها إذَا كانَ أمنُ اللَّبْسِ يتوقّف عليهَا ، وذلكَ فِي نَحْوِ : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى ، ونَحْوُ : أَخِي صديقي ؛ إذْ يتعيّنُ في (مُوْسَى) أنْ يكونَ فاعِلًا ، وفي (أَخي) أنْ يكونَ مبتدأً محافظةً على الرُّتْبَةِ ؛ لأنَّها تزيلُ اللَّبس »[٢٦] ، وهي هُنَا تُعَدُّ القرينةَ الرئيسةَ على البابِ النَّحويّ .

والحقُّ أَنَّنا نَفِيء إلى الوَجهِ الّذي ذكرهُ الدّكتور تمّام حسّان في تعيينِ الفاعِلِ والمفعولِ وغيرِها باستشرافِ قرينةِ الرُّتْبَةِ ؛ إلّا أَنَّ الاتّكاءَ عليها وَحْدَهَا أَمرٌ مَنْقُوصٌ فِي تحديدِ المَواقِعِ والظَّفرِ بالمَعَانِي .

وقبلَ أَنْ نستعرِضَ آراءَ الّذينَ وظّفُوا شيئًا يسيرًا مِنْ مقاصدِ الكَلامِ ، والقرائِن في تعيينِ المَعَانِي النَّحْويّة لَا بُدَّ مِن الإشارةِ إلى الالتفاتةِ المُعْجبة ، والمباحثةِ الباصرةِ لـ(ابن الحاجّ الأندلسيّ ت ٦٤٧هـ) ، إذْ أَلْمَحَ إلى أنَّ « الإجمالَ مِنْ مقاصِدِ العُقَلاءِ ، فإنَّ لَهُم غَرَضًا فِي الإجمالِ كَمَا أنَّ لَهُمْ غرضًا في البيانِ ، وبأَنّهُ يجوزُ أنْ يُقَالَ : (زيدٌ وعَمْرٌ : ضَربَ أَحدُهما الآخَر) ، إذْ لَا يُبْعَدُ أنْ يقصدَ قاصِدٌ ضَرَبَ أَحدُهُمَا مِنْ غيرِ تعيينٍ ، فيأتي باللّفظِ المُجْمَلِ ، وبأنَّ تأْخيرَ البيانِ لوقتِ الحّاجَةِ جائِزٌ عَقْلًا باتفاقٍ عندَ الأصوليينَ ، ولغةً عندَ النَّحويينَ ، فَلَا يمتنعُ أنْ يتكلّم بالمُجْمَلِ ويتأَخّر البيان إلى وقتِ الحَاجَةِ » [٢٧] .

إذْ يَلِحُّ ابنُ الحاجِّ إلحَاحًا بيّنًا عَلى سُهْمة المَقاصِدِ ، وإرادةِ الْمُتَكَلِّمِ في الإبانةِ عن المَواقِعِ ، وتعيين المَعَانِي[٢٨] .

ومن التّصورّات التي تسيرُ في ركبِ مَا قالهُ ابنُ الحاجّ قول ابنُ خلدون (٨٠٨هـ) ، إذْ يَرَى أنَّ الأساسَ هُوَ مطابقة الكلامِ للمقصودِ ولِمُقْتَضَى الحَالِ « فالإعرابُ لا مدخلَ لهُ في البلاغةِ ، إنّما البلاغةُ مطابقة الكلامِ للمقصودِ ، ولِمُقْتَضَى الحَالِ من الوجودِ فيهِ سَواءٌ كَانَ الرَّفعُ دالًا على الفاعِل ، والنَّصب دالًا على المَفْعُولِ أَو العَكْسِ ، وإنّما يدلُّ على ذلكَ قرائنُ الكَلامِ » [٢٩].

مِنْ هُنا ، كانَ المفروضُ أنْ يكونَ للنَّحْوِ وظيفةُ إظهارِ المَعَاني، بمعنى لَا يكونُ الشُّغل الشاغِلُ هو العنايةُ بالعَواملِ ، والصيغِ ، والأساليبِ والتأليفِ ، فلا بُدَّ من العنايةِ بالدِّلالاتِ الّتي تبرزها تُلكم التآليف فضلًا عن العنايةِ بمرادِ الْمُتَكَلِّمِ وَقَصْديتهِ ، وهَذا ما التفتَ إليهِ الدّكتور مَهْدِي المَخْزُوميّ[٣٠] والدّكتور مُصْطَفَى جَمالُ الدّينِ [٣١] ، والدكتور مهدي أَسْعَد عَرّار[٣٢] ... وغيرُهُم .

ومُسْتَصْفَى هَذا المَطْلَب ، أنَّ الارتْكَازَ عَلى كونِ

الحركاتِ الإعرابيةِ هِي الرافد الوحيد فِي تحديدِ مراتبِ الكلامِ أمر غير متسالم ؛ فلا بُدَّ من الالتفاتِ إلى قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ وإرادتهِ ، فضلًا عن أَثرِ الفِعْل الكلاميّ وظيفيًّا .

وتجدُرُ الإشارةُ هُنا إلى أنَّ التَّداوُليّةَ بوصفِها إرهاصًا لسانيًا حديثًا ، غايتُها الاهتمام بالاستعمالِ والعناية بالشروطِ التي تَجْعَلُ الأقوالَ مفهومةً ومقبولةً وملائمةً في المواقف التَّواصُليّة [٣٣] ، بصرفِ النَّظرِ عن الحَركاتِ الإعرابيّة ففي قولِهِ تَعَالى : (إنّما يَخْشى اللهَ مِنْ عبادِهِ العلماءُ) [فاطر/ ٢٨] ، فالمَعْنى نفسهُ يفرض رَفْع العُلماءِ فاعِلًا ، ونصب اسم الجَلالةِ (الله) مفعولًا والحَال نفسها فِي قولِهِ تَعَالَى :(إنَّ اللهَ بريءٌ من المشركينَ ورسولَهُ) [سورة براءة/٣] ، فلو لَمْ تكنْ هذه الآية معربةً ، لأمكَنَ معرفة إعرابها في ظلّ السياقِ وقرائن الأحوالِ .

وعودٌ على بَدْء ، فإنَّ دينامية التَّركيب فِي جملةِ (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) الآليةُ فِي كشفِ الدِّلالةِ فِي تشكيلِ الصورة ومعانيها المُتلوّنة باستشرافِ إحساس الْمُتَكَلِّمِ وانفعالاتِه النفسّيةِ ، وليس أَواخِر الكلماتِ وما يطرأُ عليها أَو يمسُّها من حركاتٍ أو مبانٍ ، وهذا ما سيتلمَّسُهُ المَطلبُ الثّانيُّ والثّالثُ .

المطلبُ الثَّاني: قصديّةُ الْمُتَكَلِّمِ و إرادتُهُ

ما مِنْ رَيْبٍ أنَّ الأَصْلَ فِي الكَلامِ هُوَ القَصْدُ فالإنسانُ كائِنٌ قاصِدٌ ، فَهُوَ يريدُ إفهامَ متلقِّيْهِ ؛لأنَّ هَذا الصنيعَ هُوَ الأَساسُ فِي قيامِ الاجتماعِ الإنسانيّ ، و التَّواصُل الإبلاغيّ .

فالعِلمُ بالمقاصِدِ يُعَدُّ لازِمةً أساسيّةً في تحقيقِ الخِطابِ و أَغراضِهِ، وإيصالِ الْمُتَكَلِّمِ مرادَهُ إلَى سامِعِيْهِ ، بَلْ إنَّ المُتلقّيَ للخِطابِ ؛ بِمَا أنّهُ العنصرُ المقصودُ بخطابِ الْمُتَكَلِّمِ لا يقدرُ عَلى ممُارَسَةِ فِعْلِ التأويلِ مَا لَم يكنْ عَارِفًا بمقاصدِ الْمُتَكَلِّمِ [٣٤] .

يَرَى الجاحِظُ (ت٢٥٥هـ) أنَّ : « مدارَ الأَمرِ و الغايةِ التي إليها يجري القائلُ و السامِعُ إنّما هو الفَهْمُ و الإفهامُ , فبأيّ شيءٍ بَلَغْتَ الإفهامُ , و أوضحتَ المَعْنى فذلكَ هُوَ البيانُ في ذلكَ المَوْضِعِ » [٣٥] ، فعبارتُهُ تُفْصِحُ أنَّ نجاحَ العمليّةِ التواصُليّةِ هو تحقّقُ الفَهْمِ المرادِ , و إدراك المُتَلقِي لقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ فيقررُ مبدأ توافرِ القَصْدِ بَيْنَ القائلِ و السَّامعِ .

واستشعر ابنُ جِنّي (ت٣٩٢هـ) إسْهامَ الوجوهِ المُشَاهَدةِ في التَّواصُلِ و الإبانةِ إذْ إنَّها دليلٌ على مَا فِي النفوسِ [٣٦] .

ويكاد يتفقُ البلاغيونَ القُدامَى و اللّسانيونَ على لُزومِ توافرِ القَصْدِ في النصِّ أَو الكلامِ ؛ لذلكَ فمتى ما خَلَا النَّصُّ أو الكلامُ من القَصْدِ أصبحَ بِلا قيمةٍ ، و خرجَ من دائرةِ الاهتمامِ , « فأَهلُ العربيّةِ يَشْتَرِطون القَصْدَ في الدَّلالةِ فما يُفْهَمُ من غَيْرِ قصدٍ من الْمُتَكَلِّمِ لا يكونُ مدلولًا للّفظِ عِنْدَهم »[٣٧]، أي : أنَّ دَلالةَ النَّصّ تَرْتَبِطُ بإرادةِ النَّصّ و مَقْصَدِهِ .

وقد أشارَ أبو هلالٍ العَسْكريّ (ت٤٠٠ هـ) إلى ارتباطِ مَعْنى النَّصّ بالقَصْدِ الذي أرادَهُ خالقُ النَّصِّ قال : ((المَعْنَى هُوَ القَصْدُ الذي يَقَعُ بِهِ القولُ على وجْهٍ دونَ وجْهٍ ، و قَدْ يكونُ مَعْنَى الكَلَام في اللّغةِ ما تعلّق به القَصْدُ » [٣٨] ، ورصد عبدُالقاهرِ الجرجاني (ت ٤٧١هـ) هذا القَيْدُ مصرّحًا بإجماعِ العُقَلاءِ

على أنَّ ((العِلْمَ بمقاصدِ النّاسِ في محاوراتِهِم عِلمُ ضرورة)) [٣٩] ، و هذا ما فَطَنَ لهُ ابنُ مالك (ت ٦٧٢هـ) في حدِّه للكلامِ ، قَالَ :« الكَلامُ مَا تَضمَنَ مِن الكلم إسنادًا مفيدًا مقصودًا لذاتهِ »[٤٠] ، وَ يَرى ابنُ القيّم الجَوزيّة(ت٧٥١هـ) : « أنَّ الألفاظَ لَمْ تُقْصَدْ لذواتِها ، وإنّما هِي أَدلةٌ يُسْتَدَلُ بِها عَلى مُرادِ الْمُتَكَلِّمِ ، فإذا ظَهَرَ مُرادُهُ و وضّحَ بأيّ طريقٍ كان عُمِل بِمُقْتَضَاهُ »[٤١] .

و تأسيسًا لِمَا سُقْناهُ من قَصْدِيةِ الْمُتَكَلِّمِ و الكَلامِ ، فإنَّ مَدْلُولَ القَصْدِ جُزْءٌ من دَلالة النَّصِّ ، و لَيْسَ جزءًا من دلالةِ الكَلِمةِ ، فايُّ نَّصٍّ يَخْلُو مِن القَصْدِ لَا يَرْقَى إلى مرتبةِ الخِطَابِ ، وَ مِنْ ثَمَّ لا يقوى أنْ يحافظَ على انسجامِه الدَّاخليّ أو على مَنْطِقِهِ الذّاتي ، وسيفقدُ فِي النتيجةِ توجّهَهُ الايصاليّ ، و أنَّ النُّصُوصَ مراتبُ وَ أَنواعٌ ، فهناكَ نصٌّ يقومُ الخِطابُ فيهِ على عددٍ كبيرٍ من الجُملِ ، و هناكَ نصٌّ يقومُ الخِطابُ فيهِ على جملةٍ واحدةٍ ، و هناكَ نصٌّ يقومُ الخِطابُ فيهِ على لفظةٍ مفردةٍ [٤٢] .

وَقَدْ تَنَبَّهَ ابنُ عصفور (ت٦٦٩هـ) قبلًا إلى أَثَرِ إغفالِ القَصْدِ و إرادة الْمُتَكَلِّمِ ، و من ثَمَّ نَفِى ظُهُورِ المَعْنَى المُبيّن فِي وجوبِ عدمِ تقديمِ المَفْعُولِ عَلى الفاعِلِ فِي جملةِ :(ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) ، قالَ فِي بابِ الفاعِلِ : « و مرتبتُهُ أنْ يكونَ مقدّمًا على المفعولِ بهِ ، و يجوزُ تأخيرهُ عنهُ بشرطِ أنْ يكونَ في الكلام لفظ مبين ، نَحْوُ قولِكَ : ضَرَبَ زيدًا عمرٌو ، و ضَرَبَتْ مُوْسَى سَلْمَى ... فإنْ لَمْ يَكُنْ في الكَلامِ مِنْ ذلكَ شيءٌ لَمْ يَجُز التَّقديم ، نَحْو قولكَ : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى » ، وهذا ما ألمحنا إليهِ -من قَبْلُ - في مباحثة أَبي العباس بن الحاجّ الأَندلسيّ إلى أَثرِ مقاصدِ العقلاءِ في تعيين الضاربِ من المَضْرُوبِ فِي جملةِ (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) قَالَ : « فَلَا يُبْعَدُ لذلكَ جواز (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) ؛ لإفادةِ ضَرَبَ أَحدهُمَا الآخَر مِنْ غيرِ تعيينهِ » [٤٣] ، فكُلُّ ما كَانَ مَقصُودًا وَمُرادًا أُدْخِلَ في عنايةِ الْمُتَكَلِّمِ ، واهتمامهِ بذكرِه وتخصيصِ الفِعْل بهِ فَهُو أَوْلَى بالتّعيينِ فِي جملةِ : (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) .

و الحقُّ أنَّ علماءَ العربيّةِ يشترطونَ قَصْدَ الْمُتَكَلِّمِ في الكَلامِ لتكونَ لَهَ دِلالةٌ معلومَةٌ ، فإنَّ الحَالَ آذَنَتْ أنْ يكونَ الْمُتَكَلِّم مُريدًا لدلالةٍ معيّنةٍ ، فالدِّلالةُ عِنْدَهم هي فَهْمُ المَعْنى المقصودِ ، لافَهْم الكلامِ مطلقًا [٤٤] .

فالنّحوُ العربيّ قد جَمَعَ إلى حَدٍ كبيرٍ بينَ الشّكلِ و المَعْنى ، فَلَمْ تكنْ دراستُهُ قائمةً عَلى ضَبْطِ أواخرِ الكلِماتِ التي تتألّفُ منها الجملةُ تبعًا لقوانين الاعرابِ فحسب , بلْ تعدّدتْ إلى بَيَانِ أغراضِ المتكلّمين في تأليفِ الجُمَلِ ، و ما يجبُ أنْ تكونَ عليهِ الكلماتُ فِي الجملةِ [٤٥].

الأمرُ الذي يَجْعل دَلالاتِ الألفاظِ ، و الجُمَل غير مقصودة على ذاتِها ، بل هي تابعةٌ لقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ وإرادتهِ ، فوضعُ اللَّفظِ و الجُمَلِ بحسبِ رأي الآمديّ (ت٦٣١هـ) تابعة لغَرَضِ الواضِع ، و الواضعُ كما أنّهُ قد يقصدُ تعريفَ الشيءِ لغَيْرِه ، مُفَصّلًا قد يَقْصِدُ تعريفَهُ مجملًا غير مفصَّلٍ [٤٦] .

و بحسب ما ذكرناه -مِنْ قَبْلُ – فإنَّ أَغلبَ مَنِ استشهدَ بالمَثَل التعليميّ :(ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى)

، يرى أنَّ خَفَاءَ الإعرابِ ، وخوفَ اللّبْسِ ، وعدم وجود القرينة سببٌ في نَفي تقديمِ المفعول (عِيْسَى) على الفاعل (مُوْسَى) ، ولا يَخْفَى أنَّ هذهِ العِلَلَ التي ذُكرتْ ، لا تُعَيّنُ – وحدها – الفاعليّة والمفعوليّة ، فضلًا عن الرّتْبَةِ و الإسنادِ وغير ذلكَ .

ونخالُ أنَّ إغفالَ إرادَة الْمُتَكَلِّمِ و وقصديتِهِ حَالَ دونَ تعيينِ الفَاعِلِ وَ المَفْعُولِ , فالقَصْدُ و الإرادةُ مِن لَدُن الْمُتَكَلِّمِ هي تاهيلٌ وتنشيطٌ وإيقاظٌ للمَعَانِي الأَصلية الّتي تحجبُهَا الحركاتُ الاعرابيّةُ؛ لذلك تُعَدُّ الإفادةُ و الإفهامُ أهمّ مقاصدِ الخِطابِ الطبيعيّ، بَلْ جوهرُ وجودِهِ ، فالمقصودُ في كلّ كلامٍ هو حصولُ إرادةِ الإفهامِ التي مِنْ دُوْنِها لا تتحقّقُ علاقةُ التواصُلِ[٤٧].

واستشعرَ الدكتورُ نجاحُ العُبَيْديّ قصديّةَ الْمُتَكَلِّمِ و ارادتَهُ ، و هو يحلّلُ نصوصَ سِيبْوَيه (ت ١٨٠هـ) دَلاليًا قال :« إنّ الاسمَ يتأثرُ بالفِعْل مِنْ جِهَتينِ ، الأُولى : هي القربُ الموقعيّ و عدمُ نَقْضِ المعنى ، ثمّ ينتقلُ إلى العلّةِ الثانيةِ للعملِ ، وهي الواقعُ الخارجيُّ فيتدخلُ المخاطَبُ ليُضفي على العملِ وُجْهةً اجتماعيةً خارجَ نطاقِ العمل الجُمَليّ (...) و الكلامُ لَهُ وظيفةٌ و معنى في عمليةِ التواصُل الاجتماعيّ و أنَّ هذه الوظيفةَ وذاك المعنى لهما ارتباطٌ وثيقٌ بسياقِ الحالِ أو المَقامِ و ما فيه من شخوصٍ و أَحداثٍ عند سِيبْوَيه»[٤٨] .

وكذلك فَطَنتِ الدكتورة رجاء الحسناويّ للوظيفة النحوية في الرّسالةِ اللّغويّةِ ، وأبانتْ عائديّة الحَرَكة إلى الاستعمالِ ، و التفاعلاتِ النّفسيّةِ التي احْتاجَهَا الْمُتَكَلِّم ، فامتلكَ شجاعةً كافيّةً للتعبير عمّا في نَفْسِهِ ، ومن ثمَّ تقرّرُ أنَّ بعضَ جوانبِ اللّغةِ لا يُمكن سَبْر غَورِها إلّا بالرجوعِ إلى الكلامِ على أنّهُ سلوكٌ اجتماعيٌّ في المقامِ الأوّل، وقدرة الْمُتَكَلِّمِ على التحكّم في كلامِهِ على وَفْقِ المتغيّراتِ الاجتماعيةِ الملابسةِ لَهُ [٤٩].

وبَعْدَ هذا العَرْضِ الآخذ في استشرافِ قصديّةِ الْمُتَكَلِّمِ وإرادتهِ ، يَبْقى -حقًّا - علينا أنْ نصرّحَ بحاجةِ النحو العربيّ للتأصيلِ النظريّ و التطبيقيّ المغازِل و الملاطفِ لمقاصدِ المتكلّمين ومآلاتِ الخطابِ ؛ من أَجلِ إنعاشِ الأبعادِ الدّلاليّةِ وتفليةِ الخِطاباتِ النحويّةِ المتنوعةِ ، و الخروجِ بهذه الخطاباتِ من طبيعتها الشّكلية الجامدةِ إلى الطبيعة الحركيّة الفوّارةِ إلى مستوى التأثير و الإنجاز ، الذي يُعدّ المحور الرئيس، و القطب الأساس في إنشاءِ المعاني وهذا ما سنحاول بيانه في المطلبِ الآتي .

المطلبُ الثالثُ : الفِعْلُ الكَلامِيُّ وَ وَظِيفَتُهُ في الخِطَابِ النَّحْويّ

نَقْتَرِحُ أنْ يكون َهذا المطلبُ مكوّنًا للعلاقةِ بينَ البنيةِ الجسديّةِ للتركيبِ، و الفِعْل الكلاميّ المؤثّر بمعاينةِ الجملةِ موضوعة البحثِ :(ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) ؛ من أَجْلِ معرفةِ حظِّ الفِعْل الكلاميّ فيها .

أدركَ النحويونَ ولاسيمَّا ابنُ مَضَاءٍ القرطبيّ (ت٥٩٢هـ) عَدَم جَدْوَى التعقيداتِ التي أَتَتْ بها نظريةُ العاملِ و العِلَلُ الثواني و الثوالثُ وما يتبعُها مِنْ تقديراتٍ و تأويلاتٍ مبنيةٍ على التَّمحُّلِ و التَّخَيُّلِ ، فأبانَ أنَّ حركاتِ الإعرابِ لا تأتي للدّلالةِ على

عواملَ محذوفةٍ ، وإنّما تأتي للدّلالةِ على معانٍ في نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ [٥٠]، فنظريةُ العواملِ النحويّة تؤدّي إلى تأويلاتٍ و تقديراتٍ لا تُجيْزُها دَلالاتُ الكلامِ كما في حالةِ التنازُعِ و الاشْتغَالِ ؛و هذا كُلُّه يَنْضَوِي تحتَ علمِ اللّغةِ المُصَغَّر(الجُزْئيّ) الذي يُمَثّلُ البياناتِ الجزئيةَ بِمَعْزَلٍ عن السِّياقِ أمّا علمُ الفِعْليّاتِ -و الذي تُشَكّلُ نظريّةُ أفعالِ الكلامِ أهمَّ جُزْءٍ فِيْهِ ، فهو جزءٌ مِن عِلْمِ اللّغة المُكَّبر (الكُلِّي) الذي هو الدّراسةُ الشّاملةُ لِعمليّةِ التواصُل عَنْ طَرِيْقِ اللّغةِ [٥١].

ومهما يَكُنْ حالُ الكلمةِ تأديةً و عملًا في السّيَاقِ الّذي وَصَلَتْ إليهِ مِنْ بيئةِ التَّداوُلِ ، فإنَّها تجَرْي في المُحصّلة لغايةٍ لأبْعَدِ بُعْدِها ألَا و هي التأثيرُ في المتلقي نَفْعاً و إفادةً وتَوَاصُلًا [٥٢] ، يقول حمّادي صمّود مُجْلِيًا أثرَ الكلمةِ في التّواصُل الخطّابي ناهيك عن بيان أهّمِ الوظائف التي تؤدّيها اللُّغَةُ : « الإبانةُ والإفهامُ سُلّمُ الوظائفِ التي تؤديها اللُّغَةُ في مختلفِ المخاطباتِ و النُّصُوصِ لا نستثني من ذلك النُّصُوصَ الأدبيّة (...)فكلُّ ضروبِ الفنِّ القَوْليّ و مختلف الأساليبِ المعدولةِ عن الطُّرائقِ المألوفةِ في التَّعْبير تُلْحَقُ بالوسائل و الأدواتِ و الآلات الخادمة للمعنى التابعةِ له فيكونُ الابلاغُ و الإفهامُ سَعْيَ مستوياتِ اللّغَةِ كُلِّها ، و أمّا مختلفُ الوظائِفِ الأخرى كالوظيفةِ الأدبيّة مثلًا ، فوظائفُ المساعدة دورُها تَدْعِيْمُ الوظيفةِ الرَّئيسَةِ و الاجتهاد ؛لجَعْلِها أَكثر تمكُّنًا من الدَّلالة على الغرضِ و أشدّ تأثيرًا في المُتَلقّي » [٥٣] .

مِنْ هُنَا تَنَبَّهَ التَّداوُليونَ المُحْدَثونَ لطُغْيَانِ ظاهرةِ الفِعْل الكلاميّ و سيادَتِهِ بوصفه بُعْدًا تَدَاوُليًا مُهِمًّا و ممارسةً لُغويةً فنيّةً ، و الفِعْل الكَلاميُّ مَرَكَّبٌ مِن ثلاثةِ أفعالٍ ، تُعدُّ جوانبَ مختلفةً لفعلٍ كلاميّ واحدٍ و هي [٥٤] :

١- الفِعْل اللَّفْظِيُّ أصواتٌ لغويّةٌ تنتظِمُ في تركيبٍ نحويٍّ صحيحٍ يَنْتِجُ عنهُ معنىً محدّدٌ ، و هو المَعْنى الأَصْليُّ .

٢- الفِعْل الإنْجازيُّ ، وَ هُوَ مَا يؤديه الفِعْل اللّفظيّ مِنْ مَعْنى إضافيّ .

٣- الفِعْل التَأثيريّ الأَثرُ الّذي يُحْدِثُهُ الفِعْل الإنْجازيُّ فِي السامِعِ .

وقد تَجَلَّى الأَثر الذي يقومُ به الفِعْل الكلاميُّ في إنتاجِ الكلامِ إذْ يُمثّل جزءًا مهمًا من القالَبِ النَّحْويّ المتدَرِجِ ضِمْنَ عناصرِ المَقْدِرةِ الاتّصاليّةِ ؛ لأنّهُ يَبْحَثُ في جَدْوَى الكَلَامِ ، و الشروطِ اللازمةِ التي يَتُمُّ بها التواصُلُ بَيْنَ المُتَخَاطِبينَ ؛ ليقومَ الكلامُ بالوظيفةِ التي وُجِدَ مِنْ أَجْلِها [٥٥] .

ويتبينُ الخَطَأُ الفادِحُ الّذي وَقَعَ فيهِ النَّحويونَ –قديمًا- بحسبِ قولِ الدّكتور تمّام حسّان إلى نَفْي إشارتِهِم إلى المَعْنَى الوَظيفيّ ، « وحِيْنَ قالَ النُّحاةُ قديمًا : إنَّ الإعرابَ فَرْعٌ ، و المَعْنَى أَصْلٌ كانُوا في مُنْتَهى الصوابِ فِي القاعِدةِ ، وفي مُنْتَهى الخَطَأ في التَّطبيقِ ؛ لأنَّهُم طبَّقوا كلمةَ المَعْنَى تطبيقًا مَعِيبًا حَيْثُ حَرَّفُوها إلى المَعْنَى المُعْجَمِي حِيْنًا و الدَّلاليّ حِيْناً ، و لم يَصْرِفُوْها إلَى المَعْنَى الوَظيفيّ » [٥٦].

فَفِي جُمْلَةِ : (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) ، فإنَّ الفِعْل الكلاميّ (ضَرَبَ) الذي يُجَسّدُ أفْعَالَ السُلُوْكِ

، وهي التي تَكُوْنُ ردَّ فِعْلٍ لحَدَثٍ ما كالاعتذارِ ، أو الشُّكرِ، أو المواساةِ ، أو التحدّي أو يجسّدُ أفعالَ القَراراتِ بِعَينِها ؛ كالإذنِ أو الطَّرْدِ ، أو الحِرْمانِ ، أو التَّعينِ[٥٧] .

فإنَّ ما يُقَدّمُهُ الفِعْل الكلاميُّ (ضَرَبَ) بوصفِهِ يُمَثّلُ جَسَدَ الجملةِ البنيويّةِ ، إذْ إنّ المَعْنَى البنيويَّ المقاليّ وسياقَ الحالِ ، و الأنظار الخارجيّة ، و القرائِنَ لِتَفْعَلَ فِعْلَها في تَشكيلِ المَعْنَى ، و بذا يَكُونُ المَعْنَى مؤتلفًا مِنْ الرافدين ، المَعْنَى المَقَاليّ و المَعْنَى المَقَاميّ و هَذَا ما يُنْسَبُ إلى التَّدَاوُليّةِ المُعاصِرَةِ ، ولاسيمَّا في بُعْدِها (الأفْعَالَ الكَلَاميّةِ) التي تُعَدُّ رافدًا معنويًا وماديًا أمينًا ذا وظائفَ متباينةٍ [٥٨].

وعِنْدَ إعْمَالِ الحَدَثِ الكَلاميّ و تَشْغِيلِهِ في جُمْلَةِ : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى فأنّنا نحددُ أنَّ الضَّاربَ هو (مُوْسَى) و أنَّ المضروب هو (عِيْسَى) أو بالعكسِ فالقوةُ الإنجازيةُ و التاثيريةُ في الفِعْل (ضَرَبَ) يمكنها تحديد قوة مُوْسَى أو عِيْسَى إذْ إنَّ الاتّكاءَ على الحركةِ الإعرابيّة في هذه الجُمْلةِ يُعدُّ قُصُورًا جليًا في فَهْم دَلالةِ البنيةِ الجَسَديّة لها .

مِنْ هنا فإنَّ الانتقالَ من دراسةِ الكفاءةِ اللّغويةِ إلى دراسةِ الكفاءةِ التَّواصُليّةِ يَتطَلَّبُ دِرَاسةَ اللّغةِ والكَلَامِ لا بِمُستَوى الصَّوْتِ و التَّركِيب و الدَّلالةِ فَحَسْب ، بل بمستوىً رابعٍ يُعْنَي بتداوُليةِ الأفْعالِ و الخِطَابِ .

ويَبْدو أنَّ مَسْعَى تَطْويرِ التَّداوُليّةِ لم يَقِفْ عِنْدَ حَدٍّ معيّنٍ ، بَلْ هو مُسْتَمِرٌ يَظْهَرُ مَتَى ما سَنَحَتْ له الفرصةُ ؛ و لذلك سَعَى (فانْ دايك) إلى تطويرِ أَفْعَالِ الكَلامِ الّتي تَدُوْر في حَيّزِ الجُمْلَةِ عِنْدَ مؤسّسِها (أُوستن) إلى مَجَالِ النّصِّ و لَعَلّ ما صَنَعَه في كتابهِ (النّصّ والسِّيَاق) يندرجُ ضِمْنَ هذا المَسْعَى ؛ إذْ حَلَّلَ أَفْعَالَ الكلامِ الكُبْرَى ، فالفِعْل الكَلامِيّ الأكبرُ عِنْدَهُ هُو فِعْلُ الكلامِ الإجماليّ الذي يُؤَدِّيه مَنْطُوْقُ الخِطَابِ الكُلّيّ و الّذي تُنْجِزُهُ سَلْسَلَةُ أفعالِ الكَلامِ المُخْتلِفةِ [٥٩].

وعَوْدٌ على بَدْءٍ فإنَّ جُملةَ : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى ، تتجسَّدُ فيها وظيفة الفِعْل الكلاميّ ، و الفِعْل القوليّ و الفِعْل الكلاميّ الإنجازيّ و الفِعْل الكلاميّ التاثيريّ بحسب الخطاطة الآتية :

ويبدو أنَّ الفِعْل التأثيريّ محلُّ عنايةِ التَّداوُلية ، فمجرّد النُّطق بهذهِ الجُمْلَةِ: (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) يتحقّقُ فِعْلانِ كلاميانِ على الأقلِّ ، الفِعْل القَوْليُّ ، و الفِعْل الانجازيُّ (الفِعْل المُتَضَمّن في القولِ) و في أحيانٍ يتحقّقُ فِعْل التأثير بالقولِ ، إلّا أنّه شدّدَ على الفِعْل المُتَضَمّن فِي القَوْلِ و جَعْلَهُ مِحْورَ عِنايَتِهِ ؛ لأنّه يُمَثّلُ قُوّةً إنجازيّةً لِفِعْلِ القَوْلِ ، و هُوَ الّذي يتضَمّنُ المَعْنَى الإضافِي المُضْمَر لِلْمَلْفُوظِ [٦٠].

فَلَا جَرَمَ أنَّ النحويّينَ مثّلوا لِجُمْلَةِ : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى ؛ مِنْ أَجْلِ بيانِ نَفي الْتِبَاسِ الفاعِلِ من المَفْعُولِ فِي هذهِ الجُمْلَةِ بسببِ خفاءِ ظهورِ الحركةِ الإعرابيّة عليهما ، فتعذّر ظُهُورِ الحَركَةِ الاعرابيّة فضلًا عن تشابهِ الاسْمَينِ شَكْلًا و هيأةً ، وَلَّد هذا الفَهْمَ

و التَّصَوَّرَ ، ناهِيْكَ عن تعيينِ القوّة الضَّرْبيّةِ التي يؤدِّيها الفَاعِل غير المُتعيّنِ فِي الجُمْلَةِ فِي المَفْعُولِ غير المُعَيّنِ في الجملةِ كذلك ، إلَّا أنّهم (النّحويّين) لَمْ يُؤسّسُوا لهذهِ القوّة الإنجازيّة الأَدائية التأثيرية لفِعْلِ الضّرْبِ في الجُمْلَةِ .

إنَّ التّداوُليّينَ المُحْدَثينَ، وَ لَاسيَّما القائِلونَ بقصديّةِ الفِعْل و انجازيتهِ يُمْكِنُهُم تصوّرُ الفاعلِ أَو الضاربِ في الجملةِ، وتصور المفعول بهِ (المَضْرُوب) في الجُملة بَدَاهةً، وسببُ ذلك تَفْعيلُ القوة الأدائيّة الإنجازيّة و التأثيرية لفِعْلِ الضَّرْبِ من جهةٍ ؛ زِدْ على ذَلِكَ استشرافَ السياقِ (التَّسْييقِ) بوصفهِ قرينةً ذاتَ فاعليّةٍ في الخطاباتِ النَّصيّة، فالفاعلُ (مُوْسَى) في جملة : (ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى) يُلْمَحُ في حالِ تصّورِ القوّةِ الفِعْليّةِ الإنجازيّة التأثيريّة منهُ ؛ كَوْنُه أميرًا أو أبًا أو أخًا كبيرًا أو معلّمًا و غيرهم ، وأنَّ المضروب (عِيْسَى) مفعولٌ به؛ كونه صغيرًا أو مخطئًا أو تلميذًا أو مُعَزَّرًا .

و تأسيسًا لهذه المفُهُوم فإنَّ الفِعْل الكلاميّ يُمَثّلُ مرحلةً متطورةً مِنْ مراحلِ بناءِ (نظريةِ الأفعالِ اللّغويّةِ) ، فحينما يَلْفِظُ الْمُتَكَلِّمُ أَو يَقُوْلُ قولًا ما ، فإنَّهُ يُحقّقُ إنجازًا أو حقيقةً ما ؛ لأنّهُ يَمْتَلِكُ السُّلطةَ التي تُخَوّلُهُ أنْ يقومَ بفعْلِ الضَّرْبِ .

ونَحْنُ نَقْفِلُ هذا المَطْلَبَ ، نقولُ إنَّ في دراسةِ الفِعْل الكلاميّ التداوُليّ في النَّحْوِ العَرَبيّ من الجوانب الطَّريفةِ التي نعتقدُ أنَّها لم تفقدْ نَجَاعَتَها في مُواجَهَةِ التَّحليلِ النَّحْويّ، كما أنَّ فيها من مظاهرِ المعاصرةِ الشَّيءَ الكثيرَ، وأنْ نَسْبِرَ غورَ السبيلِ إلى تِلْكُمُ المظاهرِ ، وأنْ نَعْرِفَ كَيْفَ نَقْرَأ التّراثَ النحويَّ قراءةً لا تقتصرُ على استخراجِ وجوهِ قصديّةِ الخِطابِ و حركيتِهِ ، و لا تَجْعَلُهُ عقيمًا يولِّدُ في نفوسِ الناطقينَ بالعربيّة كُلّهم الملَلَ و السَّأمَ و الكَلَالَ .

و مِنْ هُنَا ؛ فإنَّنا نَرَى أنَّ الأفْعَالَ الكَلَاميّةِ لَهَا سُهْمةٌ فِي تعيينِ الفاعليّةِ و المفعوليّةِ و الإضافيّة و غيرِها و تَحْدِيْدِها في الجُمْلَةِ ، و إنَّ الانْكِفاءَ عَلَى الحَركةِ الإعرابيّة و الإسنادِ و الرُّتْبَةِ يُعَدُّ قصورًا في الظَّفَر بالدِّلالةِ المُرادةِ .

خاتمةُ البَحثِ و نتائجُهُ

عَنَّ لنا بَعْدَ هذهِ الرّحلةِ النافعةِ في رِحَابِ الفِعْل الكلاميّ و وظيفتهِ في جملة : ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى في ظلِّ التّداوُليّة أنْ نُعرّجَ ولو على هيأةِ إجمالِ القَوْلِ ومُسْتَصْفَاهُ ؛ ليكونَ تَجْلِيةً و زُبْدَةً لهذا البَحثِ بِمَا يَأْتِي مِنْ نَتَائِجَ :

الأُولَى : نَرَى أنَّ الأفْعَالَ الكَلَاميّةَ لَهَا المُكْنَةُ فِي تعيينِ الفَاعليّةِ و المَفْعُوليّةِ و الإضافيّة و غيرِها ، وإنَّ الاقتصارَ عَلى الحَركةِ الاعرابيّةِ يُعدُّ قُصُورًا في المَنْظُومةِ اللّسانيّةِ الدَّلاليّةِ .

الثَّانِيَةُ : على الرَّغْمِ مِنْ تَنَوّعِ مَجَسّاتِ تحديد الدَّلالةِ و محرّكاتِها في الجملةِ العربيّة (الرِّسالةِ اللّغويّةِ) مِنْ نَحْوِ : الحركةِ الاعرابيّةِ، و الإسنادِ، و الرُّتْبَةِ إلّا أنَّ إغفالَ قَصْدِيّةِ الْمُتَكَلِّمِ؛ و الفِعْل الكلاميّ التَّداوُليّ يُعدّانِ سَبَبَيْنِ واضِحَينِ في نَفْي اقتناصِ الدِّلالةِ الحَصِيفةِ و الفَاعِلَة و المُرادةِ .

الثَّالِثَةُ: بَدَا لنا أنَّ قصديةَ الْمُتَكَلِّمِ و إرادَتهُ لَهَا أَثرٌ بالِغٌ فِي تحديدِ الدَّلالةِ الفاعِلةِ وَ المرادةِ في جُمْلةِ : ضَرَبَ

مُوْسَى عِيْسَى.

الرَّابِعَةُ : لَابُدَّ مِنْ مُعايَنَةِ الفِعْل الكلاميّ التَّداوُليّ في الرّسالةِ اللّغويّةِ ففي جملة: ضَرَبَ مُوْسَى عِيْسَى لابُدَّ مِنْ هذهِ المُعاينةِ ؛ مِنْ أجلِ الظّفَرِ بانجازيتِهِ وتأثيريتِهِ للوصولِ إلى الدَّلالات الفاعلات و المرادات في النّصِ.

الخَامِسَةُ : الدّعوةُ إلى قراءةِ التراثِ اللُّغَوِيّ قراءةً واعيةً باصرةً مُعْجِبَةً لا تقتصرُ على التّحليلِ الباردِ المُعتمدِ على تحديدِ الفاعِليّة و المفعوليّةِ و الإضافيّةِ و غَيْرِها، بَلْ لابد من تحريك سِكُونيّةِ النَّصِ ،و الانفتاحِ الكبيرِ على النَّص؛ مِنْ أَجْلِ الوصولِ إلى أَعْلى مراقِي الوضوحِ و البيانِ من وُجْهةٍ ، و إفْهَامِ المُتَلَقّين و إبلاغهم تَوَاصُلِيًّا مِنْ وُجْهَةٍ أُخرى .

السَّادِسَة: هذا البحثُ قِراءةٌ حَدِيْثَةٌ لِزَعْزَعَةِ سكونيّةِ النَّصّ ، فَثَبَاتُ النَّصِ يُفْقِدُهُ الحيويّةَ و النَّشاطَ ، بل يُعِيْقُ إنْتَاجِيّتَهُ و فَعّالِيتّهُ ، مِنْ هنا جاءَ البحثُ مِنْ أجلِ تفتيحِ مساراتِ الرّسالة اللّغويّةِ، و تَنْضِيْجِ الرُّؤى والأفكارِ التي تَجْعَلُ النّصَّ غَضًّا طَرِياً منفتحاً .

وما صَنِيعنا هذا إلّا فاتِحَةٌ لدرسٍ أرْحَبَ أُفقًا و أَكْثَرَ استغراقًا و غَوْرًا و الحَمْدُ لله فِي بَدْءٍ و في خَتْمٍ، وصَلَّى اللهُ عَلَى محمّدٍ و آلهِ الطاهرين، وعلى صَحْبِهِ الكرام المُخْلَصِيْنَ.

الهوامش

١- قضية البنيوية [دراسة ونماذج] ، عبد السلام المسدي : ٢٩ ، و فاعلية العلاقات النحويّة في تداولية النصّ ، د . إيهاب سعود : ٧.

٢- الفروقُ اللّغويةُ ، أَبو هلال العسكريّ : ٢٠٧.

٣- يُنْظَر، التّداوُليّة عندَ العلماءِ العرب : ٨.

٤- المُقاربةُ التّداوُليّة ، فرانسواز أرمينكو ، ترجمة د. سعيد علوش : ٦٠-٦١.

٥- التّداوُليات علم استعمال اللغة ، حافظ اسماعيلي علوي : ٥٣.

٦- يُنْظَر، نظريةُ الفِعْلِ الكلاميّ بينَ علمِ اللّغة الحديث والمباحث اللّغوية في التراث العربي والاسلاميّ ، هشام عبدالله الخليفة : ١١.

٧- يُنْظَر ، النَّصُ والسياقُ ، فان دايك : ٩٣-١٠١.

٨- يُنْظَر ، نظريةُ أَفعال الكَلامِ العامة – كيفَ ننجزُ الأشياءَ بالكلامِ : ٩، ويُنْظَر : دلالةُ الفِعْلِ الكَلاميّ فِي الخِطَابِ القَانُونِيّ بينَ البِنْيَةِ المَقُوليّة والكِفَايَة الإنْجَازية (بحث) : ٢٦٩.

٩- يُنْظَر ، نظريةُ أَفعال الكَلام العامة – كيفَ ننجزُ الأشياءَ بالكلامِ: ١٨٦-١٨٨.

١٠- يُنْظَر ، العَقْلُ واللّغةُ والمُجْتَمَع ، الفلسفةُ فِي العَالَم الواقِعي : ٢٢٥ ، وآفاقٌ جديدةٌ فِي البَّحث اللّغويّ المُعاصِر : ٤٨-٤٩.

١١- الإيضاح في علل النّحو ، الزجاجيّ ٧٠ .

١٢- يُنْظَر، المصدرُ نفسُهُ : ٧٠-٧١.

١٣- من أسرار اللّغة : ١٥٨.

١٤- تأويلُ مشكل القُرآن :١٤.

١٥- الإيضاحُ في علل النحو : ٦٩.

١٦- يُنْظَر، الصاحبيّ في فقهِ العربيّة وسنن العربِ فِي كلامِها : ٣١٢.

١٧- دلائلُ الإعجاز : ٣٩٥.

١٨- مسائلُ خلافيّةٌ فِي النَّحْوِ ، أَبو البقاء العكبري : ١٢.

١٩- شرحُ التّصريح على التّوضيح ، خالد الأزهري : ١/ ٤١٢.

٢٠- الخَصائِص : ٣٦/١.

٢١- شرحُ الرَّضيّ على الكافيّة : ١/ ١٩١.

٢٢- يُنْظَر ، الفِقْهُ الأَكبرُ : ١/ ٤١، ويُنْظَر ، النَّحْوُ والدِّلَالَةُ ، د. محمّد حماسة عبداللطيف :١٤٠.

٢٣- يُنْظَر ، النَّحْوُ والدِّلَالَةُ ، د. محمّد حماسة عبداللطيف :١٤٠.

٢٤- أمالِي ابن الحاجِب : ٢/ ٥٣٤.

٢٥- شرحُ الكافيةِ للرَّضيّ : ٢/ ٦٣٩، ويُنْظَر ، عللُ النَّحْوِ : ٢٧١.

٢٦- إحياءُ النَّحْوِ : ٤٩، ٥٣، ٧٨.

٢٧- اللّغةُ العربيّة معناهَا ومبناهَا : ٢٠٨.

٢٨- شَرْحُ التَّصريحِ عَلى التوضيحِ : ١/ ٤١٢.

٢٩- يُنْظَر، ارتشاف الضَّرَب : ٣/ ٣٤٨، وهَمْعُ الهَوامِع: ١/ ٥٨٠، ، ابنُ الحاجّ النّحويّ ، د. حسن مُوْسَى الشاعر : ٧٣-٧٧.

٣٠- مُقدِمةُ ابن خلدون : ٨٠٦.
٣١- يُنْظَر ، في النَّحو العربيّ نقدٌ وتوجيهٌ : ٥٧ .
٣٢- يُنْظَر ، البَحث النَّحويّ عندَ الأصوليين : ١٠
٣٣- يُنْظَر ، البيانُ بِلا لسانٍ (دراسةٌ في لغةِ الجسدِ) : ٢٦-٢٧.
٣٤- اللّغةُ وأنظمتُها بينَ القُدماءِ والمحدثين : ١٨ .
٣٥- يُنْظَر، الهرمنيوطيقيا والفلسفة (نُحْوُ مشروع فِعْل تأَويليّ) ، عبد الغنيّ باره : ٤٣٧.
٣٦- البَيَانُ و التَّبْيِينُ: ٧٦/١.
٣٧- يُنْظَر، الخَصائِص : ٢/ ٣٣.
٣٨- كشّافُ اصطلاحاتِ الفنون ، التّهانَوي : ١/ ٧٩٢ .
٣٩- الفُروقُ اللّغويّة : ٣٣ .
٤٠- دَلائِلُ الإعجازِ : ٥٣.
٤١- تسهيلُ الفوائِدِ وتكميلُ المقاصِدِ : ٣.
٤٢- إعْلَامُ الموقّعين عَنْ ربِّ العالمينَ : ٢/ ٣٨٥.
٤٣- يُنْظَر ، اللّسانيات والدَّلالة : ٦٥.
٤٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ١/ ٥٨٠ ، وابن الحاجّ النحويّ : ٧٤.
٤٥- يُنْظَر ، القَصْديّةُ وأثرُهَا فِي توجيهِ الأَحكامِ النَّحويّةِ حتّى نهايةِ القرن الرابع الهجري (أطروحة دكتوراه) :١٥.
٤٦- يُنْظَر ، التراكيبُ النَّحويّةُ من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهِر ، عبد الفتّاح لاشين : ١٥.
٤٧- يُنْظَر ، الإحكامُ فِي أُصولِ الأَحكامِ: ١/ ٤٢.
٤٨- يُنْظَر ، الأُسسُ المَعْرفيّة والمَنْهجيّة للخِطَابِ النَّحويّ العَربِيّ : ١٦.
٤٩- آلياتُ التّفسير النّحويّ في كتاب سِيبْوَيه (في المَعْنَى أَنْمُوذَجًا) (بحث) : ١٤.
٥٠- يُنْظَر، اللّغةُ صيرورةٌ اجتماعيةٌ ونفسٌ عربيةٌ (إضاءةُ سِيبْوَيه في مدونته) (بحث) : ١٨. ، وأَثرُ الأَعراف الاجتماعية في مسيرة العربية (بحث) : ٣٥.
٥١- يُنْظَر، نظريةُ الفِعْلُ الكلاميّ ، هشام خليفة : ١٧.
٥٢- يُنْظَر، الردّ على النّحاة : ٣٥.
٥٣- يُنْظَر، الهرمنيوطيقيا والفلسفة (نحو مشروع عقل تأويليّ)، عَبْدُ الغَنِي بارَة : ٤٥٢-٤٥٣.
٥٤- فِي نَظَريةِ الأَدَبِ عندَ العَرَبِ : ٣٥.
٥٥- يُنْظَر: آفاقٌ جديدةٌ في البَحْثِ اللّغويّ المُعاصِر : ٤٧.
٥٦- يُنْظَر، قضايا اللّغة في اللّسانيات الوظيفية (بِنية الخطاب من الجملةِ إلى النصّ) : ٦٨ .
٥٧- يُنْظَر، مناهج البحث في اللّغة : ٢٢٧.
٥٨- يُنْظَر، آفاقٌ جديدةٌ في البحث اللّغويّ : ٤٧-٤٨.
٥٩- يُنْظَر، البيانُ بِلا لسانٍ (دراسةٌ في لغةِ الجسدِ) : ٢٧
٦٠- يُنْظَر ، التَّداوُليات علم استعمال اللّغة : ٦١.
٦١- يُنْظَر ، المصدر نفسه : ٥٧.

المصادر والمراجع

القرآنُ الكريمُ

١- ابنُ الحَاجّ النَّحويّ الأَندلسيّ، حَسَن مُوسَى الشَّاعِر ، دارُ القَلَمِ ، دِمشق ، ط١ ، ١٤٠٦ه -١٩٨٦م .

٢- الإحْكَامُ فِي أُصول الأَحْكَامِ ، سيفُ الدين أَبو الحَسَن عَليّ بن أَبي عليّ بن محمّد الآمدي (ت٦٣١هـ) تحقيق : إبراهيم العَجُوز ,ط١, دارُ الكُتُبِ العِلميّة , بيروت , ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م.

٣-إحياءُ النَّحو الأستاذ إبراهيم مصطفى ، ط١. مطبعةُ لجنة التأليف و الترجمة ، مصر، ١٩٣٧.

٤- ارْتِشافُ الضَّرَبِ مِنْ لِسانِ العَرَبِ, أَبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق : د. رجب عثمان محمّد ، مَطْبَعَة الخانجيّ , القاهرة , ١٩٩٨م.

٥- الأُسُسُ المَعْرفيّة و المَنْهَجية للخِطَابِ النَّحويّ العربيّ ، د. فؤاد أَبو علي .ط١, عالم الكتب الحديث, الاردن ،١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م .

٦- أَعلامُ المُوقعين عَنْ ربِّ العَالمينَ، أَبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق : أبو عبيدة مشهور حسن ، ط١ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣ هـ.

٧- آفاقٌ جديدةٌ في البَحث اللّغويّ المعاصِر ، د. مَحْمُود أَحْمَد نَحلة , ط١, مكتبة الآداب , مصر, ١٤٢٢هـ - ٢٠١١ م .

٨- أَمالِي ابنُ الحاجِبِ ، أَبُو عَمْرو عُثْمَان بنُ الحاجِبِ (٦٤٦هـ) ، تحقيقُ: فَخْرُ صالِح سُلَيْمَانَ قَدَارَة ، دارُ الجيل ، بيروت ، ١٤٠٩ ه- ١٩٨٩.

٩- الإنصافُ في مسائلِ الخِلافِ بينَ النَّحويين البصريينَ و الكُوفيينَ , أَبو البركات بن محمّد الأنباري (٥٧٧ هـ) تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤, مصر , ١٣٨٠ هـ -١٩٦٢ م .

١٠- انطولوجيا المَعْرِفَة اللّغوية ، إعداد ، د .مؤيد ال صويت ، د . عارف الساعدي ،ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت ، ١٤٣٣ هـ-٢٠١٢م .

١١- الإيضاحُ في عللِ النّحوِ ، أَبو القاسِم الزَّجاجيّ (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق: مازن المبارك ، ط٣، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

١٢- البَحثُ النَّحويّ عندَ الأُصوليينَ ، مُصْطَفى جمالُ الدينِ ، ط٣، دارُ الهجرةِ ، إيران ، ١٤٠٥ هـ .

١٣- البَيَانُ بِلَا لسانٍ (دراسةٌ فِي لُغَةِ الجَسَدِ) ، الدّكتور مهدي أَسعد كرّار ، ط١ . دار الكتب العلمية , بيروت ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

١٤- البَيَانُ و التَّبْيِينُ ، عَمْرو بن الجاحِظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السّلام محمّد هارون، ط٧ ، مكتبة الخانجي , مصر ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م .

١٥- تأويلُ مُشْكِلِ القُرآن ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦ه) ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت –لبنان ، (د .ت) .

١٦- التَّداوُليات (علم استعمال اللّغة)، حافظ اسماعيل علوي , عالم الكتب الحديث ، ٢٠١١ م .

١٧- التَّداوُلية عندَ العُلماء العَرب – دراسةٌ تداوليّة لظاهرةِ الأَفعال الكلاميّة فِي التُراثِ اللّسانيّ، د. مسعود صحراويّ ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م .

١٨- التَّراكيبُ النحويّةُ مِن الوجهةِ البلاغيّةِ عندَ عبد القاهِر، د.عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر، الرياض، (د.ت) .

١٩- تسهيلُ الفوائِدِ وَتكميلُ المقاصِدِ ، محمّد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني ، (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيقُ : محمّد كامل بركات ، دارُ الكتاب العربيّ للطباعةِ والنّشر ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

٢٠- الخَصائِصُ أَبو الفتح عثمان بن جنيّ(ت٣٩٢هـ) تحقيق : محمّد عليّ النَّجار ,ط٢ ، الهيأة المصرية العامة القاهرة ، ١٩٩٠ م.

٢١- دلائلُ الإعجازِ ، أبو بكر عبد القاهِر الجُرجانِي (ت ٤٧١ هـ)، محمود محمّد شاكر ، مكتبة الخانجي، مصر .
٢٢- الرَّد ُعلى النحاةِ , أَبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي، (ت٣٩٢هـ) تحقيق د .شوقي ضيف ، ط١ ، دار الفكر, بيروت , ١٩٤٧ م .
٢٣- شرحُ التَّصريحِ على التَّوضيحِ أَوْ التَّصريحُ بمضمونِ التَّوضيحِ فِي النَّحو، خَالِد الأزهريّ (ت ٩٠٥ هـ)، ط١، دار الكتب العلميّة ، بيروت، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م .
٢٤- شرحُ الرَّضيّ على الكافيّة ، رضيّ الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ،تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٢٥- الصاحبيّ في فقه اللّغة و سنن العرب , أبو الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : مصطفى الشويمي ، بدران للطباعة ، بيروت ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .
٢٦- العَقْلُ واللّغةُ والمجتمعُ ، الفلسفةُ فِي العالَمِ الواقعيّ ، جون سيرل ، ترجمة :سعيد الغانميّ ، ط١، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٦م .
٢٧- عِلَلُ النّحو ، أَبو الحَسَن ابن الوَرّاق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيقُ : مَحْمُود جاسِم محمّد درويش ، ط١، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٢٨- فاعليةُ العلاقات النَّحويّة فِي تداوُليّة النَّصّ، د.إيهاب سعود، جامعةُ القاهِرةِ، كتابٌ منشورُ في شبكة الألوكة، قسم الكتب .
٢٩- الفُرُوقُ اللّغويةُ، أَبو هِلال العَسْكريّ (ت نحو ٣٩٥) ، تحقيق : محمّد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – مصر ، د . ت .
٣٠- الفقهُ الأَكبرُ، منسوبٌ لأبي حنيفة النُّعمان بن ثابِت (ت ١٥٠ه) ، ط١، مكتبةُ الفرقانِ ، الإمارات العربية ، ١٤١٩هت- ١٩٩٩م .
٣١- فِي النَّحو العربي نقدٌ و توجيهٌ د. مَهْدِي المَخْزُومِي، ط٢ ، دارُ الرائِد العربيّ ، بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٢- فِي نظريةِ الأَدبِ عندَ العربِ د. حمادي صمود ، ط١. دار شوقي ، تونس ،٢٠٠٢م.
٣٣- قضايا اللّغة فِي اللّسانيات الوظيفيةِ (بنية الخِطاب من الجملة إلى النَّصّ) ، أَحمد المتوكل ، ط١ , دار الأَمان . الرّباط ، ٢٠٠١ م .
٣٤- قضيةُ البنيوية [دراسة ونماذج] ، عبد السّلام المسدي ، دارُ الجنوب للنشرِ ، د.ط ، تونس ، ١٩٩٥م .
٣٥- كشافُ اصطلاحاتِ الفنون ، محمّد عليّ الفاروقي التهانوي (ت١١٥٨ هـ) تحقيق مصطفى عبد البديع ، ط١ ، الهيأةُ المصرية للنشر و التوزيع ، ١٩٦٢م.
٣٦- اللّسانيات والدِّلالة ، منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ٢٠٠٧م .
٣٧- اللّغة العربيّة معناها و مبناها , تمّام حسّان ، ط١, دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، د.ت .
٣٨- اللّغة وأنظمتها بين القدماءَ والمحدثين ، نادية رمضان النجار ، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الاسكندرية ، (د. ت) .
٣٩- مسائلٌ خلافيةٌ فِي النَّحو ، أَبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (ت ٦١٦ه) ، تحقيق : محمّد خير الحلوانيّ ، دارُ الشرقِ العربيّ ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
٤٠- المُقارَبَةُ التَّداوُلية ، فرانسواز أَرمينكو ، ترجمة الدكتور سعيد علوش ، مركزُ الإنماءِ القَومِي، الرِّباط، د. ط ، ١٩٨٦م .
٤١- مقدمةُ ابنُ خلدون ، عبد الرَّحمن بن خلدون

(ت ٨٠٨هـ) ، دارُ الفِكْر للطباعةِ والنشرِ والتوزيعِ ، د. ط ، ٢٠٠١م .
٤٢- مِنْ أَسرارِ اللّغة ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠١٠م .
٤٣- مناهجُ البّحث في اللّغة ، د. تمّام حسّان , ط١ ، دارُ الثقافةِ ، الدارُ البيضاء، ١٩٨٦.
٤٤- النَّحو والدِّلالةِ ، مدخلٌ لدراسةِ المَعْنى النَّحويّ الدّلاليّ، الدكتورُ مُحمّد حماسة عبد اللّطيف ، دار الشروق ، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .
٤٥- النَّصّ والسياقُ ، استقصاءُ البّحثِ فِي الخِطَابِ الدَّلالِي والتّداوُليّ ، فانْ دايك ، ترجمةُ : عبد القادِر قتيني ، الدارُ البيضاءُ أفريقيا الشَّرق ، المَغْرب، ٢٠٠٠م .
٤٦- نظريةُ أَفْعَال الكَلامِ العَامةِ – كيفَ نُنْجِزُ الأَشياءَ بالكلامِ ، جون لا نكشو أوستين ، ترجمةُ عبد القادر قينيني ، ط١ ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب، ٢٠٠٨م .
٤٧- نظريةُ الفِعْل الكلاميّ (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي) ، هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، لونجمان، بيروت ، ٢٠٠٧م .
٤٨- الهرمنيوطيقيا والفلسفة (نحو مشروع فعل تأويلي) ، عبد الغني باره ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان / منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٨م .
٤٩- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: د عبد الحميد الهنداوي , المكتبة التوفيقية د. ت .

البّحوثُ والدراساتُ

١- أَثرُ الأَعرافِ الاجتماعية في مسيرةِ العربيّة ، د.مُحمّد ربّاع , مجلةُ البلقاء للبّحوثِ و الدراساتِ ، مج ١١ ، ع ١ ، ٢٠٠٥ م .
٢- آلياتُ التَّفسيرِ النَّحويّ في كتابِ سِيبْوَيه (في المعنى أنموذجًا)، أ د. نجاح فاهِم العبيديّ، وفاء مسعود عزيز فاضل , مجلة أهل البيت (ع)، مج ١، ع ٢١ ، ٢٠١٧م .
٣- دلالةُ الفِعْل الكلاميّ في الخِطاب القانونيّ بين البِنْيَةِ المَقُوليةِ والكِفَاية الإنجازيّة ، (بحث) ، أ.م. د محمّد عبد مشكور ، و م . د مرتضى جبار كاظم ، مِجلةُ كليةُ التربيّة الأَساسيّة / المُستنصريّة ، مج٢٠، ع ٨٢ ، ٢٠١٤م.
٤- فُوكُو (الحَفْرياتُ منهجٌ أم فتحٌ في الفلسفةِ) , عبدُ الرّحمن التليليّ ، مجلةُ عالَم الفِكر , مج٢, ع ٤٤ ، الكويت ، ٢٠٠٣م .
٥- اللّغةُ صيرورةٌ اجتماعيةٌ ونفسٌ عربيةٌ (إضاءةُ سِيبْوَيه في مدونتِهِ) (بحث) ، أ .د . رجاءُ عجيل الحسناويّ ، مجلة دواة ، مج ٣، ع ١١، ٢٠١٣م .

الرسائلُ الجامعيّةُ

٦- القصديّةُ و أَثرُها في توجيهِ الأَحكامِ النَّحويّة حتى نهايةِ القَرْن الرَابِع الهِجريّ (أُطروحة دكتوراه) حيدر جاسم , كلية التربية , الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٥ م .

to the author.

• If the article has already been published online، depending on the nature and severity of the infraction:

1- an erratum/correction may be placed with the article

2- an expression of concern may be placed with the article

3- or in severe cases retraction of the article may occur.

The reason will be given in the published erratum/correction، expression of concern or retraction note. Please note that retraction means that the article is maintained on the platform، watermarked “retracted” and the explanation for the retraction is provided in a note linked to the watermarked article.

• The author’s institution may be informed

• A notice of suspected transgression of ethical standards in the peer review system may be included as part of the author’s and article’s bibliographic record.

Fundamental errors

Authors have an obligation to correct mistakes once they discover a significant error or inaccuracy in their published article. The author(s) is/are requested to contact the journal and explain in what sense the error is impacting the article. A decision on how to correct the literature will depend on the nature of the error. This may be a correction or retraction. The retraction note should provide transparency which parts of the article are impacted by the error.

Suggesting / excluding reviewers

Authors are welcome to suggest suitable reviewers and/or request the exclusion of certain individuals when they submit their manuscripts. When suggesting reviewers، authors should make sure they are totally independent and not connected to the work in any way. It is strongly recommended to suggest a mix of reviewers from different countries and different institutions. When suggesting reviewers، the Corresponding Author must provide an institutional email address for each suggested reviewer، or، if this is not possible to include other means of verifying the identity such as a link to a personal homepage، a link to the publication record or a researcher or author ID in the submission letter. Please note that the Journal may not use the suggestions، but suggestions are appreciated and may help facilitate the peer review process.

rized and/or paraphrased)، quotation marks (to indicate words taken from another source) are used for verbatim copying of material، and permissions secured for material that is copyrighted.

Important note: the journal may use software to screen for plagiarism.

• Authors should make sure they have permissions for the use of software، questionnaires/(web) surveys and scales in their studies (if appropriate).

• Authors should avoid untrue statements about an entity (who can be an individual person or a company) or descriptions of their behavior or actions that could potentially be seen as personal attacks or allegations about that person.

• Research that may be misapplied to pose a threat to public health or national security should be clearly identified in the manuscript (e.g. dual use of research). Examples include creation of harmful consequences of biological agents or toxins، disruption of immunity of vaccines، unusual hazards in the use of chemicals، weaponization of research/technology (amongst others).

• Authors are strongly advised to ensure the author group، the Corresponding Author، and the order of authors are all correct at submission. Adding and/or deleting authors during the revision stages is generally not permitted، but in some cases may be warranted. Reasons for changes in authorship should be explained in detail. Please note that changes to authorship cannot be made after acceptance of a manuscript.

*All of the above are guidelines and authors need to make sure to respect third parties rights such as copyright and/or moral rights.

Upon request authors should be prepared to send relevant documentation or data in order to verify the validity of the results presented. This could be in the form of raw data، samples، records، etc. Sensitive information in the form of confidential or proprietary data is excluded.

If there is suspicion of misbehavior or alleged fraud the Journal and/or Publisher will carry out an investigation following COPE guidelines. If، after investigation، there are valid concerns، the author(s) concerned will be contacted under their given e-mail address and given an opportunity to address the issue. Depending on the situation، this may result in the Journal's and/or Publisher's implementation of the following measures، including، but not limited to:

• If the manuscript is still under consideration، it may be rejected and returned

Publishing ethics

Researchers should conduct their research from research proposal to publication in line with best practices and codes of conduct of relevant professional bodies and/or national and international regulatory bodies. In rare cases it is possible that ethical issues or misconduct could be encountered in your journal when research is submitted for publication.

Ethical responsibilities of authors

This journal is committed to upholding the integrity of the scientific record. As a member of the Committee on Publication Ethics (COPE) the journal will follow the COPE guidelines on how to deal with potential acts of misconduct. Authors should refrain from misrepresenting research results which could damage the trust in the journal، the professionalism of scientific authorship، and ultimately the entire scientific endeavour. Maintaining integrity of the research and its presentation is helped by following the rules of good scientific practice، which include*:

• The manuscript should not be submitted to more than one journal for simultaneous consideration.

• The submitted work should be original and should not have been published elsewhere in any form or language (partially or in full)، unless the new work concerns an expansion of previous work. (Please provide transparency on the re-use of material to avoid the concerns about text-recycling ('self-plagiarism').

• A single study should not be split up into several parts to increase the quantity of submissions and submitted to various journals or to one journal over time (i.e. 'salami-slicing/publishing').

• Concurrent or secondary publication is sometimes justifiable، provided certain conditions are met. Examples include: translations or a manuscript that is intended for a different group of readers.

• Results should be presented clearly، honestly، and without fabrication، falsification or inappropriate data manipulation (including image based manipulation). Authors should adhere to discipline-specific rules for acquiring، selecting and processing data.

• No data، text، or theories by others are presented as if they were the author's own ('plagiarism'). Proper acknowledgements to other works must be given (this includes material that is closely copied (near verbatim)، summa-

Dawat Journal

Form of Full intellectual Property Rights Transfer to the Editorial Board of the Dawat Journal

I/ we hereby agree to transfer the full intellectual property rights including copyrights and distribution to the editorial board of Dawat Journal for the research article titled _____

L، the undersigned author(s)، do undertake and acknowledge the following:

1- the research article does not include or contain material taken from other copyrighted sources .

2- the manuscript has not been submitted in whole or in part to any other party to be published in a scientific journal، a newspaper، or any other medium.

3- Commitment to the scientific integrity and the ethics of scientific research in writing the research titled above and assuming all legal liability for the intellectual and physical rights of others.

4- Giving approval for publishing the manuscript in any medium، whether printed، electronic، or otherwise and transferring the right of publication and writing to the editorial board of the Dawat Journal.

5- Complying with the publishing instructions in effect in the journal and editing the language of the research.

6- the obligation to pay the financial expenses of all evaluation procedures in the event of the desire to withdraw the research article or not to pursue the evaluation procedures when there is any desire to withdraw the research or not to pursue the procedures when there is any desire to withdraw the research or not to pursue the procedures of its publication.

7- the author(s) shall retain all property rights such as patent rights and the right to use all or part of the article in his her their future works such as lectures press releases، and the revision of textbooks.

8- If the editorial board agrees to publish the above mentioned research، I we agree that I we do not have the right to dispose of the research by translating، quoting، citing summarizing or any type of use in the media، without obtaining written approval from the editor.

Principal Researcher›s Name: ……..… phone Number: ……..……..……..

name of the Researcher›s Organization: ……..……..……..

Principal Researcher›s Email Address: ……..……

The researchers (if any) are arranged according to their sequence in the research when published in the journal:

Researcher Name: signature:

1-

2-

3-

Date:

Note: Please send a scanned copy of the duly signed form by e-mail to the editor –in- chief.

a. After submission، the author will receive notification that the article has been received

b. The author whose article is accepted for publication will be notified by the board of editors about the date of publication.

c.The articles which need modification and changes will be sent back to their authors in order to do the required changes.

d. Authors whose articles are rejected will receive notification of this decision without giving reasons.

e. A researcher destowed a version in which the meant research published.

12.Priority of article publication depends on:

a.Participation in the conferences held by the publisher .

b.The date of receiving the article by the editor.

c.The date of receiving the modified articles،and

d.The diversity of research areas in the journal.

13. An author can not get back his/her article if it is being under review by the editorial board unless there are substantive reasons، and this should be within two weeks of receiving the article.

Guidelines of Authors

1.The journal publishes the original scientific articles which adhere to the scientific procedures and the global common standards، and are written either in Arabic or English on various fields of Arabic language and literature، and education.

2.The author should provide 3 copies of the original article printed on A4 size، together with a CD copy ، within 10،000 -15.000 words in length ، usig simplified Arabic font and Word 2007 page numbering format.

3. Abstract should be submitted in a separate page written in both Arabic and English، and include the title of the article.

4.The first page of the article should include the author's name ، address ، institutional affiliation key words of article، mobile ،and e-mail ، but author's /s' name/s should not appear in the body of the article.

5. All sources in the article should be given a number placed in a superscript which will be in the form of endnotes at end of the article taking in consideration the common system of documentation.

6. All the sources listed in the endnote should be listed in a bibliography given on a separate page after the notes at the end of the article . in case of having foreign sources ، they should be grouped together in a separate list and arranged alphabetically.

7.Tables، photos، and drawings should be given in separate pages with a reference to their sources at the bottom in a caption.

8.A bioprofile should be given if the author collaborates with the journal for the first time، with an illustration if the article has previously been presented at a conference or not.

9.The article should not be published in any journal or submitted simultaneously for publication elsewhere.

10. The views expressed in DAWAT Journal are those of the article authors، and they do not necessarily represent the views of the journal.

11. Research articles are reviewed confidentially in order to assess its suitability for publication and they are not given back to the authors if they are accepted for publication or rejected،but in accordance with the following procedure:

Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman
Iraq / University of Baghdad
talalkhalifa17@gmail.com

Prof.Dr.Hassan Jaffer Sadiq
Iraq / University of Baghdad
hassnbaldawy@gmail.com

Prof.Dr.Khalid Sahr Muhi
Iraq / Mustansiriyah University
drkhalidsahar@yahoo.com

Dr.Haydar Abdali Hemydy
Iraq / University of Karbala
haydaralamerry@gmail.com

Dr.Hussein Mohammedian
Iran / University of Nishapur
mohammadian.hosein@yahoo.com

Dr.Kashif Jamal
ndia /University of Jawaharlal Nehru
kj89422@gmail.com

Proofreaders

Arabic Language
Abass Abdul Razzaq Al-Sabag

English Language
Mudhafer Al-Rubai

Website
Haider Abbas H. Al-Amiry

Design and Production
Hussamuldeen Mohammed

Follow-up and coordination
Hassan Al-Zihary / Iraq
Alaauldeen Al-Hassani/ Europe

Editor-in-Chief

Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syab
Iraq / University of Karbala
kh4581433@gmail.com

Managing Editor

Dr. Lateef Najah Shaheed
Iraq / University of Warith alanbiyaa
lateefiraq@yahoo.com

Board of Editors

Prof.Dr.Mustafa Ibrahim AL-Ddabaa
Egypt / Fayoum University
eldab3@gmail.com

Prof.Dr.Mahmoud Muhammad Al-Hassan
Syria / University of Hama
m.hhhh1974@gmail.com

Prof.Dr.Abdalali Mohammed Al-Wadghiry
Morocco / University of Rabat
abdelalioudrhiri@gmail.com

Prof.Dr. Nasir A l-Din M. Al-Sadiq
Algeria/University of Shaheed Hama Lakhdar
ouahabi07@gmail.com

Prof.Dr. Ghazali Hashmi/
Algeria/University of Mohamed El Sherif
ghozlenehachemi@yahoo.com

Prof.Dr.Sahib Jaffer Abujinah
Iraq / Mustansiriyah University
Sahibjafar@Yahoo.Com

Prof.Dr.Sabah Abbas Al-Salim
Iraq / University of Babylon
daralarabia@imamhussain.org

Prof.Dr. Mohammed Jawad Mohammed
Iraq / University of Baghdad
alturaihymj2243@gmail.com

Prof.Dr.Kareem Hussein Naseh
Iraq / University of Baghdad
kareemauthman@yahoo.com

Prof.Dr.Raheem Jabr A. Al-Hissnawy
Iraq / University of Babylon
rahim.alhasnawi@gmail.com

Prof.Dr.Ahmed Jwad Al-Atabi
Iraq / Mustansiriyah University
daralarabia@imamhussain.org

Prof.Dr. Latifa Abdul Rasool Al - Dhaif
Iraq / Mustansiriyah University
drlatifa60@uomustansiriyah.edu.iq

Prof.Dr.Muhammad Abd Mashkoor
Iraq / University of Baghdad
mohammed.a.mashkur@gmail.com

Prof.Dr. Najim Abdullah G. Al Mousawi
Iraq / University of Maysan
najim_14@yahoo.com

Dr.Karimh Nomas M. Al-mdny
Iraq / University of Karbala
Kareema.n@uokerbala.edu.iq

Prof.Dr. Faiz Hato Al-Shara
Iraq / Mustansiriyah University
fayzmubth@gmail.com

In the Name of Allah, the most Gracious, the Most Merciful

(And His signs are the creation of heavens and earth and the diversity of your tongues and colors. Surely, there are signs in this for all the worlds)

(Surat Ar-Rum,Ayat 22)

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

DAWAT دواة

Quarterly Refereed Journal for Researchers, and Linguistic and Educational Studies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein، Arabic Language House

Licensed by
Ministry of Higher Education and Scientific Research، Republic of Iraq

Consignment Number in the Book-House and Iraqi Documents: 2014، 1963

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob:+9647827236864 — +9647721458001